

صرع القسوف

أو

تنبيه الغبي إلى تكفير ابن عزري

ويليه كتاب «تحذير العباد من أهل العناد
بيد عمة الإمام»

وهما تأليف

العلامة برهان الدين البقاعي

٨٠٩ - ٨٨٥ هـ

تحقيق

عبد الرحمن الوكيل

١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠ م

دار الكتب العلمية

بيروت - لبنان

صرع التصوف

أو

تنبيه الغبي إلى تكفير ابن عربي

وإليه كتاب دقة في العباد من أهل العباد بمدة الألف



وهما من تأليف

العلامة برهان الدين البقاعي

٨٠٩ - ١٢٨٥ هـ

تحقيق وتعليق

عبد الرحمن الوكيل



بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الكتاب

الحمد لله الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ، ليظهره على الدين كله ،
والصلاة والسلام على عبد الله ورسوله محمد خاتم النبيين ، وسيد ولد آدم أجمعين ،
وبعد : فإنه كانت لي بالتصوف صلة ، هي صلة العبرة بالمأساة ، فهناك -
حيث كان يدرج بي الصبا في مدارجه السحرية ، وتستقبل النفس كل صروف
الأقدار بالفرحة الطروب ، وتستنشئ الروح رباً الجمال والحب من كل معاني
الحياة - هناك تحت شُفوف الأسحار الوردية من ليالي القرية الوادعة الحاملة ،
وفي هيكَل عبق بغيوم البخور ، جثم على صدره صم صغير بعده كثير من شيوخ
القرية ، هناك في مطاف هذه الذكريات الوئهى : كان يجلس الصبي بين شيوخ
تغضت منهم الجباه ، وتهدأت الجفون ، ومشى الهرم في أيديهم خفقات حزينة
راعشة ، وفي أجسادهم المضيئة نحولاً ذابلاً ، يترأؤون تحت وُصوصة السراج
الخافت أو هام رجاء ضيقت الخيبة ، وبقايا آمال عصف بها اليأس .

وتنهّدج ترانيم الشيوخ تحت السحر - نواحا بينها صوت الصبي - بالتراتيل
الوثنية ، وما زال الصبي يذكر أن صلوات ابن بشيش ، ومنظومة الدردير كانتا
أحب التراتيل إلى أولئك الشيوخ ، وما زال يذكر أن أصوات الشيوخ كانت
تشرق بالدموع ، وتئن فيها الآهات حين كانوا ينطقون من الأولى : « اللهم
انشلني من أحوال التوحيد ! ! » ومن الثانية : « وجُدلي بجمع الجمع منك
تفضلاً » يا للصبي الغرير التمس المسكين ! ! فما كان يدرى أنه بهذه الصلوات
الجوسية يطلب أن يكون هو الله هوية وماهية وذاتاً وصفة ! ! ما كان يدرى
ما التوحيد الذي يضرع إلى الله أن ينشله من أحواله ! ! ولا ما جمع الجمع الذي
يبتهل إلى الله أن يمن به عليه ! ! .

ويشب الصبي ، فيذهب إلى طنطا ليتعلم ، وليتفقه في الدين . وثمت يسمع الكبار من شيوخه يقسمون له ، واصحابه : أن « البدوي » قطب الأقطاب ، يصرف من شئون الكون ، ويدبر من أقداره وغيوبه الخفية ! ! ويجرؤ الشاب مرة فيسأل خائفا مرتعدا : وماذا يفعل الله ؟ ! ويهدر الشيخ غضبا ، ويزجر حنقا ، فيلوذ الشاب بالرعب الصامت ، وقد استشعر من سؤاله ، وغضب الشيخ ، أنه لطخ لسانه بجريرة لم تكتب لها مغفرة ! ! ولم لا ؟ والشيخ هذا كبير جليل الشأن والخطر ، وما كان يستطيع الشاب أبدا أن يفهم أن مثل هذا الخبر الأشيب - الذي يسأل عنه الموت - يرضى بالكفر ، أو يتهوَّك مع الضلال والكذب . فصدق الشاب شيخه ، وكذب ما كان يتلو قبل من آيات الله (١٠: ٣) ثم استوى على العرش ، يدبر الأمر ، مامن شفيع إلا من بعد إذنه) ! ! ثم يقرأ الشاب في الكتب التي يدرسها : أن الصوفي فلانا غسلته الملائكة ، وأن فلانا كان يصلي كل أوقاته في الكعبة ، في حين كان يسكن جبل قاف ، أو جزائر واق الواق ! ! ! وأن رسول الله صلى الله عليه وسلم مديده من القبر وسلم على الرفاعي ! ! وأن فلانا عذبه الملائكة ؛ لأنه حفظ القرآن والسنة وعمل بما فيهما ، ولكنه لم يحفظ كتاب الجوهرة في التوحيد ! ! ! وأن مذهبنا في الفقه هو الحق وحده ، لأنه أحاديث حذفت أسانيدھا ! ! ! ويصدق الشاب بكل هذا ، ويؤمن ، وما كان يمكن إلا أن يفعل هذا .

إذا قال في نفسه : لو لم تكن هذه الكتب حقا ، ما درست في الأزهر ، ولا درسها هؤلاء الهرمون من الأخبار ، ولا أخرجتها المطبعة ! ! وهل كان يمكن أن يسأل نفسه مثلا مثل هذا السؤال : أين من الحق البين من كتاب الله ، هذا الباطل العريبد في هذه الكتب ؟ ! لا فلقد جرىء به إلى طنطا ليتفقه في الدين على هؤلاء الشيوخ ، وها هو فقه الدين يسمعه من الشيوخ ، ويقرؤه في الكتب ، وحسبه هذا ! !

وتموج طنطا بالوفود ، وتمج بالأمين بيت الطاغوت الأكبر من كل حدب ،
ويجلس الشاب في حلقة يذكر فيها الصوفية اسم الله بخنات الأنوف ، ورجات
الأرداف ، ووثنية الدفوف ، وثمت يسمع منشد القوم يصيح راقصا : « ولى صم
في الدير أعبد ذاته » فتعالى أصوات الدراويش طروبة الصيحات : « إيوة كده
اكفر ، اكفر يا مربي » ويرى الشاب على وجوه القوم فرحا وثنيا راقص
الإثم بما سمعوا من المنشد الكافر ، فيسأل شيخا بمن وفدوا من أهل قريته :
ياسيدى الشيخ ، ماذا الصم المعبود ؟ ! فيزم الشيخ شفتيه ، ثم يجود على
الشاب الواله الحيرة بقوله : « إنته لسه صغير » !! ويسكت الشاب قليلا ،
ولكن الكفر يضحج في النعيق ، فيسمع المنشد يقي « سلكت طريق الدير
في الأبدية » « وما الكلب والخنزير إلا إلها » ويطوى الشاب نفسه على
فزع وعجب يسائل الدهول : ما الكلب ؟ ما الخنزير ؟ ما الدير ؟ ! وأنى للدهول
بأن يجيب ؟ ! ولقد خشى أن يسأل أحد الشيوخ مادام قد قيل له : « إنته لسه
صغير » ثم إنه رأى بعض شيوخه الكبار يطوفون بهذه الحمات يشربون
« القرفة » ويهنتون الأبدال والأنجاب والأوتاد بمولد القطب الغوث
سيدم السيد البدوى !!!

وتسكن دورات الفلك من عمر الشاب سنوات ، فيصبح طالبا في كلية
أصول الدين ، فيدرس أوسع كتب التوحيد - هكذا تسمى - ، فيعى منها كل
شىء إلا حقيقة التوحيد ، بل مازادته دراستها إلا قلقا حزينا ، وحيرة مسكينة .
ويجلس الشاب ذات يوم هو وصديق من أصدقائه مع شيخ صوفي أمي . فيسألها
عن معاني بعض تهاويل ابن عطاء الله السكندري « إرادتك التجريد مع إقامة الله
إياك في الأسباب من الشهوة الخفية ، وإرادتك الأسباب ، مع إقامة الله إياك في
التجريد ، انحطاط عن الهمة العالية » . ويحار الطالبان ، ولا يدريان بم يحبان
هذا الأمي عن هذه الحكم المزعومة - وقد عرفا بعد أنها تهدف إلى تقرير أسطورة

رفع التكليف - فتمتلىء نفسها بالنم المهوم ؛ إذ رسبا في امتحان عقده لها
أمى صوفى ؟!

ويدور الزمن فيصبح الشاب طالبا في شعبة التوحيد والفلسفة . ويدرس
فيها التصوف ، ويقرأ في كتاب صنفه أستاذ من أساتذته ، رأى ابن تيمية في
ابن عربى . فتسكن نفس الشاب قليلا إلى ابن تيمية ، وكان قبل يراه ضالا مُضِلًّا .
فهذا البهتان الأثيم نعته الدردير !! .

وكانت عنده لابن تيمية كتب ، بيد أنه كان يهرب مطالعتها ، خشية أن
يرتاب في الأولياء ، كما قال له بعض شيوخه من قبل !! وخشية أن يضل ضلال
ابن تيمية ويقرأ الشاب ، ويستغرق في القراءة ، ثم ينعم القدر على الشاب
بصبح مشرق يهتك عنه حجب هذا الليل ، فيقر به سره المضى عند جماعة
أنصار السنة المحمدية ، فكأنما لقي بها الواحة الندية السلسيل بعد دَوْرٍ ملتهب
المهجير . لقد دعت الجماعة على لسان منشئها فضيلة والدنا الروحى الشيخ محمد حامد
الفتى إلى تدبر الحق والهدى من الكتاب والسنة ، فيقرأ الشاب ويتدبر ما يقرأ ،
وَنَمَّتَ رُؤْيَا رُؤْيَا تَرْتَفِعُ الفشاوة عن عينيه ، فيبهره النور السماوى ، وعلى أشعته
الهادية يرى الحقائق ، ويبصر القيم . يرى النور نورا ، والإيمان إيمانا ، والحق حقا ،
والضلال ضلالا ، وكان قبل - بسحر التصوف - يرى فى الشيء عين نقيضه .
فيؤمن بالشرك توحيدا ، وبالكفر إيمانا ، وبالمادية الصماء من الوثنية : روحانية
عليا ، ويدرك الشاب - وهو لا يكاد يصدق - أن التصوف دين الوثنية والمجوسية ،
دين ينسب الربوبية والإلهية إلى كل زنديق ، وكل مجرم ، وكل جريمة !!
دين يرى فى إبليس ، وفرعون ، وعجل السامرى ، وأوثان الجاهلية ، يرى فى كل
هؤلاء الذين لعنتهم كتب الله ، بل لعنتهم حتى العقول ، يرى فيهم أربابا وآلهة
تهيمن على القدر فى أزله وأبده ، دين يرى فى كل شيء إلهاً يجب أن يُعْبَدَ ، وربما
يخلق ما يشاء ويختار ، دين يقرر أن حقيقة التوحيد الأسمى : هى فى الإيمان بأن الله

- سبحانه - عين كل شيء . دين لا تجدد فيه فيصلا بين القيم ، ولا بين حقائق الأشياء ، ولا بين الضد وضده ، ولا بين النقيض ونقيضه . دين يقول عن الجيف - يتأذى منها التنن ، وعن الميكروبات تفتك سمومها بالبشرية - إنها هي الإله ، وسبحان ربنا !! دين يقول عن القاتل ، عن السارق ، عن الباغى ، عن كل وغد تَسْقُلُ في دناءته ، عن كل طاغية بنى في تجبره . يقول عن كل هؤلاء : إنهم تَعَيِّنَاتُ الذات الإلهية !! فأى إله هذا الذى يقتل ، ويبغى ، ويفسد في الأرض ؟ أى إله هذا الذى يدب تحت جنح الليل تتَلَطَّى في عينيه ، وعلى يديه الإثم والجريمة الضارية ؟ أى إله هذا الذى يلحق دم الضحايا يُبَرِّدُ به غُلَّتَه ، ويخضب بدماء الأعراض التى سفحها يديه الظالمين ؟ أى إله هذا الذى مشى في أيام التاريخ ولياليه بطشا وظلما وجبروتا يدمر ، ويخرب ، ويصنع القصة الأولى لكل جريمة خاتلة ؟! ومن يكون إلا إله الصوفية الذى ابتدع أسطوره سلف ابن عربى ، وابن الفارض وغيرهما !! ؟ .

أيتها البشرية التى تهاب القانون ، أو ترهب السماء !! ها هو دين التصوف يناديك مُلِحًا ملهوف النداء : أن تنحدرى معه إلى حيث تترعين من كل خمرة مخمورة ، وتتلطخين بكل فسق ، وتتمرغين في أوحال الإثم !! وأتم أيها العاكفون في المساجد : لا حاجة بكم إلى الصلاة والصوم والحج والزكاة ، بل لا حاجة بكم إلى رب تحبونه وتخافونه ، وترجونه ، ولا إلى إله تعبدونه .

لم هذا الكدح والجهاد والنصب والعبودية ؟ لم هذا وكل فرد منكم في حقيقته هو الرب ، وهو الإله كما يزعم الصوفية !!؟ ألا فاطلقوا غرائزكم الحبيسة ، ودعوها تعيش في الغساب والدغل وحوشا ضارية ، وأفاعى فتاكة ! وأتم يا بنى الشرق ! دعوا المستعمر الغاصب يسومكم الخسف والهوان ، ويُطْلَغ شرفكم بالضعة ، وعزتك بالذل المهين ، ويهيمن على مصائركم بما يهوى بطشه الباغى ، وبغْيهِ الظلوم . دعوه يهتك ما تحمون من أعراض ، ويدمر ما تشيدون من معال ،

وينسف كل ما أسستم من أعجاد ، ثم الثموا ضارعين خناجره وهي تمرق منكم الحشاشات ، واهتفوا لسياطه ، وهي تشوى منكم - أذلاء - الجلود . فذا ذلك المستعمر عند الصوفية سوى ربهم ، تعين في صورة مستعمر .

دعوا المواخير مُفَتَّحَةَ الأبواب ، مَهْدَةَ الفِجَاج . وَمَبَاءَاتِ الْبِغَاءِ تَفْتَحْ ذُرَاعِيهَا الْمَلَهُوفَتَيْنِ لِكُلِّ شَرِيدٍ مِنْ ذُنَابِ الْبَشَرِ ، وَحَانَاتِ الْخُمُورِ تَطْفِي عَلَى قَدْسِيَةِ الْمَسَاجِدِ ، وَأَقِيمُوا ذَهَبِيَّ الْهِيَائِ كُلِّهِ لِلْأَصْنَامِ ، وَارْفَعُوا فَوْقَ الدُّرَى مُنْتِنَ الْجَنَيفِ ، ثُمَّ خَرُوا سَاجِدِينَ لَهَا ، مُسَبِّحِينَ بِاسْمِ ابْنِ عَرَبِيٍّ وَأَسْلَافِهِ وَأَخْلَافِهِ . قَدْ أَبَاحَ لَكُمْ أَنْ تَعْبُدُوا الْجَنَيفَةَ ، وَأَنْ تَتَوَسَّلُوا إِلَى عِبَادَتِهَا بِالْجَرِيمَةِ !!

ذِكْرُكُمْ هُوَ دِينَ التَّصَوُّفِ فِي وَسَائِلِهِ وَغَايَاتِهِ ، وَتِلْكَ هِيَ رُوحَانِيَّتُهُ الْعَلِيَا !!
أَلَا سَمِعْتُمْ هَذَا غَيْرَ هَيَاةٍ وَلَا رَجَلَةٍ ، وَاصْفُوا إِلَى هَتَافِ الْحَقِّ يَهْدُرُ بِالْحَقِّ مِنْ أَعْمَاقِ الرُّوحِ : إِنْ التَّصَوُّفُ أَدْنَى وَالْأَمُّ كَيْدُ ابْتِدَاعِ الشَّيْطَانِ لِيُسَخَّرَ مَعَهُ عِبَادَةُ اللَّهِ فِي حَرْبِهِ نَحْنُ ، وَلِرَسُولِهِ . إِنَّهُ قَنَاعُ الْمَجُوسِ يَتَرَاءَى بِأَنَّهُ رَبَّانِيٌّ ، بَلْ قَنَاعُ كُلِّ عَدُوٍّ صُوفِيٍّ الْعَدَاوَةُ لِلدِّينِ الْحَقِّ . قَنَسَ فِيهِ تَجَدُّدٌ بَرْهَمِيٌّ ، وَبُودِيَّةٌ ، وَزَرَادَشْتِيَّةٌ ، وَمَانَوِيَّةٌ وَدِيصَانِيَّةٌ . تَجَدُّدٌ أَفْلُوطينِيَّةٌ ، وَغَنُوصِيَّةٌ ، تَجَدُّدٌ فِيهِ يَهُودِيَّةٌ وَنَصْرَانِيَّةٌ . وَوثنِيَّةٌ جَاهِلِيَّةٌ ، تَجَدُّدٌ فِيهِ كُلُّ مَا ابْتَدَعَهُ الشَّيْطَانُ مِنْ كُفْرٍ ، مِنْذُ وَقَفَ فِي جَرَاةِ صُوفِيَّةٍ يَتَحَدَّى اللَّهَ ، وَيَقْسِمُ بِعِزَّتِهِ أَنَّهُ الَّذِي سَيُضِلُّ غَيْرَ الْمُخْلِصِينَ مِنْ عِبَادِهِ . تَجَدُّدٌ فِيهِ كُلُّ هَذَا الْكُفْرِ الشَّيْطَانِيِّ ، وَقَدْ جَعَلَ مِنْهُ الشَّيْطَانُ كُفْرًا جَدِيدًا مَكْحُولُ الْإِنْمِ مُتَبَرِّجٌ الْغَوَايَةِ ، مُتَقَتِّلُ الْفُتُونِ ، ثُمَّ سَمَاءُ الْمُسْلِمِينَ : « تَصَوُّفٌ » وَزَعَمَ لَهُمْ وَأَيَّدَهُ فِي زَعْمِهِ الْقُدَامَى وَالْمُحَدَّثُونَ مِنَ الْأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ - أَنَّهُ يُمَثِّلُ أَقْدَسَ الْمَظَاهِرِ الرُّوحِيَّةِ الْعَلِيَا فِي الْإِسْلَامِ !! أَقُولُهَا عَنْ بَيْنَةِ مَنْ كَتَبَ اللَّهُ ، وَسُنَّةِ خَيْرِ الْمُرْسَلِينَ صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ ، وَبَعُونِ مِنَ اللَّهِ ، سَأُظِلُّ أَقُولُهَا ، لَعَلِّي أَعِينُ الْقَرِيبَةَ التَّعَسُّةَ عَلَى أَنْ تَنْجُو مِنْ أَنْيَابِ هَذَا الْوَحْشِ الْمَلُومِ بُوْشَاحِ الدَّعَةِ الْحَانِيَةِ الْعَطُوفِ وَلَكِنْ سَلُوا الصُّوفِيَّةَ سُودًا وَبَيَاضًا ، خَضِرًا وَحُمْرًا ، سَلُومٌ : مَا رَدُّكُمْ عَلَى هَذَا الصَّوْتِ الْمَاهِرِ مِنْ أَعْمَاقِ الْحَقِّ ؟ سَيَقُولُونَ مَا قَالَتْ وَثْنِيَّةٌ عَادَ « إِنْ تَرَكَ

إلا اعتراك بعض آلهتنا بسوء » وآلهتهم هي قباب أضرحة الموتى وأعتابها !!
دمغناهم بالحق ، فراحوا يعوون عواء اللص الحذر ، وقع فجأة في قبضة الحارس ،
وجأروا بالشكوى الذليلة إلى النيابة ، فلم تر النيابة فيمن يمسك بالبريء إلا مجرمًا ،
وشكوا إلى رئيس حكومة سابق ، وختموا الشكاية بهذه الضراعة الذليلة : « والله
نسأل لمقامكم الرفيع الخير والسودد في ظل حامى الدين حضرة صاحب الجلالة
الملك المعظم صان الله عرشه ، وأيد حكومته الرشيدة ، وألهمها التوفيق »^(١) ،
فلم ير الرئيس السابق فيمن يثرم أنياب الرقطاء مجرمًا . وطاح الحق ببغى إلههم
وملاذم حامى دينهم ، كما كانوا يلقبونه .

وما زلنا - بعون من الله نستلهمه - بكتاب الله نتحدثهم ، وبسنة رسوله
صلى الله عليه وسلم نحاججهم ، والله على كل شيء شهيد ، وهو حسبنا ونعم الوكيل .
سيقول الناعمون - من ذوى الألسنة التى استمرأت كلمات الذل والعبودية ،
وليونة النفاق ، و يمن يتملقون الجماهير على حساب الحق ، و يزعمون أنهم لا يحبون
إثارة شقاق ، أو جدال ، ولا الطعن على أحد - سيقول هؤلاء : ما هكذا يكون
النقد ، ولا هكذا يكون البحث العلمى !! لا . أيها المدللون الخانعون للأساطير ،
فإننا لسنا أمام جماعة مسلمة ، فنخشى إثارة الشقاق بينهم ، ولو خشى الرسول مثل
هذا لما لأ قريشاً على حساب الحق ، ولكنه صلى الله عليه وسلم أطاع أمر ربه
(١٥ : ٩٤ فاصدع بما تؤمر ، وأعرض عن المشركين) ووعى قلبه - المشرق
المؤمن الظهور التقي - موعظة ربه فيما قال له العلى الكبير (٦٨ : ٩ ودُّوا لو تُذهِن
فيذهنون) وفيما قال له (١٧ : ٧٣ - ٧٥ وإن كادوا ليفتنونك عن الذى أوحينا
إليك : لتفترى علينا غيره ، وإذا لاتخذوك خليلا ، ولولا أن ثبتناك لقد كدت
تركن إليهم شيئاً قليلا ، إذا لأذقناك ضعف الحياة ، وضعف الممات ، ثم لاتجد لك
علينا نصيرا) فكان سيد ما يستغفر به الرسول الكريم الأمين ربه : « اللهم
أنت ربى ، لا إله إلا أنت ، خلقتنى وأنا عبدك ، وأنا على عهدك ووعدك

(١) قدموا هذه الشكوى بتاريخ ٤ أغسطس سنة ١٩٥١

ما استطعت » فكيف بنا نحن الذين أمرنا أن نجعل الرسول وحده لنا الأسوة؟! ولنا كذلك أمام فئة تحترم العقل ، بل تزدريه وتحقره ، ثم تهب في قفة طاغية الجراءة لتشتتم الله ، وتذود عن إبليس وفرعون وعباد العجل والوثن ، داعية المسلمين إلى اتخاذ هؤلاء أرباباً وآلهة ، وسيرد على القارىء عشرات النصوص من فصوص ابن عربي وثائية ابن الفارض شهيدة عليهم بما ذكرت ، وابن عربي وابن الفارض قطبا التصوف ، وإماما الصوفية المعاصرة . فكيف يعاب علينا أننا ندافع عن دين الله ، وأنا نقول للشيطان : إنك أنت الشيطان ؟! ماذا نقول عن رجل - وهو ابن عربي - يفترى أدناً البهتان على الله ، فيصوره في صورة رجل وامرأة يقتزمان الإنم ، مؤكداً لاتباعه أن الجسدین الآمن هما في الحقيقة ذات الله ، سبحانه ؟! وسبحان رب العزة عما يصف الآثم .

فهل نلام إذا هتكنا القناع عن وجه هذا الرجل ، ليبصره المخدوعون به ، ليبصروه مستخاً ثانياً للشيطان؟ إننا في ميدان مستعر الآتون، يقاتلنا فيه عدو دنيء يتراءى أنه الأخ الشفيق الحنؤ ، الندى الرحمة ، فلا أقل من أن نحاربه بما يدفع ضره وشره ، ويحول بينه وبين القضاء على الرمق الذابل من عقائد المسلمين ، وبين تشتيت الحشاشة الباقية من الجماعة الإسلامية .

هذا الكتاب : هو في الحقيقة كتابان صنفهما علم من أعلام القرن التاسع الهجري ، هو برهان الدين البقاعي ، سمي أولهما « تنبيه النعي » ، إلى تكفير ابن عربي » وسمى الآخر « تحذير العباد من أهل العناد ببدعة الاتحاد^(١) » نقد فيهما ابن عربي وابن الفارض بخاصة ، والتصوف المشاكل لدينها بعامة . ومنهاج البقاعي في النقد يقوم على أصلين .

أولاً : نقل نصوص كثيرة عن « فصوص الحكم » لابن عربي ، وعن

(١) لما كان الكتاب ينقد التصوف نقداً قاتلاً ، فقد سميناه « مصرع التصوف » وأعتذر عن مخالفة الأصل في التسمية لطول عنواني الكتابين ، ولما في أحدهما من تعريض بالقارىء .

« النائية الكبرى » لابن الفارض ، وقليل ما يعلق البقاعى على هذه النصوص ، أو يكشف عما فيها من مجافاة لروح التوحيد القرآنى . معتمداً على فطنة القارىء ومعرفته بدينه ، فمما كفيلاً بإدراك ما فى هذه النصوص من كفر ومجوسية ، يدركهما القارىء حتى باللمحة الفكرية الهافية .

الآخر : ذكر فتاوى كثيرة عن أعلام شيوخ القرون : السابع والثامن والتاسع الهجرية ، ومما لاحظته : أن المؤلف لم ينقل عن ابن تيمية سوى النزر اليسير جداً بيد أن هذا مما يجعل للكتاب خطره الكبير فى نظر المتصوفة على معتقدهم ، إذ ما يستطيعون اتهام أحد ممن ذكرهم البقاعى بالخصومة ، كما كانوا يفعلون - مفترين - بالنسبة إلى الشيخ الإمام ابن تيمية . فهؤلاء الذين أفتوا بكفر ابن عربى وابن الفارض : إما فريق قد ناهض ابن تيمية وخاصه ، ولكنه أدلى معه بدلوه فى فضح الصوفية ، وإما فريق لم يعرف عنه لا موالاة جلية ولا خصومة صريحة لابن تيمية - وإن كانوا فيما يذهبون إليه فى مسألة العقيدة يخالفون ابن تيمية - فجلهم من أئمة الأشاعرة ، وإما فريق كان له جاه ومقام كبيران فى التصوف ، كعلاء الدين البخارى ، وهو أقسى هؤلاء جميعاً حملة على ابن عربى وابن الفارض ، ومن دان بدينهما .

عملى فى الكتاب : أولاً تحقيق نص الكتاب ، وهو إما نقول عن فصوص ابن عربى وتائية ابن الفارض ، أو عن كتب علماء نقدوا التصوف . وإما من إنشاء المؤلف . أما ما نقله عن الفصوص : فراجعته على مطبوعة الحابى بتحقيق الدكتور عفيفى ، وجعلتها العمدة فى تحقيق نصوص الفصوص ، وقد أيقنت من هذه المراجعة أن المؤلف أمين جداً فيما نقل . بيد أنه كان يترك أحياناً ماله رحم ماسة بالكشف عن حقيقة معتقد ابن عربى ، أو ما لا بد منه لارتباط بين نصوص الفصوص ، وأحياناً كان يسقط منه - أو من الناسخ - بعض ألفاظ ، وكل هذا أثبتته عن الفصوص ، وجعلته بين قوسين هكذا [] ، وقد أشرت فى الهامش إلى هذا وإلى أرقام الصفحات التى وردت فيها هذه النصوص حسب ترقيم صفحات

فصوص الحكم طبع الحلبي ، حتى يسهل على القارىء مراجعة كل ما نقله المؤلف عن الفصوص في مصدره الأصيل ، أما أبيات تائية ابن الفارض ، فراجعتها على مرجعين ، أحدهما ديوان ابن الفارض طبع بيروت ، والآخر شرح تائية ابن الفارض للكاشاني المطبوع على هامش شرح ديوان ابن الفارض المطبوع سنة ١٣١٠ هـ في المطبعة الخيرية . أما ما نقله عن العلماء فقد بذلت كل الجهد في سبيل تحقيق نقوله بمراجعتها في كتب أولئك العلماء ، وأشرت إلى أرقام الصفحات التي وردت فيها تلك النقول في مصادرها الأصلية ، مثل ما فعلت بما نقل المؤلف عن الشفاء لمياض ، والمواقف للإيجي ، والمثل للشهرستاني وغيرها حتى يسهل أيضاً على القارىء مراجعة آراء هؤلاء العلماء في كتبهم هم . وقد يسر الله سبحانه ، فوجدت بعض ما نقله البقاعي من فتاوى عن العلماء في عصره وقبل عصره مذكوراً في كتاب « العلم الشامخ » للعلامة المقبل بتحقيق وتعليق العلامة الشيخ رشيد رضا ، فراجعت بعض نقول البقاعي عن العلماء الذين لم أعر على كتبهم في العلم الشامخ ، وأثبت زيادة العلم ، وجعلتها بين قوسين هكذا [] ، ويشهد الله أني لقيت في سبيل ذلك نصبا كبيراً ، كان من نتائجه أن أصبحت أمانة البقاعي في النقل فوق كل مظنة ، وسيكون من آثاره اطمئنان القارىء إلى كل ما نقله البقاعي عن الفصوص والتائية ، وكتب العلماء ، وما نقل عنهم من فتاوى .

أما ما كان من أسلوب المؤلف : فتركته على حاله ، فما صوبت فيه إلا ما تجزم قواعد العربية بخطئه مشيراً إلى ذلك في الهامش .

ثانياً : ترجمت لمعظم من ذكروا في الكتاب ترجمة مختصرة ، ولقيت في سبيل هذا مشقة وجهداً ، سببها : أن المؤلف كان يذكرهم إما بألقابهم أو كنانهم ، في حين تذكرهم كتب التراجم بأسمائهم أولاً .

ثالثاً : ترجمت لكل فرقة أو نخلة جاء ذكرها في الكتاب ترجمة ذكرت فيها أم الأصول لتلك الفرقة ، أو هذه النخلة ، معتمداً على أصدق المراجع .

رابعاً : حققت كل ماورد في الكتاب من أحاديث ، وخرجتها تخريجاً صحيحاً ، إذ كان يخطئ المؤلف أحياناً في نسبتها إلى روايتها .

خامساً : ولما كانت بعض نصوص الفصوص غامضة تخفى معانيها ومراميها على بعض القراء ، وكذلك بعض أبيات تائية ابن الفارض ، لما كان ذلك كذلك : فقد شرحت في الهامش تلك النصوص وهذه الأبيات ، ويشهد الله ما فهمت في الألفاظ غير معانيها ، التي لها في عرف الصوفية ، ولا فسرتها إلا بما هو مقرر عند شراح الفصوص والتائية من الصوفية .

سادساً : برهنت في كثير من المواضع على مخالفة ماذهب إليه الصوفية للنقل وللعقل ، إذ كان المؤلف يكتفى بإيراد النصوص تاركاً للقارئ الحكم عليها ، وهو حكم يحزم به كل من له أدنى فهم لحقيقة التوحيد .

سابعاً : في الكتابين كثير من مصطلحات الصوفية ، كالقناء والجمع ، وجمع الجمع ، والقطب ، وقاب قوسين ، وغيرها ، وقد فسرت في هامش الكتاب هذه المصطلحات الصوفية معتمداً على كتبهم هم ، حتى يخلص الكتاب للحق والإنصاف ، والصدق .

ثامناً : عنونت لمواضيع الكتابين ، إذ خلا كلاهما إلا من عناوين قليلة وضعها الناسخ ، أو المؤلف على هامش الكتابين ، ومعظمها ليست دلالة على ماوضفله .

تاسعاً : رقت ماورد في الكتاب من الآيات القرآنية ، والرقم الأول يدل على السورة ، والثاني على الآية .

ملحوظة . تشير الأرقام الواردة في صلب متن الكتاب إلى صفحات النسخة المصورة التي اعتمدت عليها في نشر هذا الكتاب .

الأصل المطبوع عنه : يملك النسخة التي عنها نشرنا الكتاب سرى جده الجليل ، الشيخ محمد نصيف . وقد تفضل - كدأبه دائماً في العمل على نشر العلم

فأعطاها إلى فضيلة أستاذنا الكبير الشيخ محمد حامد الفقى ليعمل على نشرها ،
فتفضل أستاذنا ، ووكل إلى "أمر تحقيقها والتعليق عليها .

وصف النسخة : وقد عثر على النسخة الخطية الأصيلة لكتابى البقاعى ،

العلامة شيخ العروبة فى وقته أحمد زكى ، عثر عليها فى خزائن القسطنطينية ، فنقلها
بالتصوير الشمسى فى مجلد واحد . ثم نقل عن نسخته المصورة نسخة أخرى
بالتصوير الشمسى أيضا فى مجلد واحد وأهداه إلى العالم الجليل الشيخ محمد نصيف .
وقد ورد فى الصفحة الأولى من الأصل الذى نشرنا عنه هذا الكتاب ما يأتى :

« نقلت باسم الله هذا الكتاب بالتصوير الشمسى من خزائن القسطنطينية
وأضفته إلى مجموعة كتفى التى أودعتها قبة النورى بالقاهرة باسم الخزانة الزكية
وجعلتها وقفا على العلماء وطلبة العلم ، نفع الله بها » ثم يلى ذلك إمضاء « وكتبه
أحمد زكى » وورد أيضا فى الصفحة الأولى ما يأتى : « وهذه النسخة المنقولة عنها
هدية إلى خادام العلم الإسلامى والعمرانى بالحرمين الشريفين الشيخ محمد نصيف ،
فخر جده أعانه الله » ثم يلى ذلك إمضاء « أحمد زكى » وتاريخ الإهداء • محرم
الحرام سنة ١٣٥٢ الموافق ٣٠ أبريل سنة ١٩٣٣ ، وقد صورت النسخة المهداة
سنة ١٩٣٣ م بمطبعة دار الكتب قسم التصوير .

والنسخة مكتوبة بخط فارسى جميل ، وناسخها سليمان بن عبد الرحيم . وقد
انتهى من نسخها - كما ذكر هو فى آخر الكتاب - سنة ٩٤٧ هـ وتقع النسخة فى
٨٤ صفحة ، وقد كتبت ورقاتها من وجه واحد ومسطرتها تبلغ ٢١ سطرا ، ويقع
الكتاب الأول منها ، وهو « تنبيه النقي » فى ٥٩ صفحة ، والثانى وهو « تحذير
العباد » فى ٢٣ صفحة .

وقد كتب الشيخ الجليل محمد نصيف على نسخته ما يأتى : « أقول أنا محمد
نصيف بن حسين بن عمر نصيف : سألت السائح التركى ولى هاشم عند عودته من
الحج فى محرم سنة ١٣٥٥ عن سبب عدم وجود ما صنفه الطهلاء فى الرد على

ابن عربي ، وأهل نحلته الحلولية والاتحادية من المتصوفة . فقال قد سعى الأمير السيد عبد القادر الجزائري بجمعها كلها بالشراء والهبة وطالعها كلها ، ثم أحرقها بالنار ، وقد ألف الأمير عبد القادر كتاباً في التصوف على طريقة ابن عربي . صرح فيه بما كان يلوح به ابن عربي ، خوفاً من سيف الشرع الذي صرع قبله « أبو الحسين الحلاج » وقد طبع كتابه بمصر في ثلاثة مجلدات ، وسماه المواقف في الوعظ والإرشاد ، وطبع وقفاً ، ولا حول ولا قوة إلا بالله »

شبهة : يقول بعض من لا يستبطنون خبيثة التصوف ، ويرسلون النظرة الكاشفة إلى أعماقه : وهل تدين الصوفية المعاصرة بما دان به ابن عربي ، وابن الفارض ، حتى تحكموا عليهم بما حُكِمَ به على ابن عربي وابن الفارض ، أو حتى يصلح هذا الكتاب رداً عليهم ؟ ! وأقول لهذا السائل : نعم ، تدين الصوفية المعاصرة بوحدة الوجود ، وبوحدة الأديان ، فإنما هو أمر مُبَيَّنٌ للدين الحق جوارثه الصوفية خلفاً عن سلف ، ليكيدوا به لهذا الدين الحق . وفي أورادهم دليل مانقول . وفي تقديسهم لابن عربي وكتابه الفصوص ، ولابن الفارض . وتأييده حجة على أنهم يدينون بدينهما ، فالأول عندهم « الشيخ الأكبر » . والثاني : « سلطان العاشقين » ويأظلمنا قلنا للصوفية المعاصرة : أن تغنم رضا الله مرة . فتبراً إليه من ابن عربي ، وابن الفارض . بل حتى من كتبهما وأشعارهما قلنا لها ذلك ، فكان أن برئت إلى أصنامها ممن يقدم لها النصيح ابتغاء وجه الله . واستغاثت بالأحياء ، وبالأَمْوات من الطواغيت ، حتى لا ينزع الناصح تاج القداسة الزائف عن الشيطان المرید !! .

وقد يقول قائل : وما بالكم تخصون الصوفية بهذا كله ؟ ! . وأقول : بل هو جهادنا الأول . ونقتدى في هذا برسولنا وأسوتنا عبد الله ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم ، إذ بدأ دعوته بالدعوة إلى الله وحده ، وإلى النهي عن اتخاذ شركاء أو شفعاء من دون الله رب العالمين ، بدأ بوحى من الله

بدعوة الناس إلى التوحيد الخالص ، وإذا ما تمكنت عقيدة التوحيد الخالص من قلب المسلم ، جعلته إنساناً مثالياً في دينه وخلقه وروحانيته ، ودفعت به إلى الحياة بطلا يعمل باسم الله لتحقيق المثل العليا للجماعة المسلمة ، بل للإنسانية عامة ، وجعلت منه ولياً كريماً للحق والعدل والخير والصدق والسمو والكرامة ، وذلك لأنه يحمل قلباً مؤمناً لا يحب إلا الله ، ولا يرهب غير الله ، ولا يتقى غير الله ، ولا يرجو إلا ثواب الله ، ولا يطيع غير الله ورسوله صلى الله عليه وسلم . أما الصوفية سواء كانت نظرية أم عملية ، فقد قامت لتصرف الناس عن عبادة الخالق ، إلى عبادة المخلوق . إنساناً كان أم حيواناً ، ملكاً أم شيطاناً ، حياً أم ميتاً . لتجعل من المسلمين عباد هوى وشهوة وأوثان .

ناج القلب الصادق الإيمان باسم الله يَتَجَاوَبُ معك ، أُبَيِّنُ له عن أمر الله ، تجده يتلمس كل سبيل إلى طاعة أمر ربه سبحانه ، ناشده باسم الله ما يحب الله تجده طليعاً ذلولاً في عزة ونبل وكرم وإيثار . ثم سل القلب الصوفي بعض ما سألت قلب المؤمن ، فلن يسمع لك إلا إذا ناجيته باسم طواغيته ابن عربى وابن الفارض والشعرانى وأمثالهم ، أو باسم أوثانه وأصنامهم ، من قباب آلهته الموتى .

فنحن إذن نعمل ليكون لله وحده الدين خالصاً ، ولتكون قلوب عباده إيماناً به وحده ، وحباً له وحده ، ورجاء فيه وحده ، وتقوى له وحده ، ولتتوحد الجماعة الإسلامية بهذا الإيمان ، وهذا الحب ، وهذا الرجاء ، وهذه التقوى .

وإلى العلى التقدير أضرع أن يجعل عملنا خالصاً لوجهه الكريم ، وأن يجعل من المسلمين أمة واحدة تعمل بقول الله سبحانه : (وأن هذه أمتكم أمة واحدة ، وأنا ربكم فاعبدون) .

عبد الرحمن الوكيل

عضو جماعة أنصار السنة المحمدية

١٢ من صفر سنة ١٣٧٢

٣١ أكتوبر سنة ١٩٥٢

القاهرة : الجمعة

البقاعى فى سطور

ملخصة عن شذرات الذهب ، والضوء اللامع

هو الإمام إبراهيم بن عمر بن حسن الرُّباط بن على بن أبى بكر أبو الحسن
برهان الدين البقاعى الشافعى المحدث المفسر العلامة المؤرخ .

ولد سنة ٨٠٩ هـ ، بقرية خربة روحاً من عمل البقاع ، ونشأ بها ، ثم دخل
دمشق وفيها جود القرآن وجدد حفظه وأفرد القراءات ، واشتغل بالنحو والفقه
وغيرهما من العلوم .

أخذ عن أساطين عصره ، كإبن ناصر الدين وابن حجر ، وبرع ، وتميز ،
وناظر وانتقد حتى على شيوخه .

وصنف تصانيف عديدة . من أجلها المناسبات القرآنية ، وعنوان الزمان
بتراجم الشيوخ والأقران ، وتنبيه النبى بتكفير عمر بن الفارض وابن عربى ، دخل
بيت المقدس ، ثم القاهرة .

وتوفى بدمشق فى رجب سنة ٨٨٥ عن ست وسبعين سنة .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وبه نستعين

« خطبة الكتاب »

الحمد لله المزيل للمساد ، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له ، شهادة تضمن الإِسعاد ، يوم يقوم الأَشهاد . وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله الداعي إلى سبيل الرشاد . صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه الذين قمعوا أهل العناد ، وحكموا سيوفهم في رقاب أهل الفساد ، فلم يجسر أحد في زمانهم على إلحاد ، بتعميل ، أو تعطيل ، أو حلول ، أو انحاد . أبعدنا الله من ذلك أيما إبعاد ، وحنانا منه على مر الدهور والآباد .

وبعد : فإني لما رأيت الناس مضطربين في ابن عربي ^(١) المنسوب إلى التصوف ، الموسوم عند أهل الحق : بالوحدة ، ولم أر من شفى القلب في ترجمته ^(٢) وكان كفره في كتابه الفصوص أظهر منه في غيره ، أحببت أن أذكر منه ما كان ظاهراً ، حتى يعلم حاله ، فيهجر مقاله ، ويعتقد انحلاله ، وكفره وضلاله ، وأنه إلى الهاوية مآبه ومآله ، امثالاً لما رواه مسلم عن أبي سعيد [الخدرى] رضى الله عنه : أن النبي صلى الله عليه وسلم قال « من رأى منكم منكراً فليغيره بيده ، فإن

(١) هو أبو بكر محي الدين محمد بن علي بن محمد الحاتمي الطائى الأندلسى ، ولد بمصرية سنة ٥٦٠ ونشأ بها وانتقل إلى أشبيلية ثم ارتحل وطاف البلدان فطرق بلاد الشام والروم والشرق ، ودخل بغداد ، وارتحل إلى مكة ، وكانت وفاته سنة ٦٣٨ هـ

(٢) غلط بقوله هذا حق الإمام ابن تيمية - وهو شيخ شيوخ البقاعى ، وإليه تنتهى الإمامة في نقد التصوف ، والبرهنة العقلية والنقلية على منابذته للحق من الكتاب والسنة ، وللبدهيات من العقل .

لم يستطع ، فبلسانه ، فإن [لم] يستطع ، فبقليه ، وذلك أضعف الإيمان ^(١) »
وفي رواية [عن عبد الله بن مسعود] : « وليس وراء ذلك من الإيمان مثقال حبة
من خردل » ، وما أحضر إلى النسخة التي نقلت ماتراه منها إلا شخص من كبار
معتقديه ، وأتباعه ومحبيه .

عقيدة ابن عربي وكيدہ للإسلام

وينبغي أن يعلم أولاً أن كلامه دائر على الوحدة المطلقة ، وهي : أنه لا شيء
سوى هذا العالم ، وأن الإله أمر كلي لا وجود له إلا في ضمن جزئياته . ثم إنه
يسعى في إبطال الدين من أصله ، بما يحل به عقائد أهله ؛ بأن كل أحد على
صراط مستقيم ، وأن الوعيد لا يقع منه شيء ، وعلى تقدير وقوعه ، فالعذاب
المتوعد به إنما هو نعيم وعدوبة ، ونحو ذلك !! . وإن حصل لأهله ألم ، فهو لا ينافي
السعادة والرضى ، كما لم ينافها ما يحصل من الآلام في الدنيا ، وهذا يحط عند من
له وعى على اعتقاد : أنه لا إله أصلاً ، وأنه مأثم ^(٢) إلا أرحام تدفع ، وأرض
تبلع ، وما وراء ذلك شيء .

منهاج الصوفية في السكيد بدعوتهم

وكل ما في كلامه من غير هذا للمبيع ^(٣) فهو تستر وتلبيس على من ينتقد عليه ،
ولا يلقي زمام انقياده إليه ، فإنه علم أنه إن صرح بالتعطيل ابتداءً بعد كل سامع
من قبوله فأظهر لأهل الدين أنه منهم ، ووقف لهم في أودية اعتقادهم ، ثم استدرجهم
عند المضائق ، واستغواهم في أماكن الاشتباه ، وهو أصنع الناس في التلبيس ،

(١) مسلم وأبو داود والترمذي وابن ماجه .

(٢) في الأصل : مأثم .

(٣) الطريق الواضح .

فإنه يذكر أحاديث صحاحا ، ويحرفها على أوجه غريبة ، ومناحٍ عجيبة ، فإذا تدرج معه من أراد الله - والعياذ به - ضلاله ، وصل - ولا بد - إلى مراده من الانحلال من كل شرعة ، والمباعدة لكل ملة . وخواص أهل هذه النحلة يتسترون [٣] بإظهار شعار الإسلام ، وإقامة الصلاة والصيام ، وتعميه الإلحاد بزى التنسك والتقشف ، وتزويق الزندقة بتسميتها : بعلم التصوف ، فهو ممن أشار إليه النبي صلى الله عليه وسلم بقوله : « يحقر أحدكم صلاته مع صلاته ، وصيامه مع صيامه ، يقرءون القرآن ، لا يجاوز حناجرهم ، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية ^(١) » .

وقد أصّل لهم غويهم هذا كما صرح به في الفص النوحى : أن الدعوة إلى الله مكر !! ونسب ذلك إلى الأنبياء عليهم السلام ، فقال : ادعوا إلى الله . فهذا عين المكر . . . إلى آخر كلامه .

وهذا هو السر في تنسكهم . على أنهم قد استغنوا في هذا الزمان عن التنسك ؛ لانقياد أهله بغير ذلك ، وقد يستدرجهم الله وأمثالهم - ممن يريد ضلاله - بإظهار شيء من الخوارق على أيديهم ، كما يظهره الله على يد الدجال ، وأيدى بعض الرهبان ، ليتبين الموقن من المرتاب .

مثالهم في زندقتههم

وقد ضربوا - لتصحيح زندقتههم - مثالا مكروا فيه بمن لم ترسخ قدمه في الإسلام ، ولا خالط أنفاس النبوة ، حتى صار يدفع الشبه . حاصل ذلك المثال : أنهم يصلون إلى الله بغير واسطة المبعوث بالشرع ^(٢) ، فتم لهم المكر ،

(١) من حديث رواء البخارى - واللفظ له - ومسلم وأبو داود والنسائي .

(٢) قال ابن عربى : « علماء الرسوم يأخذون خلفا عن سلف إلى يوم القيامة ،

فيبعد النسب . والأولياء يأخذون عن الله ألقاه في صدورهم » المناوى ص ٢٤٦

وتبعهم في ذلك أكثر الرعاع ، ولم يبالوا بخرق الإجماع ، وذلك المثال : أن ملكاً أقام على بابه سيافاً ، وقال له : من دخل بغير إذنك فاقتله ، وقال لغيره : أذنت لك في الدخول متى شئت ، فإذا دخل الغير ، فقد أصاب ، وإن قتله السياف فقد أصاب . وعنوا بالسياف : الشارع . فما أفادهم مثالهم مع زندقتهم به شيئاً . فإنهم اعترفوا فيه بإباحة دماهم ، وهو قصد أهل الشريعة ، ومن يعتقد أن لأحد من الخلق طريقاً إلى الله من غير متابعة محمد صلى الله عليه وسلم ، فهو كافر من أولياء الشيطان بالإجماع ، فإن رسالته صلى الله عليه وسلم عامة ودعوته شاملة .

احتجاج الصوفية بقصة الخضر

ولا حجة لهم في قصة الخضر مع موسى عليهما السلام ، للفرق بخصوص تلك الرسالة ، مع أن الخبر يعلم الخضر جاء من الله تعالى ^(١) إلى موسى عليه

(١) يقول ابن تيمية « ولا حجة فيها - أي في قصة الخضر - لوجهين . أحدهما : أن موسى لم يكن مبعوثاً إلى الخضر ، ولا كان يجب على الخضر اتباع موسى ، فإن موسى كان مبعوثاً إلى بني إسرائيل ، ولهذا قال الخضر لموسى : إنك على علم من علم الله علمك الله إياه ، وأنا على علم من الله علمنيه لا تعلمه أنت . ومحمد رسول الله إلى جميع الثقلين فليس لأحد الخروج عن مبايعته ظاهراً وباطناً ، ولا عن متابعة ما جاء به من الكتاب والسنة في دقيق ولا جليل ، لا في العلوم ، ولا في الأعمال . وليس لأحد أن يقول له كما قال الخضر لموسى . وأما موسى فلم يكن مبعوثاً إلى الخضر .

الثاني : إن قصة الخضر ليس فيها مخالفة للشريعة . بل الأمور التي فعلها تباح في الشريعة ، إذا علم العبد أسبابها كما علمها الخضر ، ولهذا لما بين أسبابها لموسى واقعته على ذلك ، ولو كان فيها مخالفة للشريعة لم يواقعها بحال . فإن خرق السفينة مضمونه : أن المال المعصوم يجوز للإنسان أن يحفظه لصاحبه بإتلاف بعضه ، فإن ذلك خير من ذهابه بالكلية ، كما جاز للراعي على عهد النبي صلى الله عليه وسلم أن يذبح الشاة التي خاف عليها الموت . وقصة الغلام مضمونها : جواز قتل الصبي الصائل =

السلام ، فأين هي من دعاويهم^(١) ؟ ! ولا شبهة عليها ، فضلا عن دليل ، بل هي مصادمة للقواطع ، ومن صادم القواطع ، انقطعت عنه ، ولو بلغ في الزهد والعبادة أقصى الغايات (٨٨ : ٢ - ٤ وجوه يومئذ خاشعة . عاملة ناصبة . تصلي نارا حامية) الآيات . ولو وقعت منهم الخوارق ، فإنها شيطانية . قال الله تعالى : (٤٣ : ٣٦) ومن يعيش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطاناً ، فهو له قرين (٦ : ١٢١) وإن الشياطين ليوحون إلى أوليائهم ؛ ليجادلوكم ، وإن أطمعهم ، إنكم لمشركون) .

القول في صرف الكلام عن ظاهره

وسميت هذه الأوراق : تنبيه النبي على تكفير ابن عربي ، وإن شئت فسمها : النصوص من كفر [٤] الفصوص ، لأنني لم أستشهد على كفره ، وقبيح أمره إلا بما لا ينفع معه التأويل من كلامه ، فإنه ليس كل كلام يقبل تأويله ، وصرفه عن ظاهره . وذلك يرجع إلى قاعدة الإقرار بشيء وتعقيبه بما يرفع شيئاً ما من معناه ، ولا خلاف عند الشافعية في أنه إن كان مفصولاً لا يقبل ، وأما إذا كان موصولاً ، ففيه خلاف . ومن صورة ما لا ينفع فيه الصرف عن الظاهر ،

ولهذا قال ابن عباس : وأما الغلمان فإن كنت تعلم منهم ما عمله الحضر من ذلك الغلام فاقتلهم وإلا فلا . وأما إقامة الجدار ففيها فعل المعروف بلا أجرة مع الحاجة ، إذا كان لذرية قوم صالحين « باختصار عن مجموعة الرسائل والمسائل ج ٤ ص ٦٧ . وأقول : على فرض أن في القصة مخالفة الباطن للظاهر . فهذا بالنسبة إلى شريعتين ، شريعة الحضر وشريعة موسى . أما الأمر بالنسبة إلى الحضر ، فكان ما فعله هو الظاهر في شريعته ، فلم يخالف ظاهر ما فعل باطن ما به أمر . فليس إذن شمقباطن خالف ظاهراً ، أما دعوى الصوفية فتفتري جواز مخالفة الباطن للظاهر في الشريعة الواحدة .

كما لو أقر ببيع ، أوهبة ، ثم قال : كان ذلك فاسدا ، فأقررت بظني الصحة ، فإنه لا يَصَدَّقُ في ذلك .

حكم من ينطق بكلمة ردّة

ونقل الشيخ سراج الدين بن الملتن في العمدة على المنهاج ، والزركشي في التكملة عن إمام الحرمين ، أنه قال في أوائل الإيمان : « قال الأصوليون : لو نطق بكلمة الردة ، وزعم أنه أضمر تورية كفر ظاهرا وباطنا » قال الإمام الغزالي^(١) في البسيط بعد حكايته أيضا عن الأصوليين : « لحصول التهاون منه ، وهذا المعنى - يعني التهاون - لا يتحقق في الطلاق ، فاحتمل قبول التأويل بإطلاقه » . وسيأتي ما يشهد لذلك من نقل شيخ الإسلام الشيخ زين الدين العراقي عن العلامة علاء الدين القونوي مُحَسَّنًا له ، على أن بعض العلماء غلب جانب الحرمة لله ولرسله فمنع التأويل مطلقا . قال القاضي أبو الفضل عياض^(٢) المالكي في كتابه :

(١) لقب الغزالي في التاريخ الذي صنعه الأهواء بالإمام ، وغوى فيه حتى لقب بحجة الإسلام . أما هو في التاريخ الذي يستمد من الحق قصصه وعبره . ويشهد بصدقه كتبه . فليس من هذه الألقاب السحرية في شيء . بما خلفه في كتبه من تراث هو أرجاس من الباطنية ، والصوفية ، والفلاسفة ، وفيه ما يناقض أصول الدين الذي لقب هو بأنه حجة وإمامه . يقول ابن تيمية عنه - وقوله عن بيعة « ولهذا صنف الكتب المضمون بها على غير أهلها . وهي فلسفة محضة سلك فيها مسلك ابن سينا » ثم يقول عن كتابه المضمون به على غير أهلها « وهو فلسفة محضة . قول المشركين من العرب خير منه ، دع قول اليهود والنصارى » النبوات لابن تيمية ص ٨٢ - ٨١ وقال عنه أخص أصحابه أبو بكر بن العربي الفقيه المالكي « شيخنا أبو حامد دخل في بطن الفلاسفة ، ثم أراد أن يخرج منها فما قدر » والغزالي نفسه يقر في كتابه التأويل : بأنه رجل ردىء البضاعة في الحديث !!

(٢) ولد بمدينة سبتة سنة ٤٧٦ هـ وتوفي بمراكش سنة ٥٤٤ هـ .

الشفاء ، وهو الذى تلقته الأمة بالقبول ، وتدارسوه فى الارتحال والحلول^(١) -
فى القسم الرابع منه : « فصل : الوجه الرابع : أن يأتى من الكلام بمجمل ،
ويلفظ من القول بمشكل يمكن حمله على النبي صلى الله عليه وسلم ، أو غيره ، أو
يتردد فى المراد به من سلامته من المكروه ، أو شره ، فهنا مُتَرَدِّدُ النظر ، وحيرة
العبر ، ومظنة اختلاف المجتهدين ، ووقفه استبراء^(٢) المقلدين ؛ (٨ : ٤٣) ليهلك
من هلك عن بينة ، ويحيى من حى عن بينة) فمنهم من غلب حرمة النبي صلى الله
عليه وسلم ، وحى حى عرضه ، فجسر على القتل ، ومنهم من عظم حرمة الدم^(٣) »

بيان ماهو من المقالات كفر

وقال فى فصل بيان ماهو من المقالات كفر : « كل مقالة صرحت بنفى
الربوبية ، أو الوجدانية ، أو عبادة أحد غير الله ، أو مع الله ، فهى كفر ،
كقالة الدهرية^(٤) ، وسائر فرق [أصحاب^(٥)] الإثنين [من الديبصانية^(٦)]

(١) ليس للشفاء هذه القيمة التى مجده بها البقاعى . قال الحافظ الدهبى عنه :
إنه محشو بالأحاديث الموضوعة ، والتأويلات الواهية الدالة على قلة تفقده مما لا يحتاج
إليه قدر النبوة .

(٢) فى الأصل : استبر . والتصويب من الشفاء .

(٣) ص ٢٥٥ ج ٢ الشفاء ط الأستانة سنة ١٢٩٠ هـ

(٤) يقول عنهم الحميري فى كتابه الحور العين ص ١٤٣ : « إنهم القائلون بقدوم
العالم وقدام الدهر ، وتديره للعالم وتأثيره فيه ، وأنه ما أبلى الدهر من شيء أحدث
شيئاً آخر » ويتحدث الشهرستانى عنهم فى الملل ، فيقول عنهم : « أنكروا الخلق
والبعث والإعادة ، وقالوا بالطبع المحي ، والدهر المفق ، وهم الذين أخبر عنهم القرآن
المجيد (٤٥: ٢٤) وقالوا ما هى إلا حياتنا الدنيا ، نموت ونحيا ، وما يهلكنا إلا الدهر)
إشارة إلى الطبائع المحسوسة فى العالم السفلى ، وقصر الحياة والموت على تركيبها
وتحللها ، فالجامع هو الطبع ، والمهلك هو الدهر » ص ٢٥٩ ج ٢ ط توفيق .

(٥) ما بين هذين [] ساقط من الأصل . وأثبتته نقلا عن الشفاء .

(٦) هم أصحاب ديسان القائلون بأصلين : النور والظلام ، فالأول يصنع الخير =

والمنازية^(١) ، وأشباههم من الصابئين^(٢) والنصارى والمجوس^(٣)] والذين أشركوا

= قصداً واختياراً ، والثاني يفعل الشر طبعاً واضطراراً ، ويزعمون أن سمع النور وبصره وسائر حواسه شيء واحد . فبصره هو بصره ، وبصره هو حواسه » انظر ص ٨٩ من الملل والنحل .

(١) أصحاب ماني بن فاثك الذي ظهر في عهد سابور بن أردشير . وضع ديناً بين المجوسية والنصرانية ، وزعم أن العالم مركب من أصلين قديمين نور وظلمة . الأول مصدر الخير ، والثاني مصدر الشر . ويدعي ماني بأن الظلام امتزج بالنور امتزاجاً كلياً في هذا الوجود ، ولا يمكن أن يفصل النور عن الظلام إلا بعد أن ينفى هذا العالم ، ولهذا حرم الزواج على أتباعه حتى يبيد النوع الإنساني ، فيستطيع النور الخلاص من الظلام ، ولهذا قتله الملك . ودعوة ماني ذات نزعة تشاؤمية سوداء ، شديدة الغلو في الحث على الزهد والحرمان .

(٢) اختلف في شأن الصابئة . فالمسعودي يرى أنهم عبدة الكواكب ، فيقول في المروج — وهو بصدد الحديث عن أحد ملوك الفرس : « وظهر في سنة من ملكه رجل يقال له : بوداسف أحدث مذهب الصابئة ، وقال : إن بحالي الشرف الكامل ، والصالح الشامل . ومعدن الحياة في هذا السقف المرفوع «يعنى السماء» وأن الكواكب هي المدبرات والواردات والصادرات «مروج الذهب ج ١ ص ٢٢٢ ويقول عنهم الحميري في الحور العين ص ١٤١ » وقال الصابئون : شيثان قديمان : نور وظلام ، فالنور عالم ، والظلام جاهل . وقيل : إن الصابئين قوم يعبدون الملائكة . وقيل : إن الصابئين قوم يخرجون من دين إلى دين » .

ويقول الرازي في اعتقادات فرق المسلمين والمشركين ص ٩٠ : « إنهم قوم يقولون : إن مدبر هذا العالم وخاتمه هذه الكواكب السبعة والنجوم ، فهم عبدة الكواكب » ويقول الشهرستاني في الملل والنحل « ذكرنا أن الصبوة في مقابل الخفية . وفي اللغة : صبا الرجل إذا مال وزاغ ، فبحكم ميل هؤلاء «يعنى الصابئة» عن سنن الحق ، وزيفهم عن نهج الأنبياء ، قيل لهم : الصابئة ، وإنما مدار مذهبهم على التعصب للروحانيين » .

ويقول في موضع آخر « ومنهم — أي من الناس — من يقول بالمجوس والمعقول والحدود والأحكام ، ولا يقول بالشرعية والإسلام ، وهم الصابئة » وانظر القرطبي ج ١ ص ٣٨٠ ، وابن خلدون ج ١ ص ١١٦ .

(٣) هم الثنويون من الفرس الذين يثبتون أصلين مدبرين قديمين يقتسمان الخير =

بعبادة الأوثان ، أو الملائكة ، أو الشياطين ، أو الشمس ، أو النجوم ، أو النار ، أو أحد غير الله ^(١) . ثم قال : « وكذلك من أقر بالوحدانية ، وصحة النبوة ، ونبوة نبينا عليه السلام ، ولكن جوز على الأنبياء الكذب فيما أتوا به . ادعى في ذلك المصلحة بزعمه ، أو لم يدعها - فهو كافر بإجماع ، كالمفلسين ، وبعض الباطنية ^(٢) والروافض ^(٣) ، وغلاة المتصوفة ، وأصحاب الإباحة ^(٤) ؛ فإن هؤلاء

= والشر . انظر الملل والنحل للشهرستاني ج ٢ ص ٥٩ ط صبيح ، والحوار العين للحميري ص ١٤٢ ، واعتقادات فرق المسلمين والمشرىين للرازى ص ٨٦ .
(١) ص ٢٦٨ ج ٢ الشفاء .

(٢) بل كل الباطنية ، فما من باطنى إلا وهو يطن البغضاء لله ورسوله ، وأولى الناس بهذا اللقب هم الصوفية .

(٣) يقول الأشمري في كتابه المقالات « وإنما سموا رافضة لرفضهم إمامة أبى بكر وعمر ، وهم مجمعون على أن النبي صلى الله عليه وسلم ، نص على استخلاف على بن أبى طالب باسمه وأظهر ذلك وأعلنه ، وأن أكثر الصحابة ضلوا بتركهم الاقتداء به بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم » ص ٨٧ . ويقول ابن تيمية « فهذا اللفظ - يعنى الرافضة - أول ما ظهر فى الإسلام ، لما خرج زيد بن على بن الحسين فى أوائل المائة الثانية فى خلافة هشام بن عبد الملك ، واتبعه الشيعة ، فسئل عن أبى بكر وعمر ، فتولاهما وترحم عليهما ، فرفضه قوم . فقال : رفضتمونى ، رفضتمونى ، فسموا : الرافضة » ص ٢٥ ط مجموعة الرسائل الكبرى . وانظر ص ١٨٤ من الحوار العين فيه تفصيل مدار بين الرافضة وبين زيد من محاجة فى شأن أبى بكر وعمر .

(٤) هم صنفان . صنف كانوا قبل قبل دولة الإسلام كالمزدكية ، وصنف ظهروا فى الإسلام . وهم كذلك صنفان . بابكية ، ومازيارية . والأول أتباع الحرثى الذى ظهر فى الجبال بناحية أذربيجان ، وكثروا واستباحوا المحرمات وقتلوا الكثير من المسلمين . وأما المازيارية فهم أتباع مازيار . وكانت لهم ليلة يجتمعون فيها على الخمر والزمر . رجالهم ونساؤهم ، فإذا طفت السرج افتض الرجال النساء . انتهى مختصراً عن مختصر الفرق بين الفرق ص ١٦٢ ، وانظر ص ٧٤ من الاعتقادات للرازى وص ٣١ من كشف أسرار الباطنية للحمدادى . ولعله لقب عام يصدق على كل طائفة =

زعموا أن ظواهر الشريعة [٥] وأكثر ما جاءت به الرسل من الأخبار عما كان ويكون من أمور الآخرة والحشر والقيامة والجنة والنار ، ليس منها شيء على مقتضى لفظها ، ومفهوم خطابها ، وإنما خاطبوا بها الخلق على جهة للصحة ، إذ لم يمكنهم التصريح لقصور أفهامهم^(١) ؛ فَمُضْمَنٌ^(٢) مقالاتهم إبطال الشرائع ، وتعطيل الأوامر والنواهي ، وتكذيب الرسل والارتياح فيما أنوبه . . . وكذلك تكفر من ذهب مذهب بعض القدماء في أن [في]^(٣) كل جنس من الحيوان نذيراً ونبياً من الفردة والخنازير والدواب والدود [ويحتاج بقوله تعالى : (٣٥ : ٢٤) وإن من أمة إلا خلا فيها نذير^(٤)] إذ ذلك يؤدي إلى أن توصف أنبياء هذه الأجناس

== تستيح لنفسها ما حرمه الله سبحانه ، ولعل القراء على ذكر مما نشرته الصحف عن إحدى الطرق الصوفية التي استباح شيخها لنفسه أعراض أتباعه رجالاً ونساء ، مما يؤكد لهم أن كل طريقة صوفية : إنما هي امتداد لفرقة سابقة ناهضت الإسلام ، وناذت شرعته .

(١) يقول ابن سينا « أما أمر الشرع فينبغي أن يعلم فيه قانون واحد ، وهو أن الشرع والمثل الآتية على لسان نبي من الأنبياء يرام بها خطاب الجمهور كافة . ثم من المعلوم الواضح ، أن التحقيق الذي ينبغي أن يرجع إليه في صحة التوحيد من الإقرار بالصانع موحداً مقدساً — تمتنع إفساؤه إلى الجمهور . ثم لم يرد في القرآن من الإشارة إلى هذا الأمر الأهم شيء ، ولا أتى بصريح ما يحتاج إليه من التوحيد بيان مفصل ، وإذا كان الأمر في التوحيد هكذا ، فكيف فيما هو بعده من الأمور الاعتقادية » باختصار عن رسالة الأضحوية لابن سينا من ص ٤٤

وهكذا يدين الفلاسفة ومخانيثهم الصوفية بأن ليس في القرآن ما يهدي النفس إلى التوحيد أو يبين للفكر ما يجب اعتقاده في الله ، وغير هذا من الأمور التي هي قوام الدين وملاكه . يدينون بهذا الإلحاد ، ويقررونه في كتبهم في جرأة بالغة السفه والفحوة والجحود بآيات الله التي تقرر في جلاء وإشراق ما يجمع به الفلاسفة .

(٢) في الأصل : فمضمون ، وهي كما أثبتتها في الشفاء .

(٣) ساقطة من الأصل . وأثبتتها عن الشفاء .

(٤) القائلون بهذا هم الحائطية أنباع أحمد بن حنبل ، أحد أصحاب النظام ==

بصفاتهم المذمومة ، وفيه من الإضرار على هذا المنصب اللئيم ما فيه ، مع إجماع المسلمين على خلافه ، وتكذيب قائله^(١) » انتهى

قلت : فكيف بمن يدعى أن الإله عين كل شيء من ذلك^(٢) ؟ !
« وكذلك وقع الإجماع على تكفير كل من دافع نص الكتاب ، أو خص^(٣)
حديثاً مجمماً على نقله ، مقطوعاً به ، مجمماً على حمله على ظاهره ، كتكفير الخوارج
بإبطال الرجم ؛ ولهذا نكفر من دان بغير ملة المسلمين من الملل ، أو توقف فيهم
أوشك ، أو صحح مذهبهم ، وإن أظهر مع ذلك الإسلام واعتقده ، واعتقد إبطال
كل مذهب سواه ، فهو كافر بإظهاره^(٤) » ما أظهر من خلاف^(٥) ذلك . انتهى
قلت : فكيف بمن يقول : إن جميع الخلق من أهل الملل وغيرها على
صراط مستقيم^(٦) ، وأن فرعون مات طاهراً مطهراً^(٧) بعد النص القطعي على أنه

= أنظر ص ٢٠ من كتاب الفرق الإسلامية للأستاذ محمود البشبيشى . وما بين
هذين [] أثبتته عن الشفاء .

(١) ص ٢٩٦ ، ٢٧٠ ج ٢ من الشفاء .

(٢) أى من القردة والخنزير والدواب والدود التى كفر القاضى عياض من
يزعم النبوة لشيء منها . واقتراء أن الإله عين كل شيء من هذه وغيرها ، هو دين
ابن عربى وأحلاس زندقته . لإيمانه بوحدة الوجود .

(٣) كذا بالأصل . وبصلب الشفاء أيضاً ، ولكن على هامش الشفاء ط الآستانة
تصويب هو « أو نص حديث مجمع على نقله مقطوع به ، مجمع على حمله على ظاهره »
وهو هكذا فى الشفاء . ط المطبعة الأزهرية بشرح القارى . وهذا هو الصواب .
بدليل ما كفر به الخوارج ، وهو إبطالهم للرجم ، والرجم إنما نصت عليه السنة
لا القرآن فتكون العلة فى تكفير القاضى لهم هى مخالفتهم لنص حديث .

(٤) فى الأصل : وما . والتصويب من الشفاء .

(٥) ص ٥١٠ ج ٤ ط المطبعة الأزهرية بشرح القارى .

(٦) هذا دين ابن عربى لإيمانه بوحدة الأديان .

(٧) سبأى النص بلفظه .

من أهل النار ؛ بقوله تعالى : (١٠ : ٨٣ وإن فرعون لعالٍ في الأرض ، وإنه لمن المترفين) وقوله تعالى : (٤ : ٤٣ وأن المترفين هم أصحاب النار) !!
وقال : ^(١) إن كل عابد شيئاً فهو عابد لله ، وحرّف ما أخبر به عن عذاب قوم نوح وهود ، ونحوهم بما سيأتي من أن ما حلّ بهم أعقبهم راحة وعذوبة ، وأن الله تعالى كان ناصرهم على أنبيائه ، فإن العداوة ما كانت إلا بينهم وبينهم ؟ !
قال ^(٢) : « وكذلك نقطع بتكفير كل من كذب ، وأنكر قاعدة من قواعد الشرع » ^(٣) ثم قال : « وأجمع فقهاء بغداد أيام المقتدر من المالكية ، وقاضى قضاتها أبو عمرو المالكي على قتل الحلاج » ^(٤) وصلبه لدعواه الإلهية ، والقول بالحلل ، وقوله : أنا الحق ، مع تمسكه في الظاهر بالشرعية ، ولم يقبلوا توبته ، وكذلك حكموا في ابن أبي الغرافيد ^(٥)

(١) أي ابن عربي .

(٢) أي القاضى عياض .

(٣) ص ٢٧٢ ج ٢ الشفاء ط الآستانة .

(٤) هو الحسين بن منصور ولد سنة ٢٤٤ هـ وهلك مصلوباً سنة ٣٠٩ . وفي عصره تم انتقال التصوف من جانبه العملي إلى جانبه النظري . فبدأ الصوفية يتحدثون عن ماهية الإله ، وعن حقيقة العلاقة التي تربط الإنسان بالله : وقد آمن الحلاج بثنائية الطبيعة الإلهية باللاهوت والناسوت ، وآمن بحلول اللاهوت في الناسوت . والحلاج في هذا متأثر بالمسيحيين السريان الذين استعملوا اللاهوت والناسوت للدلالة على طبيعتي المسيح . يقول في الطواسين ص ١٣٤ :

أنا من أهوى ، ومن أهوى أنا نحن روحان حللنا بدنا

فإذا أبصرتني ، أبصرته وإذا أبصرته أبصرتنا

ويقول في ص ٥١ « أنا الحق ، وصاحبي وأستاذي إبليس وفرعون » .

(٥) هو محمد بن طي أبو جعفر الشلمغاني . كان يعتقد أنه إله الآلهة ، وأن الله سبحانه يحل في كل شيء على قدر ما يحتمل ، وأنه قد حل في آدم ، وفي إبليس ، وأن الله تعالى إذا حل في جسد أظهر من القدرة والمعجزة ما يدل على أنه هو الله =

وكان على [نحو] ^(١) مذهب الخلاج - بعد هذا أيام الراضى وقاضى قضاة بغداد يومئذ أبو الحسين بن أبي عمر المالسكى ^(٢) « انتهى .

قلت : فكيف عن يقول صريحاً : إن الخلق هو الحق ^(٣) ، والحق هو الخلق . والحق هو الإنسان الكبير ، وهو حقيقة العالم وهويته ؟ !

وقال شيخ الإسلام الشيخ محي الدين النوى الشافعى فى كتاب الردة الروضة ^(٤) مختصر الرافعى . قال المتولى : « من اعتقد قدم العالم ، أو حدوث [٦] الصانع - إلى أن قال - أو أثبت له الانفصال ، أو الاتصال ، كان كافراً ^(٥) » انتهى .

له كتاب اسمه الحاسة السادسة ، صرح فيه برفض الشريعة وإباحة اللواط . وزعم أنه إيلاج نور الفاضل فى الفضول ، ولذا أباح أتباعه نساءهم له ، طمعاً فى إيلاج نوره فيهن . وكان يسمى محمداً وموسى بالخائنين ، زعماً منه أن هرون أرسل موسى ، وأن علياً أرسل محمداً فخاناها . صلب فى خلافة الراضى سنة ٣٢٢ انظر الكامل لابن الأثير ج ٦ ص ٢٤١ ، والشذرات ج ٢ ص ٢٩٣ ، ومختصر الفرق ص ١٦٠

(١) ساقطة من الأصل . وأثبتها عن الشفاء .

(٢) ص ٢٨٢ ج ٢ الشفاء .

(٣) يعنى الصوفية بالحق : الله تبارك وتعالى .

(٤) لعله سقط حرف «من» قبل لفظ الروضة .

(٥) فى التصريح بنفى الاتصال والانفصال معاً فى آن واحد ، وعن ذات واحدة خلل منطقى . فهما يتقابلان تقابل السلب والإيجاب . فيلزم من انتفاء أحدهما ثبوت الآخر . وفيهما أيضاً إجمال واشتباه ، فقد يعنى بالانفصال أنه سبحانه بائن من خلقه مستو على عرشه ، ليس كمثل شىء . وهذا حق يؤمن به من أسلم قلبه لله ، ووحدته توحيداً صادقاً فى ربوبيته وآمن بأسمائه وصفاته كما هى فى القرآن والسنة .

وقد يعنى بالانفصال أنه سبحانه لا يتصل بالعالم صلة خلق أو تدبير ، أو علم منه سبحانه ، أعنى نفي كونه خالقاً علياً يدبر الأمر ، أو أنه سبحانه ليس لإرادته ، أو قدرته أثر فى مقادير الوجود ، وغير ذلك مما يدين به الفلاسفة ، ومرادهم منه =

قلت فكيف بمن يصرح بأنه ^(١) عين كل شيء ؟! قال : « والرضى بالكفر كفر » . قلت : فكيف بمن يَصُوبُ كل كفر ، وينسب ذلك التصويب إلى نقل الله تعالى له عن نبيه هود عليه السلام ؟
ويقول : إن الضلال أهدي من الهدى ؛ لأن الضال حائر ، والحائر دائر

= نفي الخالق القادر المريد المختار . وهذا كفر بمحمد بالربوبية والإلهية .
وكذلك الاتصال : فقد زاد به أنه سبحانه يدبر الكون ، ويصرف الليل والنهار ، ويسخر الشمس والقمر ، ويحيط عله بكل شيء كلياً كان أو جزئياً ، وتشمل قدرته كل شيء ، وغير هذا مما يشهد بكمال الربوبية . وهذا حق لا يتم الإيمان إلا به . وقد يعنى به مفهومه الصوفي ، أى أنه سبحانه حال فى كل شيء ، أو متحد بكل شيء ، أو أنه عين كل شيء ، أو أنه هو الوجود السارى فى كل موجود ، ومن يدين بهذا فهو زنديق ، أو مجوسى ، أو بتعبير أدق : صوفى . فالصوفية مرادفة لكل ما يناقض الإيمان الحق ، والتوحيد الحق . لذا يجب على كل من يخبر عن الله أو صفاته أو أسمائه أن يلتزم حدود ما أخبر الله به عن نفسه ، وأخبر الرسول به عن ربه ، وإلا تزندق ، أو تمجس كالصوفية ، وألحد كالفلasفة ، وضل كالمسكمين ألم تر إلينا نحن البشر كيف نعيب فلانا بأنه لم يكن دقيق التعبير عن المذهب الفلسفى أو الأخلاقى ، أو الفنى لفلان ، أو لم يكن مهذباً فيما تحدث به عن فلان ، أو خاطب به فلانا ، بل قد نذهب فى مذمته كل مذهب ، حتى ننهجه بالعى والفهاة والسفه ، فكيف — والله المثل الأعلى — نطلق للقلم العنان فيما يكتب عن الله ، مما يصوره له الأفق والوهم عن ذات الله وصفاته ؟ وكيف نستبيح — سادرين — الإخبار عن الله سبحانه بما لا يجب ، وما لا يرضى ، وما لم يخبر به عن نفسه . ونصف هذه الجرأة الكافرة بأنها حرية فكرية أو تجاوب مع العقل ، أو استيحاء من الذوق !! ولقد كان من نتائج هذه الحرية المزعومة — والحق أنها عبودية للوهم وللشيطان — أن آمن بعض الناس برب لا يوصف إلا بالسلب ، أى بالعدم نعتوه رباً . أو برب هو عين العبد ، أو بآله يجب أن يعبد فى كل شيء ، لأنه عين كل شيء !! . فلتعبد العبودية ربوبية الله ، بما يجب سبحانه وحده أن تعبد به .
(١) أى الله سبحانه .

حول القطب^(١) والمتمتدى سالك في طريق مستطيل ، فهو بعيد عن القطب ؟ !
وسترى ذلك كله في عباراته^(٢) صريحا .

ثم نقل الشيخ محيي الدين النووي عن الحنفية - مرتضيا له - قائلا : « إن إطلاق أصحابنا يقتضى الموافقة عليه . أنه إذا سخر بوعده الله تعالى ، أو بوعيده كفر . ولو قال : لا أخاف القيامة - كفر » انتهى .

قلت : فكيف بمن يقول : إنه ليس لوعيد الله عينٌ تعين ، وأن الآخرة موضع السعادة لكل أحد ، والمعذب مُنعمٌ بعذابه ؟ !

ثم نقل الشيخ عن القاضي عياض - مرتضيا له - : « أن من لم يكفر من دان بغير الإسلام ، كالنصارى ، أو شك في تكفيرهم ، أو صحح^(٣) مذهبهم ، فهو كافر ، وإن أظهر مع ذلك الإسلام ، واعتقده - قال : وكذا تقطع بتكفير كل قائل قولاً يتوصل به إلى تضليل الأمة ، أو تكفير الصحابة^(٤) » ..

ثم قال^(٥) في الباب الثاني في أحكام الردة : « إن حكمها إهدار دم المرتد ، فيجب قتله إن لم يتب ، سواء كان الكافر الذي ارتد إليه كفراً ظاهراً ، أو غيره ككفر الباطنية » انتهى .

(١) القطب عند الصوفية عبارة عن « الواحد الذى هو موضع نظر الله في الأرض في كل زمان ، أعطاه الطلسم الأعظم من لئله ، وهو يسرى في الكون وأعيانه الباطنة والظاهرة سريان الروح في الجسد ، ويفيض روح الحياة على الكون الأعلى والأفل » . وستعرف مما سنذكره عن خصائص القطب أن ابن عربى يريد بالقطب هنا الله سبحانه وهو في زعمه متعين في صورة الحقيقة المحمدية

(٢) أى عبارة ابن عربى . فكل ما يذكره المؤلف دائماً بعد قوله : قلت فكيف بمن يقول . . . هو من دين ابن عربى .

(٣) في الأصل : صح .

(٤) انظر ص ٢٧١ ج ٢ من الشفاء .

(٥) أى النووي .

وقال الإمام شرف الدين إسماعيل بن المقرئ في مختصر الروضة : « فمن اعتقد قدم العالم - إلى أن قال - أو شك في تكفير اليهود والنصارى ، وطائفة ابن عربى - كفر ، لا إن جعل لقرب إسلامه أو بعده عن المسلمين »^(١) . انتهى

الباطنية^(٢)

قال الإمام محمد بن عبد الكريم الشهرستاني في كتاب الملل والنحل : « وإنما لزمهم - يعنى الباطنية - هذا اللقب لحكمهم بأن لكل ظاهر باطنا ، ولكل تنزيل تأويلا ، ولهم ألقاب كثيرة سوى هذه على لسان قوم [قوم]^(٣) فبالعراق يسمون الباطنية والقرامطة^(٤) والمزدكية ، وبخراسان : التعليمية والملحدة ، وهم يقولون : نحن إسماعيلية^(٥) ، لأننا نُسَيَّر عن فرق الشيعة بهذا الاسم ، وهذا

(١) كذا بالأصل . وفي الكلام اضطراب . فليحذر

(٢) يقول أبو المظفر الاسفراينى في التبصير ص ٨٤ : « إن الدين وضعوا دين الباطنية كانوا من أولاد المجوس ، وكان ميلهم إلى دين أسلافهم ، ولكنهم لم يقدروا على إظهاره مخافة سيوف المسلمين »

(٣) ساقطة من الأصل ، وأثبتها عن الملل والنحل

(٤) طائفة سياسية دينية اتخذت الدعوة إلى إسماعيل بن جعفر الصادق وسيلة إلى تحقيق أغراضها السياسية والدينية ، هى قلب الدولة الإسلامية ، وبعث المجوسية الفارسية ، وقد عرفت بهذا نسبة إلى حمدان بن الأشعث العروف بقرمط ، وكان فى أول أمره أكارا من أكرة سواد الكوفة ، وقد ظهر بدعوته الملعونة أيام المأمون ، وقد نجحت هذه الفرقة فى إقامة دولة لها فى بلاد البحرين ، وجعلت الأحساء عاصمة لدولة القرامطة

(٥) فرقة من الشيعة الإمامية ، تزعم أن الإمامة انتقلت من جعفر الصادق — وهو الإمام السادس للشيعة — إلى ولده إسماعيل . ومنهم الفاطميون . وهم الآن فريقان : البهرة السليمانية أتباع أغا خان وعم فى الهند وزنجبار والشام ، يرون فى زعيمهم إلها مقدسا يصير كل مامسه مقدسا . ومبادل هذا الإله وتهتكاته مشهورة =
٣ — مصرع التصوف

الشخص - يعنى إسماعيل بن جعفر - ثم إن الباطنية القديمة خلطوا كلامهم ببعض كلام الفلاسفة ، وصنفوا كتبهم على ذلك المنهاج ، فقالوا فى البارئ تعالى : إنا لا نقول : هو موجود ، ولا : لا موجود ، ولا عالم ، ولا جاهل ، ولا قادر ، ولا عاجز وكذلك فى جميع الصفات ، فإن الإثبات الحقيقى يقتضى شركة بينه وبين سائر الموجودات فى الجهة التى أطلقناها عليه ، وذلك تشبيه ، فلم يمكن الحكم بالإثبات المطلق ، والنفى المطلق ، بل هو إله المتقابلين ، وخالق الخصمين ، والحاكم بين المتضادين^(١) ، ونقلوا فى هذا نصا عن محمد بن على الباقر [٧] أنه قال : لما وهب العلم للعالمين قيل : هو عالم ، ولما وهب القدرة للقادرين قيل : هو قادر ؛ فهو عالم قادر ؛ بمعنى أنه وهب العلم والقدرة ، لا بمعنى أنه قائم به العلم والقدرة ، أو وُصِفَ بالعلم والقدرة ، فقيل [فيهم]^(٢) إنهم نفاة الصفات حقيقة ، معطلة الذات عن

== معروفة لرواد مواخير فرنسا ، وغيرها ، وأندية القمار . وأتواته المفروضة على أتباعه تجعل منه قارون العصر الحديث . والفريق الثانى : هم البهرة الداودية . وهم أتباع طاهر سيف الدين ، وينتشرون فى بومباى وكراشى وجبل حراز باليمن ، وبعض جهات زنجبار . واطاهر عليهم الكلمة النافذة التى لا ترد ولا تناقض ، وكيف ، وهو الإمام المعصوم ؟ ! هذا وقد نشط دعاة الإسماعيلية فى السنين الأخيرة نشاطا عجيبا غربيا فى مصر ، من مظاهره اتصال زعمائهم بشيوخ الأزهر ، ونشر بعض أساتذة الجامعة بعض مخطوطاتهم التى كانوا أشد ما يكونون حرصا على إخفائها ، ولا يخالطنا شك فى أن غاية الناشر هى خدمة الحقيقة ، ونحن نرحب بهذا النشر حتى يكون المسلمون على بينة من أمر هذه الطوائف التى تعمل جاهدة فى سبيل أن تكون المجوسية دينا ودولة .

(١) قال الحميرى فى الحور ص ١٤٨ : «وقالت الإسماعيلية : إن الله لا شئ ، ولا : لا شئ لأن من قال إنه شئ فقد شبهه ، ومن قال إنه لا شئ فقد نفاه . فقالوا فيه بالنفى والإثبات جميعا » اقرأ كتاب راحة العقل للكرمانى ففيه تفصيل مذهبهم

(٢) أثبتنا نقلا عن الملل والنحل

جميع الصفات . قالوا : وكذلك نقول في القدم : إنه ليس بقديم ، ولا محدث ، بل القديم أمره وكلته ، والمحدث خلقه وفطرته ^(١) » انتهى .
وقول ابن عربي في الجمع بين التشبيه والتنزيه أشنع من هذا ، وأبشع ، وأقبح وأفظع .

من هو الزنديق ؟

قال الشيخ محي الدين النووي : « وسواء كان ظاهر الكفر ، أو زنديقا يظهر الإسلام ويبطن الكفر » كذا فسر الزنديق في باب الردة في كتاب الفرائض وضعفه الأئمة . قال ابن الملّقن في العمدة ، وقال في كتاب اللّمان في الكلام على التعليل : « إنه الذي لا ينتحل ديناً - قال : وهذا أقرب ؛ لأن الأول هو ^(٢) المنافق ، وقد غيروا بينه وبين الزنديق . قال : وقال الغزالي في الأصول : الزنديق ضربان . زنديق مطلق . وهو الذي ينكر أصل المعاد حساً وعقلاً ، وينكر الصانع . وزنديق مقيد ، وهو الذي يثبت المعاد بنوع عقل ، مع نفي الآلام والذات الحسية الجسمية ، وإثبات الصانع مع نفي علمه ، فهذه زندقة مقيدة بنوع اعتراف بتصديق الأنبياء » . انتهى .

وسياتي في آخر هذا الكتاب عن العلامة علاء الدين البخاري ^(٣) تحقيق معنى الزنديق ، وغيره من أسماء الكفرة .

(١) ص ٣٦٦ ج ١ الملل والنحل ط توفيق

(٢) أي من قال عنه النووي قبل أنه الذي يظهر الإسلام ويبطن الكفر

(٣) هو محمد بن محمد بن محمد علاء الدين البخاري العجمي الحنفي ولد سنة ٧٧٩ هـ ، ونشأ ببخارى . ثم استقر به النوى في مصر ، وفيها علا قدره ، وعظم عند أهلها جاهه ، وقدمات بالشام سنة ٨٤١ . والبخاري صوفي كبير كانت له الكلمة النافذة في عصره ، وإن كان هو ممن كفر ابن الفارض وابن عربي ، وتلك ظاهرة تقف بالنظر عندها ليستبطنها ، ويستخرج من أعماقها العبر ، فكبار =

على أن قتل المعتقد لمثل هذا لا بد منه ، ولو توقفنا في تسميته . قال القاضي عياض : « وما رواه عن عمر بن عبد العزيز وجده وعمه من قولهم في القدرية : يستتابون ، فإن تابوا ، وإلا قتلوا ^(١) » وقال عيسى عن أبي القسم في أهل الأهواء من الأباضية ^(٢) والقدرية وشبههم بمن خالف الجماعة من أهل البدع والتحريف لتأويل كتاب الله تعالى : يستتابون ^(٣) ، وأظهروا ذلك أو أسروه ، فإن تابوا وإلا قتلوا ، وميراثهم لورثتهم . وقال مثله ابن القسم في كتاب محمد في أهل القدر .. وقد انتهى بنا المقال الدال على كفر من اعتقد ما قاله من الضلال ، وهذا حين الشروع في سوق كلامه الموضح لفساد طويته ، وقبح مرامه .

== الصوفية من المشرق والمغرب كانوا ينفدون إلى مصر ، فتكسوم الأوهام طيالس الدهاقين ، وتصنع لهم التهاويل صور القديسين ، كالبخاري والشاذلي والبدوي وغيرهم فلم كانوا ينفدون إلى مصر بالذات ، ولم كانوا يجدون حتى يستذلوا القلوب بهواهم ؟ والملاحظ أن أكثر هؤلاء الصوفية وفدوا إلى مصر بعد طرد الفاطميين منها . والمشهد الذي يلمسه اليقين بالحقيقة أن عقائد كثير من المسلمين في مصر تأثرت بدعوة هؤلاء الصوفية ، حتى صارت ذات رحم ماسة بالجوسية الفاطمية . قد تستطيع الإجابة عن تلك الأسئلة إذا ربطت بين المقدمات والنتائج ، وإذا كنت على بينة من أن التصوف العملي يدين بعبادة مشاهد آل البيت ، سواء أكانت صحيحة النسبة إليهم أم زائفتها ، وإذا كنت على بينة أيضا من أن التصوف النظري يشابه عقيدة الفاطميين ، ويشاكلها في التلبيس والتأويل ، والمصدر والوسيلة والغاية . بل أقول : إنه هي في الظاهر والباطن والأهداف . تستطيع الإجابة عن تلك الأسئلة إذا تبينت كل هذا ، بل ستدرك الجواب الصحيح ، وبخاصة إذا قارنت بين ما ترتب من نتائج دينية وسياسية واجتماعية على الدعوة الفاطمية ، وبين ما ترتب — وما زال — على الصوفية . قارن وتأمل وتجرد ، تجد النتائج واحدة ، تجد الجواب يدفعك دفعا إلى إدراكه ، وهو أن الصوفية دعاة الفاطمية

(١) ص ٢٦١ ج ٢ الشفاء

(٢) إحدى فرق الخوارج أتباع عبد الله بن أباض ، اختلفوا فرقا كثيرة يجمعها القول بالكفر مخالفهم من هذه الأمة ولا يزال منهم بقايا في عصرنا بطرابلس وزنجبار انظر ص ٦١ من الفرق بين الفرق للبغدادى ولا يزالون في الملحمة على ما هم عليه

إفك وبهتان

وأعظم الأمر أنه نسب كفره إلى إذن رسول الله صلى الله عليه وسلم الماحي لجميع الإشرارك ، المخلص لمتبعيه من حبائل سائر الأشرارك ، فقال في الخطبة^(١) :
« أما بعد فإنى رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم في مَبَشْرَةٍ [أريتها في العشر الآخر من محرم سنة سبع وعشرين وستمائة بمحروسة دمشق^(٢)] ويده كتاب ، فقال لى : هذا كتاب فصوص الحكم . خذه ، واخرج به إلى الناس [ينتفعون به] ، فقلت : السمع والطاعة لله ولرسوله ، وأولى الأمر منا [كما أمرنا] فحققت الأمنية ، وأخلصت النية ، وجردت القصد والهمة إلى إبراز^(٣) هذا الكتاب كما حده لى رسول الله صلى الله عليه وسلم [٨] من غير زيادة ولا نقصان^(٤) .
فن الله ، فاسمعوا ... وإلى الله^(٥) فارجعوا ... انتهى

دفع ما اقتراه على الرسول

ولا شك أن النوم والرؤيا في حد ذاتهما في حيز الممكن ، لكن ما أصّله من مذهبه الباطل ألزمه أن يكون ذلك محالا ، وذلك أن عنده أن وجود الكائنات هو الله ، فإذا الكل هو الله ، لا غير ، فلا نبى ولا رسول ، ولا مرسل ، ولا مرسل إليه ، فلا خفاء في امتناع النوم على الواجب ، وفي امتناع افتقار الواجب إلى أن يأمره النبى بشىء في المنام ، فمن هنا يعلم أنه لا يتحاشى من التناقض لهدم الدين بنوع مما ألفه أهله . نبه على ذلك الإمام علاء الدين البخارى فى كتابه « فاضحة الملاحدين ، وناصحة الموحدين » .

(١) أى خطبة كتاب الفصوص لابن عربى

(٢) ما بين هذين [] ساقط من الأصل أو مختصر وأثبتته عن فصوص الحكم

(٣) فى الأصل : إيراد . وهى كما أثبتتها فى الفصوص

(٤) اختصر المؤلف بعدها مقدار سبعة أسطر من مطبوعة الحلبي ، ولو كان فيها

ما يدفع عن الصوفية شبهة لأثبتها ، حتى لا يتهم المؤلف بغير الأمانة فى النقل

(٥) فى الأصل : وإليه . والتصويب من الفصوص

إيمانه بأن الله إنسان كبير

ثم قال ابن عربي في فص حكمة إلهية في كلمة آدمية : « لما شاء الحق سبحانه من حيث أسماؤه الحسنى [التي لا يبلغها الإحصاء] أن يرى ^(١) أعيانها ، وإن شئت قلت : أن يرى عينه في كون جامع يحصر الأمر [كله] ، لكونه متصفا بالوجود ، ويظهر به سره إليه ، فإن رؤية الشيء [بنفسه] بنفسه ما هي مثل رؤية نفسه في أمر آخر يكون له كالمرآة ^(٢) » .

ثم قال : « فكان آدم عين جلاء تلك المرآة ، وروح تلك الصورة ، وكانت الملائكة من بعض قوى تلك الصورة التي هي صورة العالم المعبر عنه في اصطلاح القوم : بالإنسان الكبير ^(٣) » .

ثم قال : « فسي هذا المذكور : إنسانا وخليفة فأما إنسانيته ؛ فلعوم

(١) في الأصل : ترى . وابن عربي يجعل العلة الغائية من الوجود هي تعين الله — سبحانه — في صورة آدم . والله يقول : (٥١ : ٥٦) وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون) . والصوفية يدينون رب كان وجودا مطلقا ، بل وجودا منزها حق عن الإطلاق . لا يوصف بوصف ، ولا يسمى باسم ، ولا يعرف بعقد ولا برسم . ويطلقون عليه في هذه المرتبة « العماء » ويسمون هذه المرتبة : الأحدية ، ويريدون بالعماء أنه سبحانه في مرتبته هذه كان لا يعرف نفسه ، ولا يراها ، ولا يدري هو من هو . ولا يعرفه أحد ، إذ ما ثم غير حق يعرف ويرى ، ثم اشتاق أن يعرف نفسه وأن يرى ذاته ، فتعين في صورة الحقيقة الحمديدية ، ثم راحت الذات تنتقل من مرتبة إلى مرتبة ، حق صار المطلق مقيدا ، أو معينا ، وصارت الوحدة كثرة . بيد أنها كثرة وهمية ، فما من شيء إلا وهو عين الذات هوية وماهية وصفة ، أو ما من شيء إلا وهو اسم إلهي تعين في مادة . والحق عند الصوفية لا يرى مجردا عن المواد أبدا ولهذا يقولون : الخلق معقول ، والحق محسوس ١١١

(٢) ص ٤٨ فصوص

(٣) ص ٤٩ فصوص

نشأته ، وحصره الحقائق كلها ، وهو للحق بمنزلة إنسان العين من العين الذى به يكون النظر ، وهو المعبر عنه بالبصر ؛ فلهذا سمي إنسانا ، فإنه به ينظر ^(١) الحق إلى خلقه ، فيرحمهم ^(٢) ، فهو الإنسان الحادث الأزل ، والنشء الدائم الأبدى ^(٣) .

ثم قال : « ولا شك أن الحادث قد ثبت حدوثه ، ولما كان استناده إلى من ظهر عنه لذاته اقتضى أن يكون على صورته فيما ينسب إليه من كل شيء من اسم وصفه ، ماعدا الوجوب ^(٤) الذاتى ، فإن ذلك لا يصح فى الحادث ، وإن كان واجب الوجود ، ولكن وجوبه بغيره ، لا بنفسه ^(٥) » . ثم قال : « فوصف نفسه لذاتنا ، فإذا شهدناه شهدنا نفوسنا ، وإذا شهدنا شهد نفسه ، ولا شك أنا كثيرون بالشخص والنوع ، وأنا وإن كنا على حقيقة واحدة تجمعنا - فنعلم قطعاً أن ثم فارقا به تميزت الأشخاص بعضها عن بعض ، ولولا ذلك ما كانت الكثرة فى الواحد ^(٦) » .

آدم عند الصوفية

ثم قال : فما جمع الله لآدم بين يديه إلا تشريفا ، ولهذا قال لإبليس :

(١ ، ٢) فى الأصل : نظر — رحيم

(٣) ص ٤٨ — ٤٩ فصوص . وفى هذا النص يذكر ابن عربى رأيه فى الإنسان ، فيقرر أنه لاهوت وناسوت ، أو هو الله سبحانه تعين فى مادة . ولذا يجمع الإنسان بين صفات الأضداد — تماما كالذات الإلهية عندهم — فهو حق أزلى أبدى ، قديم سرمدى باعتبار لاهوتيته . وهو خلق حادث فان متجدد الصور ، يتحول ، ويجرى فى تيار الصيرورة باعتبار ناسوتيته . أى باعتباره مادة ، أو باعتبار صورته البدنية العنصرية . ولذا فالإنسان عندهم : حق خلق

(٤) فى الأصل : الوجود . والتصويب من الفصوص .

(٥) ص ٥٣ فصوص .

(٦) ص ٥٣ فصوص .

(٣٨ : ٣٥ ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدي) وما هو إلا عين جمعه^(١) بين
[الصورتين] صورة العالم وصورة الحق [وهما يدا الحق^(٢)] «

ثم قال : فما صحت الخلافة إلا للإنسان الكامل ، فأنشأ صورته الظاهرة
من حقائق العالم وصوره ، وأنشأ صورته الباطنة على صورته تعالى ؛ ولذلك قال
فيه : كنت سمعه وبصره . ما قال كنت عينه وأذنه^(٣)

زعمه أن الحق مفتقر إلى الخلق

ثم قال : « ولولا^(٤) سريان الحق في الموجودات بالصورة ما كان [٩] للعالم
وجود ، كما أنه لولا تلك الحقائق المعقولة الكلية ، ما ظهر حكم في الموجودات
العينية ، ومن هذه الحقيقة كان الافتقار من العالم إلى الحق في وجوده — شعر .
فالكل مفتقر ، ما الكل مستغنى

هذا هو الحق قد قلناه ، لا نكفي^(٥)

(١) في الأصل : جمعت . والتصويب من الفصوص .

(٢) ص ٥ فصوص ، وكل ما بين هذين [] ساقط من الأصل ، وأثبتته عن الفصوص

(٣) ص ٥٥ فصوص ، وسيأتي الرد على ما افتراه ابن عربي مستدلاً في زعمه

بهذا الحديث .

(٤) في الأصل : ولو . والتصويب من الفصوص .

(٥) ص ٥٨-٥٩ فصوص : وابن عربي يعني « بالكل » الله والعالم ، وكلاهما

عنده مفتقر إلى الآخر إذ يدين بأنهما وجهان لحقيقة واحدة . ويفسر افتقار الخلق

إلى الحق باحتياج الخلق إلى سريان الحق فيه ، لينتقل من الثبوت — وكل شيء

عند الزنديق ثابت قبل وجوده — إلى الوجود ..

ثم إن الخلق عند ابن عربي ليس إلا أسماء الحق تعينت في صور بدنية عنصرية ،

ولذا لا يضاف الوجود إلى الخلق حقيقة . بل مجازاً . فوجوده حقيقة عين وجود

الحق . فإذا تحدث الصوفي عن عجل السامري مثلاً قال عنه : إنه اسم من أسماء الله

سبحانه تعين في صورة العجل . أو هو الحق تبارك وتعالى مسمى عجلاً !! =

التنزيه والتشبيه^(١)

ثم قال في فص حكمه سُبُوحِيَّةٌ في كلمة نُوحِيَّةٌ : « اعلم أن التنزيه عند أهل الحقائق في الجنب الإلهي عين التحديد والتقييد ، فالمُنَزَّه إما جاهل ، وإما صاحب سوء أدب ، ولسكن إذا أطلقاه^(٢) ، وقالاه به . فالقائل بالشرائع للمؤمن إذا نزّه ووقف عند التنزيه ، ولم ير غير ذلك ، فقد أساء الأدب ، وأكذب الحق والرسول وهو لا يشعر ، ويتخيل أنه في الحاصل ، وهو في الفات ، وهو كمن آمن ببعض وكفر ببعض ، ولا سيما وقد علم أن ألسنة الشرائع الإلهية ، إذا نطقت في الحق تعالى بما نطقت به ، إنما جاءت به في العموم على المفهوم الأول ، وعلى الخصوص على كل مفهوم يفهم من وجوه ذلك اللفظ بأي لسان كان في وضع ذلك اللسان .

= وهذا تفسير آخر لافتقار الخلق إلى الحق عند الصوفية . أما افتقار الحق إلى الخلق ، فيفسره ابن عربي بأنه احتياجه إلى تعيين أسمائه وصفاته ، بل ماهيته في صور خلقية . فلولا المادة عند ابن عربي ما ظهر للحق وجود ، ولا تعيّن له ذات ، ولذا وضع الصوفية الحديث المفقري : « كنت كنزاً مخفياً ، فخلقت الخلق في عرفوني » وما زلت أذكر ذلك الشيخ الذي راح يشرح لنا هذا الحديث وأنا بمعهد طنطا ، فكان مما قاله أن المراد به « في » محمد !! وكان دليله على خرافته أن العدد الناتج من حروف « في » يساوي العدد الناتج من حروف « محمد » فكلاهما على طريقة حساب الجمل : أبجد هوز الخ = ١١٩٢

وكم صفقنا وانتشنا . ويذهب الطالب الصغير إلى قرئته ويحدث الناس بهذا ، فيطربون للصبي الصغير إذ جاءهم بعلم لدني رباني !!

(١) يريد ابن عربي بالتنزيه الإطلاق ، وبالتشبيه التقييد ، فإنه الصوفية مشبه إذا نظرت إليه من حيث تعيناته في صور خلقية . وهو منزّه إذا نظرت إليه من حيث كونه وجوداً مطلقاً والعارف الحق عندهم من يؤمن برب كان مطلقاً ، ثم تعين فصار مقيداً ، أي خلقاً . أما من يؤمن بأن الله غير خلقه ، فهو ضالّ مشرك ، إذ يؤمن بغير ما من الأغيار .

(٢) في الأصل : أطلقناه .

بِم يَعْرِفُ اللَّهُ عِنْدَ الصُّوفِيَّةِ ؟

فإن الحق في كل خلق ظهوراً ، فهو الظاهر في كل مفهوم ، وهو الباطن عن كل فهم ، إلا عن فهم من قال إن العالم صورته وهويته^(١) ، وهو الإسم الظاهر ، كما أنه بالمعنى روح ما ظهر ، فهو الباطن . فنسبته لما ظهر من صور العالم نسبة الروح المدبر للصورة ، فيؤخذ في حد الإنسان مثلاً باطنه وظاهره ، وكذلك كل محدود . فالحق محدود بكل حد^(٢) ، وصُورُ العالم لا تنضبط ، ولا يحاط^(٣) بها ، ولا تعلم حدود^(٤) كل صورة منها إلا على قدر ما حصل لكل عالم من صورته^(٥) ، فلذلك يُجْمَلُ حَدُّ الحق ، فإنه لا يعلم حَدُّه إلا بعلم حَدِّ كل صورة . وهذا محالٌ حصوله ، فحد الحق محال ، وكذلك من شَبَّهه ، وما نَزَّهه ، فقد قَيَّده وحَدَّده ، وما عرفه ، ومن جمع في معرفته بين التنزيه والتشبيه ، ووصفه بالوصفين

(١) الهوية عند الصوفية هي كما عرفها الجيلي في الإنسان الكامل ص ٦٧ ج ١ « هوية الحق غيبه الذي لا يمكن ظهوره ، لكن باعتبار جملة الأسماء والصفات » . والجرجاني في التعريفات « هي الحقيقة المطلقة المشتملة على الحقائق اشتمال النواة على الشجرة في الغيب المطلق » . والعالم عند الصوفية ظاهر الله وباطنه ، أو صورته وحقيقته .

(٢) الحد هو أكل أنواع التعريف ، ولما كان كل شيء هو الله عند الصوفية كان حد كل شيء هو في الحقيقة حداً لله سبحانه ، فإذا أراد الصوفي وضع تعريف لله سبحانه أخذ في حده حد كل موجود ، إذ الكل تعيينات الذات ، ولما كانت هذه التعينات لا تتناهى ، ولا يمكن أن يحاط بها ، امتنع تبعاً لهذا تناهى الحدود التي يمكن حد الله سبحانه بها ، وامتنت الإحاطة بهذه الحدود . وسيأتى بعد زيادة بيان عما يريده الصوفية بهذه الزندقة .

(٣) في الأصل : يحاد . والتصويب من القصوص .

(٤) في الأصل : يعلم حد .

(٥) في الأصل : صورة .

على الإجمال - لأنه يستحيل ذلك على التفصيل ، لعدم الإحاطة بما في العالم من الصور - فقد عرفه [مُجْمَلًا ^(١)] ، لا على التفصيل ، كما عرف نفسه مجملًا ، لا على التفصيل ولذلك ربط النبي صلى الله عليه وسلم معرفة الحق بمعرفة النفس ، فقال : « من عرف نفسه ، فقد عرف ربه ^(٢) » وقال الله تعالى (٤١ : ٥٣) سنريهم آياتنا في الآفاق (وهو ما خرج عنك (وفي أنفسهم) وهو عينك (حتى يتبين لهم) ، أى للناظر (أنه الحق ^(٣)) أى من حيث أنك صورته ، وهو روحك ، فأنت له كالصورة الجسمية لك ، وهو لك كالروح المدبّر لصورة جسدك ، والحد يشمل الظاهر والباطن منك ، فإن الصورة الباقية إذا زال عنها الروح المدبّر لها ، لم تبق إنسانًا ، ولكن يقال فيها : إنها صورة تشبه صورة الإنسان ، فلا فرق بينها وبين صورة من خشب أو حجارة ، ولا ينطلق عليها اسم إنسان إلا بالجواز ، لا بالحقيقة وصور العالم لا يمكن زوال [١٠] الحق عنها أصلا ، فحد الألوهية له ^(٤) بالحقيقة ،

(١) أثبتها عن القصص .

(٢) ليس بحديث . قال النووي : ليس بثابت ، وابن تيمية : موضوع . ويريد الصوفية به أن من عرف نفسه ، عرف أنه هو الله .

(٣) تأمل كيف يفسر آى الله ، ويضع للحق معنى الباطل ، وللايمان مدلول الكفر . وحق ما يقول جولدزهر « إذا حملت العبارات الدينية المعاني التصوفية ، وفشرت تلك بهذه ، تكون دلالة تلك العبارات على هذه المعاني أشبه بدلالة الرموز على ما جعلت رمزا له ، وبعبارة أخرى تكون دلالاتها عليها على غير العرف العام للغة ، وعلى غير الجارى فى إطلاق ألفاظها على معانيها ، وفهم هذه من تلك ، ولكنهم فى سبيل غايتهم لا يحفلون برعاية هذا العرف العام للغة ، وربما على العكس يتجاوزونه قصداً » انظر ج ٢ من الجانب الإلهى لأستاذنا الدكتور محمد البهى .

(٤) الضمير فى « له » يعود على العالم . والحد كما سبق آتم أنواع التعريف ، ولما كان ابن عربى يدين بأن الحق عين كل شيء ، فإنه يزعم هنا أنه يجب تعريف كل شيء بأنه إله ، أو بما نعرف به الله سبحانه ، فإذا سئل الصوفى عن خنزير أو صنم ما هو ؟ عرفه بأنه هوية الله وظاهره ، ونسب إليه اسما وصفة من أسماء الله سبحانه وصفاته .

لا بالجواز ، كما هو حد الإنسان إذا كان حيًّا ، وكما أن ظاهر صورة الإنسان تنفى
بلسانها على روحها ونفسها ، والمدبر لها ، كذلك جعل الله تعالى صورة العالم
تسبح بحمده ، ولكن لا نفقه تسبيحهم ، لأننا لا نحيط بما فى العالم من الصور ،
فالكل ألسنة الحق ، ناطقة بالثناء على الحق ، ولذلك قال : الحمد لله رب العالمين
أى إليه ترجع عواقب الثناء ، فهو المُنشئ والمُنشئ عليه شعر .

فإِن قَاتَ بالتزويه ، كَفَتَ مُقَيِّدا

وَإِن قَلَتَ بالتشبيه ، كَفَتَ مُحَدِّدا

وَإِن قَلَتَ بالأمرين ، كَفَتَ مُسَدِّدا

وَكَفَتَ إماما فى المعارف سَيِّدا

فَمَنْ قَالَ بالإشفاق ، كَانَ مُسَرِّكا^(١)

وَمَنْ قَالَ بالإفراد ، كَانَ مُوَحِّدا

فَإِيَّاكَ والتشبيه ، إِن كَفَتَ ثَانِيا

وَإِيَّاكَ والتزويه إِن كَفَتَ مُقَرِّدا

فَأَنْتَ هُوَ^(٢) ، بَلْ أَنْتَ هُوَ^(٣) ، وَتَرَاهُ فِي

عَيْنِ^(٤) الْأُمُور مُسَرِّحا وَمُقَيِّدا

(١) أى من آمن بوجود الحق ، وبوجود الخلق على أنهما وجودان متغايران
أو حقيقتان منفصلتان متباينتان - فهو مشرك . لأنه جعل وجود الخلق ، غير وجود
الحق ، وجعل الحق غير الخلق أى جعل الواحد اثنين ، وغاير بين الإله وبين نفسه
وهذا شرك عند الصوفية . أما الموحّد عندهم فهو من يؤمن بأن الحق عين الخلق ،
وجوداً وماهية .

(٢) باعتبار الإطلاق .

(٣) باعتبار التعيين . ولاحظ التناقض المتوتر بين السلب والإيجاب اللذين يجعلهما
ابن عربى شيئاً واحداً .

(٤) فى الأصل : عيون .

قال الله تعالى : [(٤٢ : ١١) ليس كمثل شيء) فنزّه (وهو السميع البصير)
فَنَشَبَهُ ^(١) وقال تعالى : (ليس كمثل شيء) فَنَشَبَهُ وَثَنِي (وهو السميع البصير)
فنزّه وأفرد ^(٢)

(١) ما بين هذين [] ساقط من الأصل وأثبتته عن الفصوص .

(٢) يريد ابن عربي بهذا التلبيس في فهم الآية أن يقول : إن اعتبرت الكاف
زائدة في : كمثل كان معنى الآية : ليس مثله شيء ، وبذا تنتفي المثلية . وهذا
تنزيه . ولكن في قوله « وهو السميع البصير » تشبيه . لأنه أثبت لنفسه - هكذا
يفهم الزنديق - عين ما للخلق من سمع وبصر . وهذا يستلزم كون ذات
الحق عين الخلق ...

وإن اعتبرت الكاف غير زائدة في « كمثل » كان معنى الآية : ليس مثل مثله
شيء . يعنى أنها تثبت المثلية . وهذا تشبيه . ولكن في قوله « وهو » نفى للمثلية
لأن الضمير للمفرد . وهذا تنزيه يفيد أنه هو وحده الذى يسمع ويبصر في صورة
كل من يتأتى منه أن يسمع وأن يبصر . أى هو عين كل سميع وبصير !!
هذا ما يفهمه الزنديق في الآية يهدف به إلى إثبات أن لله وجهين . وجه يسمى
الحق ، والآخر يسمى الخلق ، وأنه لا يمكن تسميته حقاً بحسب ، أو خلقاً بحسب ،
بل يسمى حقاً خلقاً في آن واحد . وتعقيبه الآية أولاً بقوله : فنزه على اعتبار زيادة
الكاف ، وتعقيبها ثانياً بقوله : فشبه وثني على اعتبار عدم زيادة الكاف !! وإليك الحق
يهتك باطله : قال صاحب المعنى - وهو يعدد معانى الكاف « التوكيد وهى الزائدة
نحو ليس كمثل شيء . قال الأَكثرون : التقدير ليس شيء مثله ، إذ لو لم تقدر
زائدة صار المعنى ليس شيء مثل مثله ، فيلزم المحال ، وهو إثبات المثل ، وإنما زيدت
لتوكيد نفي المثل ، لأن زيادة الحرف بمنزلة إعادة الجملة . »

وابن عربي قرر هذا بيد أنه لبس في تفسير « وهو السميع البصير » إذ فسرهما
بأنه سبحانه يسمع كما يسمع العبد ، وبخفى الأذن التى يسمع بها ، ليزعم من وراء
هذا الباطل أنه سبحانه عين من يسمعون ، ومن يبصرون ، لأن جوارحهم وحواسهم
هى عين جوارح الإله الصوفى وحواسه ، فتكون ذواتهم عين ذاته . والآية ناطقة
بإبطال هذا الكفر الفاجر . فما فيها سميع كما يسمعون أو بما يسمعون وإنما هى =

نكفير الصوفية لنوح

لو أن نوحاً جمع لقومه بين الدعوتين لأجابه : فدعاهم جهاراً ، ثم دعاهم إسراراً ، ثم قال لهم : (٧١ : ١٠) استغفروا ربكم ، إنه كان غفاراً) وقال : (٧١ : ٥ ، ٦) إني دعوت قومي ليلاً ونهاراً ، فلم يزدكم دعائى إلا فراراً) وذكر عن قومه أنهم تصامموا عن دعوته ، لعلمهم بما يجب عليهم من إجابة دعوته ، فلم العلماء بالله ما أشار إليه نوح عليه السلام في حق قومه من الثناء عليهم بلسان الذم ، وعلم أنهم إنما لم يجيبوا دعوته لما فيها من الفرقان ، والأمر قرآن لا فرقان ، ومن أقيم في القرآن لا يصفى إلى الفرقان ، وإن كان فيه . فإن القرآن ^(١) يتضمن

== لإثبات أن الله سبحانه له صفتا السمع والبصر ، وإنه لإعجاز حكيم أن يحىء الإثبات بعد النفي ، حتى يستقر اليقين في القلب بأنه سبحانه لا يماثل شيئاً ، ولا يماثل هو شيئاً ، فإذا أثبت الله بعد هذا النفي المؤكد لنفسه صفتا السمع والبصر ، فهم فيهما المؤمن ما يليق بجلال الله وكبريائه وربوبيته ، لا ما استقر في الوعي مما يشهده الحس في الخلق فسبق النفي تصفية للفهم والقلب والفكر ، من زيف المثلية ، وإعداد لتلقى ما يرد بعده من إثبات تلقى إيمان ويقين لا يحسه وهم من التشبيه ، أو طائف من المثلية . أما إذا اعتبرت الكاف غير زائدة ، فلا يفيد هذا مطلقاً إثبات المثلية ، لأن سياق الآية ينفيها ، والضمير « هو » ينفيها كذلك . ثم إن العرب - والقرآن عربي - كانوا إذا بالنوا في نفي المثلية قالوا : مثلك لا يفعل كذا ، ومرادهم نفي الفعل عنه ، لا عن مثله ، ولكن إذا نفوه عن من هو على أخص أوصافه ، فقد نفوه عنه بالأولى . وعلى فرض ، المستحيل فإن تلبس ابن عربي يهدم باطله ، لأن المثلية تستلزم الإثنيية ، تثبت وجود اثنين في أحدهما غير مافي الآخر . وهو يدين بالوحدة المطلقة (١) يريد ابن عربي بالقرآن : الجمع بين الحق والخلق ، أى إدراك أنها وجهان للحقيقة واحدة سميت حقاً باعتبار باطنها ، وخلقاً باعتبار ظاهرها . هذه الحقيقة : هي ماهية الله سبحانه ، ويريد بالفرقان : التفرقة بينها . ولذا يهت نوحاً عليه السلام بأنه جهل حقيقة الدعوة إلى الله سبحانه ، أو بأنه مكر بقومه في دعوته ، إذ دعاهم إلى الإيمان بالحق مجرداً عن الخلق ، أى بأن الحق غير الخلق ، ففصل نوح هكذا ==

الفرقان ، والفرقان لا يتضمن القرآن ، ولهذا ما اختص بالقرآن إلا محمد صلى الله عليه وسلم ، وهذه الأمة التي هي خير أمة أخرجت للناس ، فـ (ليس كمثله شيء) يجمع الأمرين في أمر واحد ، فلو أن نوحاً أتى بمثل هذه الآية لفظاً أجابوه ، فإنه شبه ونزه في آية واحدة بل [في] نصف آية . ونوح دعا قومه « ليلاً » من حيث عقولهم ، وروحانيتهم ، فإنها غيب ، و « نهراً » دعاهم أيضاً من حيث ظاهر صورهم وجسدهم ^(١) ، وما جمع في الدعوة مثل : ليس كمثله شيء ، فنشرت بواطنهم لهذا الفرقان [فزادهم] فراراً ، ثم قال عن نفسه : إنه دعاهم لينفرد لهم ، لا ليكشف لهم ^(٢) ، وفهموا ذلك منه صلى الله عليه وسلم ، لذلك : « جعلوا أصابعهم في

= يفترى الزنديق - بجعله بين وجهي الحقيقة الواحدة ، أو جعل - بمكره - الحقيقة الواحدة شيئاً آخر غير نفسها ، وفرق بين باطن الذات الإلهية - وهو الحق - وبين ظاهرها وهو الخلق . ولذا لم يستجب قومه لدعوته ، إذ كانوا على بينة من الأمر ، على علم صادق بالحقيقة ، كانوا على يقين - ويقينهم هو الحق عند الصوفية - من أن الله سبحانه حق وخلق ، مطلق ومقيد ، رب وعبد . وأنه عين كل شيء ، فعبدوه في بعض ما تعين فيه ، وهى الأصنام . فدلوا بهذه العبادة على صدق الإيمان ، وكمال التوحيد ، لهذا يقول الزنديق : ما كان ينبغي لنوح ، أن يمكر بقومه في دعوته ، أو أن يضلهم عن السبيل السوى ، فيدعوهم إلى الإيمان بأن الرب غير العبد وأن الحق غير الخلق ، وأن المعبود غير العابد . وإنما كان واجبا على نوح أن يؤيد الحق الذي آمن به قومه ، والهدى الذي كشف لهم عن كنه الحقيقة ، وهى أن هذه الأصنام ما هى إلا ذات الله سبحانه ، وأن عبادتهم لها عبادة حقة لله سبحانه ١١ فتأمل ١١ كيف يبهت رسولا من أولى العزم بالمكر أو بالجهل ، وكيف يفضل عليه أوباش الوثنية ، وعبد الشيطان ١١ ورغم هذا يظل الشيوخ يدينون لابن عربى بالعبودية .

(١) فى الأصل : جثهم

(٢) يريد الزنديق أن نوحاً دعا قومه إلى مقام السر المطلق ، لا إلى مقام الكشف والظهور . والسر المطلق هو الحق المنزه عن التجلى فى أية صورة خلقية .

آذاتهم ، واستغشوا ثيابهم » وهذه كلها صورة السترات التي دعاهم إليها ، فأجابوا دعوته بالفعل ، لا بَلَّتَيْكَ ففى (ليس كمثله شئ) إثبات المثل ونفيه ^(١) ، وبهذا قال عن نفسه صلى الله عليه وسلم : أنه أوتى جوامع الكَلِم . فما دعا محمد قومه ليلا ونهارا ، بل دعاهم ليلا فى نهار ، ونهاراً فى ليل ^(٢) ، فقال نوح فى حكمته لقومه : (١١:٧١ يرسل السماء عليكم مدرارا) وهى المعارف العقلية فى المعانى والنظر الاعتبارى (ويمددكم بأموال) أى بما يميل بكم إليه ، فإذا مال بكم إليه ، رأيتم [١١] صورتمكم

ومقام الكشف تجلّى الحق فى صورة كل موجود ، وبيّنت نوحا بالخداع والسكر ، إذ غفر — أى ستر — عن قومه الحق العلوى الذى هم به مؤمنون . وهو أن أصنامهم بعض مجالى الله وظهوراته ، وتعالى الله عما يافك الصوفية

(١) تقدم الرد على ما يفتره هنا

(٢) يقصد بالليل باطن الذات الإلهية ، وبالنهار ظاهرها . والباطن هو وجه الذات وغيبها المسمى حقا ، والظاهر هو وجهها الآخر المسمى خلقا ، ويذم نوحا بأنه دعا قومه ليلا ونهارا أى إلى الإيمان بالحق — وهو الليل — وبالخلق ، وهو النهار ، وبأنها غيران ، ويعبد محمدا الذى يزعمه — وحاشا محمدا رسول الله صلى الله عليه وسلم — لأنه جمع فى دعوته بين الدعوتين ، إذ دعا قومه إلى الإيمان بأن الحق عين الخلق . وعبر الفاجر الزنديق عن هذا بقوله : ليلا فى نهار ، أى حقا فى خلق . وإلى الإيمان بأن الخلق عين الحق ، وهذا ما يعبر عنه الشيطان بقوله : نهارا فى ليل . أى خلقا فى حق . أى قال لهم : الواحد عين الكثير ، والكثير عين الواحد . وبهذا البهتان الأنيم يفضل ابن عربى محمدا المزعوم على نوح الذى جهل أو مكر ، فغابر بين الحق والخلق ١١ فتأمل ١١ تأمل الشيخ الأكبر فى عرف الزنادقة أى الصوفية إلى أى حد تبلغ القحّة فى جراءة كفره ، فيصم نوحا بالشرك والكفر ، ويفترى على محمد صلى الله عليه وسلم أنه كان مشركا أصم الوثنية . ولكن كيف تعجب من رجل يحمل من الخنازير والجيف والقيح بما فيه من ميكروبات فتاكه ، يحمل هذه آلهة له ، وأربابا يفزع إليهم بالرجاء والأمل والحب والخوف ١١١

فيه ، فمن تخيل منكم أنه رآه فما عرف ، ومن عرف منكم أنه رأى نفسه ، فهو العارف ، فلهذا انقسم الناس إلى غير عالم ، وعالم « وولده »^(١) وهو ما أنتجه لهم نظرام الفكرى ، والأمر موقوفٌ علّمه على المشاهدة ، بعيد عن نتائج الفكر « الإخسارا » « فاربحت تجارتهم » فزال عنهم ما كان في أيديهم مما كانوا يتخيلون أنه ملك لهم ، وهو في المحمدين (٧ : ٥٧) وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه) . وفي نوح (٧١ : ٢) أن لا تتخذوا من دونى وكيلا^(٢) فأنبت الملك لهم ، والوكالة لله فيهم ، فهم مستخلفون فيه ، فالملك لله ، وهو وكيلهم ، فالملك لهم ، وذلك ملك الاستخلاف ، وبهذا كان الحق تعالى مالك الملك ، كما قال الترمذى رحمه الله .

الدعوة إلى الله مكر عند الصوفية

(ومكروا مكراً كباراً) لأن الدعوة إلى الله تعالى مكر بالمدعو^(٣) ، لأنه

(١) فسر الدرر بالمعارف العقلية ، والمال بما يعيل بالإنسان إلى الله فيرى في الله سبحانه صورته ، وفسر الولد بالنتاج الفكرى . وهكذا يضع اللغة القرآن ما شاءت زندقته من معان ، وبمثل ما يفترى ابن عربى يعجب بعض من يوصفون بأنهم من ذوى الفكر . ولو اتخذنا أسلوب ابن عربى قاعدة لنا فى البيان ما بقيت اللغة بل ما بقيت حقيقة واحدة يمكن أن تجتمع عليها العقول

(٢) الآية فى بنى إسرائيل ، لافى قوم نوح

(٣) يشرح القاشانى هذا بقوله « معناه : أن الدعوة إلى الله دعوة منه إليه ، لأن الله عين الداعى والمدعو ، والبداية والغاية ، لكونه عين كل شىء » ص ٥٨ ط ١٣٠٩ شرح القاشانى للفصوص . وأقول : يدين ابن عربى وعبد الطاغوت الصوفية أن الله سبحانه عين كل شىء ، فإذا ما جاء الرسل ، وأمروا بعبادة الله وحده ، ونهوا عن عبادة غيره ، عن عبادة العجل مثلاً ، والأصنام والكواكب وغيرها . فإن الصوفية يرون هذه الدعوة فى مظهرها الإيجابى والسلبى مكراً وخداعاً ، إذ توحى إلى عباد الأصنام والأوثان وغيرها أنهم يبدون غير الله ، والرسل يملكون - هكذا =

ما عدم من البداية ، فيدعى إلى الغاية (١٢ : ١٠٨ أدعو إلى الله) فهذا عين المكر^(١) .

قلت : فهذا ، وأشكال من قوله - كما يأتي في الفصل اليوسفي - يدندن به على تصحيح قول الكفار : إن القرآن سحر . ولا يقدر على التصريح به ، ولقد أخبرني من أثق به أن بعض أتباعهم قال له : القرآن أساطير الأولين^(٢) !!

ثم قال ابن عربي : [مفسراً قول رب العالمين^(٣)] (١٢ : ١٠٨ على [بصيرة] فنبه على أن الأمر له كله ، فأجابه مكرراً كما دعاهم ، فجاء الحمدي ، وعلم أن الدعوة إلى الله ما هي من حيث هويته ، وإنما هي من حيث أسماؤه^(٤) ، فقال : (١٩ : ٨٦ يوم نحشر المتقين إلى الرحمن وفداً) فجاء بحرف الغاية ، وقرنها بالإسم فرأينا أن العالم كان تحت حيلة إسم إلهي ، أوجب عليهم^(٥) أن يكونوا متقين ،

= يفترى الصوفية - أنه ما ثم غير ، أو سوى ، فكل ما عبد ، أو سجد إنما هو الله . إذ كل معبود شيء ، والله سبحانه عند الصوفية عين كل شيء

(١) ص ٧٧٢ - ٦ فصوص الحكم

(٢) بل قال الفاجر التلمساني : « القرآن كله شرك ليس فيه توحيد ، وإنما التوحيد في كلامنا نحن » ص ٧٧ ج ١ مجموعة الرسائل والمسائل

(٣) وضعت ما بين هذين [] هنا من عندي حتى لا يظن بآية من القرآن أنها من كلام ابن عربي

(٤) أي ما يدعو الرسل إلى عبادة الله من حيث كونه حقاً ، أو وجوداً مطلقاً ، بل من حيث كونه خلقاً ، أو وجوداً مقيداً تعين في صور بدنية عنصرية . فما من شيء إلا وهو - عند الصوفية - اسم من أسماء الله تعالى . تعين في صورة ذلك الشيء . لذا يدعو الرسل الصادقون - هكذا يكفر الصوفية - إلى عبادة الخنازير والقطر والصفادع ، والبغايا الأوائم ، والأجساد الفواجر ؛ لأن هذه عند الصوفية أسماء الإله الذي يزعمونه

(٥) في الأصل : فعلنا أن النور كان تحت حيلة اسم إلهي أوجب عليه

فقالوا^(١) في مكرم (٢٣ : ٧١) لا تذرنا آلهتكم ولا تذرنا ودا ولا سواعا ، ولا يفتوت
ويعوق ونسرا) ، فإنهم إذا تركوهم جهلوا من الحق إلى قدر ما تركوا من هؤلاء
فإن للحق في كل معبود وجهها يعرفه من عرفه ، ويجهله من جهله . في الحمددين :
(١٧ : ٢٣) وقضى ربك أن لا تعبدوا إلا إياه (أى حكم^(٢)) ، فالعالم يعلم^(٣) من
عبد ، وفي أى صورة ظهر حتى عبد ، وأن التفريق والكثرة كالأعضاء في
الصورة المحسوسة^(٤) ، وكالقوى المعنوية في الصورة الروحانية ، فما عبد غير الله

(١) يعنى قوم نوح الوثنيين

(٢) بل أمر ووصى كما ستعرف

(٣) فى الأصل : يعلمه

(٤) يشبه الحق والخلق ، بالجسد وأعضائه فى أن كليهما واحد فى الحقيقة ،
كثير بالاعتبار . فأنت إذا أفردت بالنظر كل عضو من أعضاء الجسم ، فهو كثير ،
إذ ترى رأسا ، ووجها ، وبدين ، وقدمين ، وإذا نظرت إليه جملة وجدته واحدا .
وهذه الوحدة حقيقية . أما الكثرة فاعتبارية لحسب . وكذلك - هكذا يفترى الزنديق -
الله والعالم . فالعالم فى حقيقته ليس شيئا سوى الله ، أو هو تعيينات أسمائه برزت فى
صور مادية . كما أن أعضاء الجسم ليست شيئا آخر غير الجسم ، بل هى هو . ومدلول
جميعها مدلوله . ورغم ما فى المثل من تلبيس وزندقة فإنه لا يصحح لابن عربى مذهبه ،
فاليد مثلا ليست هى كل الجسد ، وإنما هى عضو ، أو جزء منه . وابن عربى لا يقول
عن شيء ما : إنه عضو الإله أو جزؤه ، بل هو عنده عينه وكله ! !

والذى يستلقت نظر المؤمن أن الغزالي سبق ابن عربى إلى استعمال هذا المثل
فى نفس ما استعمله فيه ابن عربى ؛ إذ يقول - وهو بصدد بيان المرتبة الرابعة من
التوحيد : « ألا يرى فى الوجود إلا واحدا ، وهى مشاهدة الصديقين . وتسميه
الصوفية الغناء فى التوحيد » ثم يشرح حال الموحد فى هذه المرتبة ، فيقول :
« والرابع موحد بمعنى أنه لم يحضر فى شهوده غير الواحد فلا يرى الكل من حيث
أنه كثير ، بل من حيث أنه واحد ، فإن قلت : كيف يتصور ألا يشاهد إلا واحدا
وهو يشاهد السماء والأرض ، وسائر الأجسام المحسوسة وهى كثيرة ؟ ! » يجب
الغزالي عن هذا مثال يقرب فى زعمه ذلك إلى الدهن ، فيقول : « إن الإنسان =

في كل معبود^(١)»

تكفير العراقي لابن عربي

وقال شيخ شيوخنا الإمام القدوة العارف شيخ الإسلام حافظ عصره الشيخ زين الدين عبد الرحيم بن الحسين العراقي في كراسة أجاب فيها سؤال من سألته عن بعض كلام ابن عربي هذا : « وقوله في قوم نوح : لا تذرنا آلهتكم - إلى آخره - كلامٌ ضلالٌ وشركٌ واتحادٌ وإلحادٌ ، فجعل تركهم لعبادة الأوثان التي نهامهم نوح عن عبادتها جهلاً يفوت عليهم من الحق بقدر ما تركوا » انتهى .

قلت : ياليت شعري من قال هذا القول في هذا العدد اليسير من الأصنام ، ماذا يقول فيما روى في الصحيح عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه : « أن النبي صلى الله عليه وسلم دخل مكة ، وحول الكعبة ثلاثمائة وستون صنماً^(٢) ، فجعل يطعنهم بسود في يده^(٣) ، وجعل يقول : (١٧ : ١٨ جاء الحق وزهق الباطل^(٤))

كثير إن التفت إلى روحه وجسده وعروقه ، وهو باعتبار آخر ، ومشاهدة أخرى واحد ، وكذلك كل ما في الوجود من الخالق والمخلوق له اعتبارات ومشاهدات كثيرة مختلفة ، فهو باعتبار واحد من الاعتبارات واحد ، وباعتبارات أخرى سواء كثير » انظر باب التوحيد من كتاب الإحياء

(١) ص ٧٢ فصوص

(٢) في البخاري « نصب » . واحدة الأنصاب ، وهو ما ينصب للعبادة من دون الله ، ويراد به أيضاً الحجارة التي كانوا يذبحون عليها للأصنام . غير أنها ليست مرادة هنا .

(٣) في مسلم عن أبي هريرة : « يطعن في عينه بسية القوس » وفي حديث ابن عمر عند الثاوري - وصححه ابن حبان - فيسقط الصنم ولا يمس به ، وللفاكي والطبراني من حديث ابن عباس « فلم يبق وثن استقبله إلا سقط على قفاه مع أنها كانت ثابتة بالأرض »

(٤) ورد في البخاري أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال بعد هذا (جاء الحق وما يبدى الباطل ، وما يعيد)

وفي السير : أنها كانت [١٢] مثبتة في الأرض بالرصاص ، فما أشار بذلك العمود إلى صنم منها إلا انقلب . إن أشار إلى قفاه انكسب على وجهه ، وإن أشار إلى وجهه انقلب على قفاه ^(١) ، وكان في جزيرة العرب من الأصنام ما يتعصر حصره ، فما أبقى لشيء منها باقية ، وما استباح قتالهم ، ونهب أموالهم ، وقتل رجالهم ، ومزق أبطالهم ، وركب من دون ذلك الأهوال العظام ، وقاطع الأخوال والأعمام إلا على ذلك ، فتباً لمن أنكره ، أو رأى شيئاً أكمل منه ، وعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين . انتهى .

كل شيء عند رب وإله

قال ابن عربي : « فالأدنى من تخيل فيه - أي في كل معبود - الألوهية ، فلولا ^(٢) هذا التخیل ، ما عُبد الحجر ولا غيره ، ولهذا قال : (١٣ : ٣٣ [قل] سموم) ، فلو سموم لسموم حجارة ^(٣) وشجراً وكوكبا ، ولو قيل لهم : من عبدتم ؟ لقالوا : إلهنا . ما كانوا يقولون : الله . ولا الإله . والأعلى ما تخيل ، بل قال : هذا عجلي إلهي ينبغي تعظيمه ، فلا يقتصر ^(٤) ، فالأدنى صاحب التخیل يقول (٣ : ٣٩) ما نعبدكم إلا ليقربونا إلى الله زلفى) والأعلى العالم يقول : (٣٢ : ٣٤) فإلهكم ^(٥) إله واحد

(١) انظر سيرة ابن هشام ص ٢٧٦ ج ٢ على هامش الروض الأنف

(٢) في الأصل : ولولا .

(٣) في الأصل : حجراً

(٤) أي لا يقتصر عبادته على شيء ما بعينه ، بل يعبد كل شيء ، حتى ما يعصف بنفسه من هوى ، وما يترشح لفكره من أوهام . وسيأتيك من كلام ابن عربي ما يدل على أنه يؤمن بأن الهوى أعظم مجالى الإله

(٥) في الأصل : إنا إلهكم . ويفسرها الزنديق بأن العارف المكمل . هو من يقول لعباد الأوثان ، ولعباد الكواكب ، إن ما تعبدونه هو الإله الواحد ، فالإله المتعين في أوثانكم عين المتعين في كواكبكم ، فلا يقتصر أحد منكم عبادته على شيء ما بعينه ، أو يختص بها بعضاً دون بعض ، فإن إلهكم هو عين كل شيء .

قله أسلموا ، وبشر المحبتين) الذين خبت نار طبيعتهم ، فقالوا : إلها ، ولم يقولوا طبيعة^(١) .

قلت : وعلى هذا يُحَوَّم ابن الفارض^(٢) بقوله ، فالعلماء شهدوا فيه^(٣) أنه من أهل الاتحاد .

الرأى فى ابن الفارض وتائيته

وقال الحافظ عماد الدين إسماعيل بن كثير^(٤) : « إنه نظم التائية على طريقة المتصوفة المنسوبين إلى الاتحاد - وقال : وقد تكلم فيه غير واحد من مشايخنا بسبب قصيدته المشار إليها^(٥) » وقال فى سنة سبع وسبعين وستائة فى ترجمة محمد ابن إسرائيل^(٦) : « وكان أديباً ، ولكن فى كلامه ما يشير إلى الحلول والاتحاد

(١) ص ٧٢ فصوص .

(٢) ورد بهامش الأصل مانصه « ابن الفارض هو حجة أهل الوحدة ، وحامل لواء الشعراء ، توفى سنة اثنتين وثلاثين وستائة عن ست وخمسين إلا أشهراً . ذكره الذهبي فى تاريخه » وقد ولد ابن الفارض سنة ٥٧٦ هـ ودفن بمصر .

(٣) ليس الحكم بهذا على ابن الفارض بحاجة إلى شهادة أحد ، فإنه صرح فى التائية بأنه يدين بهذه الأسطورة الملحدة ، إذ يقول : وجل فى فنون الاتحاد ، وجاء حديث فى اتحادى ثابت ، وهأنا أبدى فى اتحادى مبدئى . وسيأتيك ما يجعلك تؤمن بأنه كان من المؤمنين بالوحدة ، لا بالاتحاد فحسب .

(٤) الإمام المحدث البارع كما ينعتة الذهبي . ولد سنة ٧٠٠ وتوفى سنة ٧٧٤ ، من مصنفاته البداية والنهاية فى التاريخ ، والتفسير ، وجمع المسانيد العشرة ، صحب ابن تيمية وأخذ عنه ، ولازم المزي ، وتزوج بابنته ، وسمع عليه أكثر تصانيفه .

(٥) ذكر ابن كثير هذا فى البداية والنهاية .

(٦) ولد نجم الدين ابن إسرائيل سنة ٥٦٣ وتوفى سنة ٦٧٧ . ومن قوله : وما أنت غير الكون بل أنت عينه ويفهم هذا السر من هو ذاتى وأيضاً « إن الله ظهر فى الأشياء حقيقة . واحتجب بها مجازاً ، فمن كان =

على طريقة ابن الفارض ، وابن عربي^(١) . وقال الشيخ مدين - وهو كان رأس الصوفية زماننا - « إن الثائية هي القصوص ، لا فرق بينهما » ومن قال إن السراج عمر بن إسحاق الهندى^(٢) عزّر الشهاب أحمد بن يحيى بن أبى حجلة^(٣) لأجل كلامه فى ابن الفارض ، وجعل ذلك دليلا على ولايته - أجيب بأن شيخنا حافظ العصر أحمد بن حجر ذكر فى ترجمته فى أول تاريخه فى سنة ثلاث وسبعين وسبعمائة أن السراج الهندى كان يتعصب للصوفية الاتحادية ، وأنه شرح الثائية ، فسقط كلامه ، والاعتبار به^(٤) ، وعلى كل تقدير فتعزيره له غير واقع فى محله بوجه ، فإنه لا شئ على من كفر مسلما بتأويل بلا خلاف

== من أهل الحق والجمع شهدا مظاهرو مجالى ، ومن كان من أهل المجاز شهدا ستورا وحجبا » انظر لسان الميزان ، ومجموعة الرسائل والمسائل ج ١ ص ٦١ .

(١) لا يدين ابن الفارض بالحلول ، ولا ابن عربي به أو بالاتحاد ، وإنما يدينان بالوحدة ، إذ الحلول يستلزم الإثنية ، والاتحاد يشعر بأنه كان ثم غيران فى وقت ما ، وهما يدينان بأنه ما ثم غير ولا سوى . وما قرأته لابن إسرائيل تحكم بأنه على دين أهل الوحدة ، لا الحلول أو الاتحاد .

(٢) ولد سنة ٧٠٤ ، ومات سنة ٧٧٣ هـ . تولى قضاء الحنفية ، وكان يتعصب تعصبا مقيتا للصوفية من أهل الوحدة ، ولذا شرح ثائية ابن الفارض .

(٣) ولد سنة ٨٢٥ ثم قدم القاهرة ، فولى بها مشيخة الصوفية ، وكان يكثر من الخط على أهل الوحدة ، وبخاصة ابن الفارض ، ولهذا عارض جميع قصائده ، توفى سنة ٧٧٦

(٤) ولهذا يجب دائما ألا نجعل آراء البشر أدلة على الحق ، أو سبيلا إليه ، بل نرد كل ما يعرض لنا من أقضية الدين إلى الكتاب والسنة ، وفيما يحكم أن به فصل الخطاب ، والعدل والحق والصواب ، ولو أن السراج الهندى أسلم وجهه لله ، وجرد قلبه من إثم هواه ، لو إلى الله سبحانه ولم يوال ابن الفارض . وثمت يدين بالحق ، وهو ابن الفارض عدو للحق .

نعله بين العلماء . والحجة فيه قصة عمر وحاطب ^(١) رضى الله عنهما ، وغير ذلك مما وقع محضرة النبي صلى الله عليه وسلم فى وقائع عدة ، على أن التعزير ^(٢) يحتمل أموراً عدة ، لا يتعين شيء منها إلا بدليل ، فسقط الاستدلال به .

وقال العلامة علاء الدين البخارى ، وكان عين العلماء والصوفية قبل الشيخ مدين ^(٣) لشخص حنفى « لا فرق بين الثائية والفصوص إلا بكونه نثراً ، وكونها نظماً ، كما أنه لا فرق بين منظومة [١٣] النسفى والقدرورى إلا بذلك . وقال الشافعى مثل ذلك ، ومثل بالبهجة نظم الحاوى ، وبالحاوى . . »

وقال العلامة بدر الدين حسين بن الأهدل - وهو من أعيان صوفية اليمن وفقهائهم - : « واعلم أن ابن الفارض من رؤس أهل الاتحاد » واستشهد على ^(٤)

(١) هو حاطب بن أبى بلتعة ، اتفقوا على شهوده بدرأ وثبت ذلك فى الصحيحين من حديث على فى قصة كتابة حاطب إلى أهل مكة يخبرهم بتجهيز رسول الله صلى الله عليه وسلم إليهم ، فزلت فيه : (يأيتها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوى وعدوكم أولياء تلقون إليهم بالمودة) الآية . فقال عمر : دعنى أضرب عنق هذا المنافق ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إنه قد شهد بدرأ ، وما يدريك لعل الله اطلع على أهل بدر ، فقال : اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم ؟ » . وقد روى حديث حاطب الجماعة كلهم إلا ابن ماجه . ومكان الحجة هنا : تأول عمر فعل حاطب بالنفاق ، وعدم مؤاخذه الرسول لعمر فى تأوله هذا . ولكن حاطباً رجل أخطأ فندم وتاب فأين من هذا إصرار ابن الفارض ، وتصريحه الجلى بأنه هو الله ؟

(٢) يعنى : تعزير السراج الهندى لابن أبى حجلة . وقد حفل البقاعى بهذا التعزير ، كأنما السراج إله يمزر عاصياً . وماذا ينتظر الناس من السراج ؟! ألا إنما الحق غنى عن تأييد الملايين من أمثال السراج هذا .

(٣) ولد بأشمون جريس سنة ٧٨١ تقريباً . وتوفى سنة ٨٩٢ . يقول عنه السخاوى فى الضوء : « وأما فى تحقيق مذهب القوم فهو حامل رايته . والمخصوص بصريحه وإشارته »

(٤) لعله سقط من النسخ بعد على ، كلمة : قوله ، أو هذا .

بشرح التائية من أتباعه مثل سعيد الفرغاني وداود القيصرى ، ومحمود الأزاوى .

شواهد من تائية ابن الفارض

وإياك والإعراضَ عن كل صورة
مُؤَمَّسَةً ، أو حالة مستحيلة
فَطَيْفُ خيال الظل يبدى ^(١) إليك فى
كَرَى اللّهُو ، ما عنه السّائِرُ شُقَّتْ
ترى صُورَ الأشياءِ تُجَلّى عليك مِنْ
وراء حجاب اللّبسِ ^(٢) فى كل خلعة
تجمعت الأضداد فيها لحكمة ^(٣)
وأشكالها تبدو على كل هيئة
صَوَامِتُ تبدى النطق وهى سواكن
تَحَرُّكُ تمهدى النور غير ضوئية
ثم ذكر أنواعاً من الأضداد فى نيف وعشرين بيتاً ، ثم قال :
وكل الذى شاهدته فعل واحد
بمفرده ، لكن بِحِجَابِ الأَكِنَّةِ
إذا ما أزال السّتر لم تر غيره
ولم يبق بالأشكال إشكال ريبة
ويجمعنا فى المظهرين تشابه
ولست لحالى حالة ^(٤) بشيئة

(١) فى الأصل : يهدى

(٢) فى الأصل : النفس . والتصويب من الديوان .

(٣) فى الأصل : بحكمة .

(٤) فى الأصل : حالة .

فأشكاله كانت مظاهر فعله
بستر تلاشت إذ^(١) تجلى وولت
وكانت له بالفعل نفسى شبيهة
وحسى كالأشكال ، واللّبسُ سترى

تمجيد الصوفية لعبادة الأصنام

وقال فى الفص النوحى أيضاً : (٧١ : ٢٣ وقد أضلوا كثيراً) أى حَيَّرُوهم
فى تعداد الواحد بالوجوه والنسب (ولا تزد الظالمين ^(٢)) لأنفسهم « المصطفين »
الذين أورثوا الكتاب ، فهم أول الثلاثة ^(٣) ، قدمه على المقتصد والسابق

(١) فى الأصل : إذا .

(٢) يعنى : من ذكروا فى قوله تعالى (ولا تزد الظالمين إلا ضلالا) وقد عرفهم
الزندق بأنهم : هم المصطفون الأخيار .

(٣) يشير إلى الثلاثة الذين ذكروا فى قوله تعالى (٣٥ : ٣٢ ثم أورثنا الكتاب
الذين اصطفينا من عبادنا ، فهم ظالم لنفسه ، ومنهم مقتصد ، ومنهم سابق بالخيرات
بإذن الله) وقد سوى الزندق بين مفهوم الظلم هنا ، وبين مفهوم الظلم فى قوله
تعالى (ولا تزد الظالمين إلا ضلالا) يهدف بهذه التسوية إلى تقرير أن عباد الأصنام
من قوم نوح هم من الذين اصطفاهم الله سبحانه !! ناسياً عن عمد كفور أن الظلم
فى قوله سبحانه (ظالم لنفسه) مقيد ، وأنه هناك مطلق . وأن الظالم لنفسه فى الآية
مذكور فى مقام ثناء ، وأن الظالمين من قوم نوح ذكروا فى مقام الذم .

ولا عجب ، فالمصطفى عند الصوفية هو الظالم ، والظالم عندهم من شاهد الواحد
كثيراً ، فعدد الواحد ، وسار منه إلى الكثير . والمقتصد من يشهد الكثرة فى
الواحد والواحد فى الكثرة . جامعاً فى شهوده بين الحق والخلق . والسابق هو
من يشهد الكثير واحداً ، ويسير من الكثير إلى الواحد . ويرى الصوفية فى الظالم
أفضل الثلاثة إذ لا يرى الواحد إلا كثيراً بالاعتبار فقط . ويلزمهم من هذا أن
يكون ربهم ناقصاً كاملاً . وأن يكون مغايراً لنفسه ، إذ الثلاثة عندهم عين الحق .
فيكون الحق التعيين فى الظالم غير للتعين فى المقتصد . فى حين هم يدينون بأن هوية
كل شئ عين هوية الحق !!

« إلا ضللاً » إلا حيرة المحدثى « زدنى فيك تحبيراً^(١) ». (٢ : ٢٠ : كلما أضاء لهم مشوا فيه ، وإذا أظلم عليهم قاموا) فالخائر له الدور ، والحركة الدورية^(٢) حول القطب^(٣) ، فلا يبرج منه . وصاحب الطريق المستطيل مائل خارج عن المقصود ، طالب ما هو فيه . صاحب خيال إليه غايته ، فله « من » ، وإلى^(٤) « وما بينهما ، وصاحب الحركة الدورية ، لا بدء له ، فيلزمه « من » ولا غاية له^(٥)

(١) يستشهد ابن عربى بهذا على أنه حديث نبوى كما يافك الصوفية . ولكن اسمع لابن تيمية يقول عنه : « لم يرو هذا الحديث أحد من أهل العلم بالحديث ، ولا هو فى شيء من كتب الحديث ، ولا فى شيء من كتب من يعلم الحديث ، بل ولا من يعرف الله ورسوله » ص ٥٤ ج٢ مجموعة الرسائل والمسائل .

(٢) فى الأصل : الدور ، والتصويب من الفصوص .

(٣) يريد به هنا : الله سبحانه : وهو متعين فى الحقيقة المحمدية !! سبحانه عما يافك الزنادقة .

(٤) يقول بالى أفندى فى شرحه للفصوص « أى له ابتداء ومسافة ، فابتداؤه من نفسه ، وانتهاءه إلى خياله ، ومسافته ما بينهما . فلا يصل إلى مطلوبه بهذا الطريق ، وهو طريق العابدين من أهل الظاهر » انظر ص ٨٤ من الشرح المذكور .

واهاً للصوفية !! حق بالى أفندى يؤمن بأن من يعبد الله بما شرعه الله ، لا ينعم بالإيمان ولا بمحبة الله !!

(٥) يقول بالى ص ٨٤ من شرحه للفصوص « ولا غاية له لمشاهدة مطلوبة فى كل مظهر ، ولا نهاية للمظاهر ، فلا غاية لصاحب هذه الحركة » يعنى : أن الصوفى الحق ، والموحد الحق ، هو من يدين بأن الحق عين الخلق ، وهذا الموحد بدؤه عين غايته ، وأوله نفس آخرة ، فهو أشبه بمن يديم الطواف حول دائرة . إنه ينتهى إلى حيث بدأ ، ويبدأ من حيث انتهى . والصوفى يبدأ من عبادة الظاهر أو الحق ، وينتهى إلى عبادة المظاهر أو الخلق ، ولكن : ماتلك المظاهر ؟ إنها عين الظاهر ؟ ومن أولئك الخلق ؟ إنهم عين الحق . فلا يقال عنه إنه بدأ أو انتهى ، فالبداية عين النهاية !! هذا مراد الزنديق من قوله : ولا غاية له .

فتحكم عليه « إلى » فله الوجود الأنم ، وهو الموثني جوامع الكلم . والحكم
« بما خطيئاتهم »^(١) فهي التي خطت بهم ، ففرقوا في بحار العلم بالله ، وهو الحيرة
« فأدخلوا ناراً » في عين الماء^(٢) ، في المحمدين (٨١ : ٦) وإذا البحار سجرت)
سجرت التنور إذا أوقدته . « فلم يجدوا لهم من دون الله أنصاراً » فكان الله عين
أنصارهم^(٣) فهل كوا فيه إلى الأبد ، فلو أخرجهم إلى السيف ، سيف الطبيعة
لنزل بهم عن هذه الدرجة الرفيعة ، وإن كان الكل لله ، وبالله ، . بل هو الله .
« قال نوح : رب » ما قال : إلهي . فإن الرب له الثبوت ، والإله يتنوع^(٤) بالأسماء ،
فهو كل يوم هو في شأن . فأراد بالرب ثبوت التكوين ؛ إذ لا يصح إلا هو .

(١) يقصد قوله تعالى عن قوم نوح (٢٥ : ٧١) بما خطيئاتهم أغرقوا ، فأدخلوا
نارا ، فلم يجدوا لهم من دون الله أنصاراً) ويعبد الفاجر خطايا الوثنيين من قوم
نوح ، ويزعم أنها خطت بهم إلى قدس أقداس الحقيقة ، فعرفوا أنهم أرباب تعبد
آلهة هي الأصنام ، ويفسر الإغراق بأنه إغراق في بحار العلم بالله .
(٢) يفسر النار بأنها هي الماء ، فأى عمه بصرى ، وغباء حسي ، وخيال فكري
أخبت من هذا ؟

(٣) في الأصل : ناصرهم . وتأمل دعوة الزنادقة ، وجراءة باطلها على الحق
المبين من كتاب الله . إذ يزعم أن الله سبحانه ما نفي وجود الأنصار للوثنيين ، إلا
لأن الله نفسه كان هو عين أنصار أولئك الوثنيين ، فما ثم غيره حتى يمكن نفي
وجوده . ولم لا يفجر الزنديق كل هذا الفجور ، وهو يدين بألفظه الأوثان هي الله
سبحانه عما يافك الزنادقة .

(٤) في الأصل : تنوع . وابن عربي يدين بأن كل شيء هو اسم إلهي تعين
في صورة ذلك الشيء . ولذا ، فكل شيء إله يجب أن يعبد ، ولما كان لكل شيء
اسمه الخاص به ، فإن الحق تعددت ، وتنوعت أسماؤه تبعاً لتنوع الأشياء وتعدد
أسمائها ، فالأشياء كلها تعينات أسمائه . فيسمى الإله الصوفي إذن صنماً باعتبار تعينه
في شيء سمي : الصنم . ويسمى : عجلاً ، وخنزيراً ، وميكروباً ، وغانماً ، وبغياً ،
بنفس ذلك الاعتبار .

« لاتذرعلى الأرض » يدعو عليهم أن يصيروا فى بطنها المحمدى « ولودلتم بحبل لبط على الله^(١) » (له مافى السماوات ، ومافى الأرض^(٢)) وإذا دفنت فيها [فانت فيها] ، وهى ظرفك (٢٠ : ٥٥ وفيها نعيدكم ، ومنها نخرمكم تارة أخرى) [١٤] لاختلاف الوجوه « من الكافرين^(٣) » الذين « استغشوا ثيابهم ، وجعلوا أصابعهم فى آذانهم » طلباً للستر ، لأنه دعاهم ليغفر لهم . والغفر الستر . « دياراً » أحداً ، حتى تتم المنفعة كما عمت الدعوة « إنك إن تذرهم أى تدعهم وتتركهم » يضلوا عبادك « إلى الخير ، فيخرجوهم من العبودية إلى ما فيهم من أسرار الربوبية فينظرون أنفسهم أرباباً بعد ما كانوا عند أنفسهم عبيداً ، فهم العبيد الأرباب (ولا يلدوا) أى ما ينتجون ولا يظهرون (إلا فاجراً) أى مظهراً ما ستر (كفاراً) أى ستاراً ما ظهر بعد ظهوره ، فيظهرون ما ستر ، ثم يسترونه بعد ظهوره ، فيحار الناظر ، ولا يعرف قصد الفاجر فى فجوره ، ولا الكافر

= فلا تعجب : إذا رأيت الصوفى يعبد درويشة ، أو عاهرة ، فإنهما اسمان لإلههما تعينا فى صورتى درويشة وعاهرة !! هذا ما يريد ابن عربى ، الشيخ الأكبر والكبريت الأحمر من قوله : والإله يتنوع بالأسماء .

(١) هذا حديث منقطع ، لأنه من رواية الحسن عن أبى هريرة ، والحسن لم ير أباه هريرة وبالتالي لم يسمع منه . وقد رواه الترمذى ، وقال عنه : إنه غريب . وأوقن أن هذا الحديث قد دسه إما صوفى ، وإما جهمى تأييداً لأسطورة الحلول ، أو أسطورة أن الله فى كل مكان بذاته . فهو معاصم للقواطع من كتاب الله ، فمن قول الله سبحانه (أأمنتم من فى السماء أن يخسف بكم الأرض) فكيف يتوعدم يخسف الأرض وهو فيها ؟؟

(٢) عقب ما ظنه حديثاً بالآية ، استشهاداً بها على صدق أسطورة الوحدة . والآية ما فيها إلا حق يهدم كفر الباطل . إذ تنفد أن السماء والأرض ملك لله وحده ، يفيد الأول الإلام ، والثانى تقدم الجبار والمجروز . يفهم هذا من له أدنى الإلمام بالعربية ، ولكن ابن عربى يلبس حتى فى البدهيات .

(٣) يعنى : الذين دعا عليهم نوح عليه السلام .

في كفره ، والشخص واحد (رب اغفر لي^(١)) استرني ، واستر من أجلي ، فيجمل مقامى وقدرى ، كما جمل قدرك في قولك (٣٩ : ٦٧ وما قدروا الله حق قدره » « ولوالدى » من كنت نتيجة عنهما ، وهما العقل والطبيعة » ولن دخل بيتي « أى قلبى » مؤمناً « أى مصداقاً لما يكون فيه من الإخبارات الإلهية ، وهو ما حدثت به أنفسها^(٢) » وللمؤمنين « من العقول » والمؤمنات « من النفوس^(٣) » ولا تزد الظالمين « من الظلمات أهل الغيب المكتنفين خلف الحجب الظلمانية » إلا تبارا « أى هلاكاً ، فلا يعرفون نفوسهم ، لشهودهم وجه الحق دونهم في المحمدين (٢٨ : ٨٨ كل شئ هالك إلا وجهه) والتبار الهلاك^(٤) »

الحق عين الخلق عند الصوفية

ثم قال في فص حكمة قدوسية في كلمة إدرسية : « ومن أسمائه الحسنى : العلى . على^(٥) من ؟ وما ثم إلا هو !! فهو العلى لذاته ، أو عن ماذا ؟ وما هو

(١) سيبدأ في تفسير قوله تعالى : (٢٨ : ٧١ - رب اغفر لي ، ولوالدى ، ولن دخل بيتي مؤمناً ، وللمؤمنين والمؤمنات ، ولا تزد الظالمين إلا تبارا) وسترى في تفسيره كيف يضع للفظ الكفر معنى الإيمان الحق ، ولللفظ الباطل معنى الحق .

(٢) في الأصل : أنفسهم ، وصوبتها من الفصوص

(٣) فسر الإضلال بأنه الإخراج من الباطل والشر إلى الحق والخير ، أى من الظن بأنهم عبيد ، إلى اليقين بأنهم في حقيقةهم أرباب !! وفسر الوالدين بالعقل والطبيعة ، والبيت بالقلب ، والمؤمنين والمؤمنات بالعقول والنفوس ، والهلاك بشهود الحق في الخلق . وهكذا يعث الصوفية عبث الجرأة الكافرة بالالفة التي نزل بها القرآن ، فيضعون للشئ معنى تقيضه ، ويزعمون بهذا أنهم أهل الباطل ، أى الباطن !!

(٤) ص ٧٢ - ٧٤ فصوص

(٥) في الأصل : علا عن من . وهى - كما أثبت - في الفصوص

إلا هو !! فعلوه لنفسه ، وهو من حيث الوجود عين الموجودات ، فالمسمى محدثات
هى العلية لذاتها ، وليست إلا هو ^(١) . فهو العلى ، لاعلو إضافة ، لأن الأعيان
التي لها العدم الثابتة فيه ، ما شئت رأتحة من الوجود ، فهم على حالها مع تعداد
الصور فى الموجودات والعين واحدة من المجموع فى المجموع ، فوجود الكثرة فى
الأسماء ، وهى النسب ، وهى أمور عدمية ، وليس إلا العين الذى هو الذات ،
فهو العلى لنفسه ، لا بالإضافة ، فما فى العالم من هذه الحيثية علو إضافة ، لكن
الوجوه الوجودية متفاضلة ، فعلو الإضافة موجود فى العين الواحدة من حيث الوجوه
الكثيرة ، لذلك نقول فيه : هو ، لاهو . أنت ، لانت ^(٢) . قال الخراز ^(٣) -

(١) هذا صريح جدا فى الدلالة على أن ابن عربى يؤمن بوحدة الوجود المادية
والروحية . وقد عبر عن إيمانه هذا بقوله : « فالمسمى محدثات هى العلية لذاتها »
ثم زاد الكفر غلوا وتوكيدا ، فقال : « وليست إلا هو » هكذا بأقوى وأؤكد
أسلوب من أساليب القصر . ولعل فى هذا ما يكشف لك عن علة مقت الصوفية
لكلمة التقوى والتوحيد « لا إله إلا الله » وقولهم بدلا عنها : « ليس إلا الله » أو
« لا هو إلا هو » وبهذا دان الغزالي ، وقرره فى مشكاة الأنوار ، أو « هو الله »
أو « هو هو » مما يهولون به على الخايل ، ويهدفون به إلى تأييد مذهبهم فى الوحدة :
شهودية ، أو وجودية

(٢) هو ، وأنت : إيجاب ، ولا هو ، ولا أنت : سلب ، فهما إذن تقيضان ،
لا يجتمعان ، ولا يرتفعان . وإذا حكمت بثبوت أحدهما أو نفيه استلزم هذا لزوما
قطعا الحكم بنفى الآخر أو ثبوته . بيد أن الصوفية لا يحفلون فى سبيل إثبات وجود
العدم بقانون من قوانين اللغة أو الفكر ، بل لديهم الجرأة البالغة على تكذيب
ما يشهد به الحس ، وما يقطع ببداهته العقل ، والبين الجلى من كتاب الله .

ومعنى قول ابن عربى : إنك تستطيع أن تقول عن كل شيء إنه هو الله باعتبار
هويته وماهيته ، وتقول ليس هو الله بالنظر إلى اسمه الخاص به ، وإلى أنه أحد
تعينات الذات لا كل تعييناتها ، وكذلك أفهم قوله : أنت لا أنت .

(٣) هو أحمد بن عيسى أبو سعيد الخراز من صوفية بغداد توفى سنة ٢٧٧ هـ .
ونفذ ابن عربى صريحا أن الخراز هو الله سبحانه !!

وهو وجه من وجوه الحق ، ولسان من ألسنته ينطق عن نفسه : بأن الله لا يعرف إلا بجمعه بين الأضداد في الحكم عليه بها ، فهو الأول والآخر ، والظاهر والباطن ، فهو عين مظهر ، وهو عين مابطن في حال ظهوره ، وما ثم من يراه غيره ^(١) ، وما ثم من يبطن عنه ، فهو ظاهر لنفسه ، باطن عنه ، وهو المسمى أبا سعيد الخراز ، وغير ذلك من [أسماء] المحدثات ^(٢) .

قلت : وقال ابن الفارض :

أمت إمامي في الحقيقة ، فالورى	ورأى وكانت حيث وجهت وجهي
يراها أمامي في صلاتي ناظري	ويشهد في قلبي إمام أمتي
ولا غرو أن صلي الأنام إلى ، أن	ثوت بفؤادي وهي قبلة قبلتي
لها صلواتي بالمقام أقيمها	وأشهد فيها أنها لي صلت
كلانا مصل ساجد إلى	حقيقته بالجمع في كل سجدة
وما كان لي صلي سوى ، ولم تكن	صلاتي لغيري في أدا كل ركعة
إلى كم أواخي ^(٣) السر ، ها قد هتكته	وحل أواخي ^(٤) الحجب في عقد بينعتي
أفاد اتخاذي ^(٥) حبها لانحدانا	نوادر عن عاد الحبين شذت

(١) إذ كل شيء عنده هو الله ، فإذا رأى الصوفي إنساناً قال : الله رأى الله ، وإذا عبد المشرك صنما قال الصوفي : الله عبد الله ، وهكذا استطرد في كل اثنين . حتى العاهر مع العاهرة !! وتعالى الله عما يافك الزنادقة

(٢) ص ٧٦ - ٧٧ فصوص . وهذا صريح جداً في أن ابن عربي يؤمن بأن الله سبحانه عين كل شيء : مادي ، أو روحي !!

(٣) من المواخلة بمعنى الملازمة

(٤) جمع آخية ، وهي ما يبرز - كالحلقة - من الحبل المدفون طرفاه في الأرض وتشد إليها الدابة ، ويراد بها الحرمة والذمة

(٥) في الأصل : اتخاذي ، والتصويب من الديوان

وفي الصحو بعد المحو ^(١) لم أك غيرها وذاتي بذاتي إذ تجلّت تجلّت ^(٢)
 [فوصفني إذ لم تدع باثنين وصفها وهيبتها - إذ واحد نحن - هيئتي ^(٣)]
 فإن دعيت كنت المجيب، وإن أكن منادى أجابت من دعائي ولبت
 وإن نطقت كنت المناجي ^(٤) ، كذلك ^(٥) إن
 قصصت حديثاً ، إنما هي قصت
 فقد رفعت تاء المخاطب بيننا وفي رفعها عن فرقة الفرق رفعتي
 فجاهد تشاهد فيك منك وراء ما وصفت سكوتاً عن وجود سكينه

(١) الصحو عند الصوفية: هو رجوع العارف إلى الإحساس بعد غيبته وزوال إحساسه . والمحو: إسقاط إضافة الوجود إلى الأعيان ، ولا موجود عندهم إلا الحق سبحانه وحده ، فهو العابد باعتبار تعينه وتقيد بصور العبد التي هي شأن من شئونه الذاتية ، وهو المعبود باعتبار إطلاقه . انظر التعريفات للجرجاني ، وجامع الأصول في الأولياء للكشمشخاني تحت مادتَي الصحو والمحو . . وابن الفارض هنا يغلو في إثبات الوحدة ، فيزعم أنه هو الله ، لافي حال المحو فحسب ، بل في حال الصحو أيضاً . وهذا يؤكد لك أنه يعني ما يقول ، ويؤمن بالوحدة صحواً ومحواً ، فما هي شطحات ، ولكنها عقيدة ينبت عليها قلبه ودينه ، وما هو بهذيان سكران كما يهرف الصوفية ، ليقولوا : وكلام السكران مغفوف عنه ، فيطوى ، ولا يروى ! !

(٢) يشرح القلاشاني هذا البيت بقوله : « أي ارتفع غيرتي في حال الصحو بعد المحو ، وحينئذ زينتم ذاتي بذاتي إذ تجلّت ، ولا ينتج تجليها السكر ، لأنها لا تصادف غيرها » يعني أنها صارت هي الله « وهذا هو نهاية الاتحاد » انظر شرح القلاشاني - وهو من عباد ابن الفارض - للتائية

(٣) هذا البيت ليس في الأصل ، وقد أثبتته عن ديوان ابن الفارض ، وسيأتي شرحه .

(٤) في الأصل : المجيب . والتصويب من الديوان

(٥) في الأصل : كذلك

فن بعد ماجاهدت ، شاهدت مشهدي^(١)

وهادي^(٢) لي إياي ، بل بي قدوتي

فبي سوقى ، لا ، بل إلى توجهي كذاك صلاتي لي ، ومنى كعبي

الوحدة المطلقة دين ابن عربي

قال الإمام زين الدين العراقي في جواب السؤال المذكور : « وأما قوله^(٣)

فهو عين مظهر ، وعين مابطن ، فهو كلام مسموم ، ظاهره : القول بالوحدة

المطلقة ، وأن جميع مخلوقاته هي عينه ، ويدل على إرادته لذلك صريحاً قوله بعد

ذلك : « وهو المسمى أبا سعيد الخراز ، وغير ذلك من أسماء المحدثات » وكذا

قوله بعد ذلك : « والمتكلم واحد ، وهو عين السامع » وقائل ذلك والمعتدله كافر

يأجاع العلماء .

« لا يُتَذَرُ عن الصوفية بالتأويل »

ثم قال : « ولا يقبل من أجتراً على مثل هذه المقالات القبيحة أن يقول :

أردت بكلامي هذا خلاف ظاهره ، ولا تؤول له كلامه ، ولا كرامة .

ولقد أحسن بعض من عاصرناه من العلماء العارفين ، وهو الشيخ الإمام

العلامة علاء الدين علي بن إسماعيل القونوي حيث سئل عن شيء من هذا .

فقال : « إنما تؤول كلام من ثبتت عصمته حتى نجتمع بين كلاميه^(٤) ، لعدم

(١) في الأصل : مشهدي

(٢) في الأصل : وهادي

(٣) يعني : ابن عربي

(٤) هذا على دين من يقول بوجوب التأويل لأي القرآن ، أو الأحاديث التي

يرون - وهو - أي ضلالة - أن في حملها على ظاهرها إنباتا لوجود التعارض بين

العقل والنقل . وما آتى هؤلاء إلا من إيمانهم بأسطورة الفلسفة الملحدة ، وهي أن

العقل حاكم على النقل ، وأنه القاعدة ، والقياس ، فإذا رأى العقل في كلام الله =

جواز الخطأ عليه ، وأما من لم تثبت عصمته ، فجائز عليه الخطأ والمعصية والكفر ، فنؤاخذ بظاهر كلامه ، ولا يقبل منه ما أول كلامه عليه مما لا يحتمله ، أو مما يخالف الظاهر ، وهذا هو الحق « انتهى .

خطر صرف الكلام عن ظاهره

وكذا قال في عدم التأويل لغير المعصوم الإمام نور الدين علي بن يعقوب البكري الشافعي ، وقد حقق هذه المسألة حجة الإسلام^(١) أبو حامد الغزالي في أول الإحياء في كتاب العلم بما حاصله : أن الكلام إن كان ظاهرا في الكفر بالاتحاد ، فقتل واحد ممن يقول به أفضل من إحياء عشرة أنفس ، وإن كان فهمه مشكلا ، فلا يحل ذكره . وقال : إن الألفاظ إذا صرفت عن مقتضى ظواهرها بغير اعتصام بنقل عن صاحب الشرع ، وبغير ضرورة تدعو إلى ذلك من دليل العقل^(٢) اقتضى ذلك بطلان الثقة بالألفاظ . ثم قال : والباطن لا يضبط

== مالا يوافق مقاييسه وقيمه ، وجب تأويله حتى لا يتعارض معه !! يعملون المخلوق حاكما على الخالق ، والعبد محمدا للقيم التي يجب أن يؤمن بها الرب ، ويوجبون على الله ألا يتكلم سبحانه إلا بما يتواءم وهوى عبده !! هكذا يفعل المؤولة ، اقتداء بآلهتهم الفلاسفة ، فما صاروا فلاسفة ، وما قدروا على أن يعودوا مسلمين !! والقونوي هو أبو الحسن نور الدين المصري الشافعي ، ولد سنة ٦٧٣ ، وتوفي سنة ٧٢٤ هـ وهو من خصوم ابن تيمية ، حتى لقد وثب مرة عليه ، ونال منه

(١) إنما حجة الإسلام كتاب الله وسنة رسوله ، وكيف يعتبر حجة للإسلام رجل يشهد على نفسه أنه رديء البضاعة في الحديث ، وأنه لم يجد الحق إلا في التصرف؟! (٢) لو تركنا للعقل الحرية في صرف اللفظ عن ظاهره ، أي عن معناه الذي هو له لصارت الحقائق كلها نسبية أو اعتبارية ، بل لما بقي حق واحد يؤمن به الفكر العام ، ولعدنا إلى السفطائية . إذ سيصبح جائزا لكل إنسان ادعاء أن هذا اللفظ ، أو ذاك يجب صرفه عن ظاهره ، لأن عقله يحكم بذلك ، ولا يمكن لامرئ ما معارضته ، ما دما قد وضعنا له من قبل قاعدة وجوب صرف اللفظ ==

له ، بل تتعارض فيه الخواطر^(١) ، ثم قال : وبهذا الطريق توصل الباطنية إلى هدم جميع الشريعة .

وسياتى تأييد ذلك عن الشيخ زين الدين العراقي وولده الحافظ أبى زرعة [١٦] وحكاية ابن خليل السكونى الإجماع على ذلك .

صلة الخلق بالحق عند الصوفية

ثم قال ابن عربى فى الفص الإدريسى أيضا : « وما ظهر حكم العدد إلا بالمدود : ^{وبلفظ} منه عدم ، ومنه وجود ، فقد يعدم الشيء من حيث الحس ، وهو موجود من حيث العقل ، فلا بد من عدد ، ومن محدود ، ولا بد من واحد ينشأ ذلك ، فينشأ بسببه ، فإن كل مرتبة^(٢) من العدد حقيقة واحدة كالتسعة مثلا ، والعشرة [إلى أدنى ، وإلى أكثر ، إلى غير نهاية] ما هى مجموع ، ولا ينفك عنها اسم جمع الآحاد^(٣) »

ثم قال : « ومن عرف مآقرنه فى الأعداد ، وأن نفىها عين إثباتها^(٤) »

== عن ظاهره إذا تعارض مع العقل !! والفلاسفة أنفسهم لم يجمعوا على حقيقة واحدة ، بل آمن كل بإله ليس هو إله الآخر فى ماهيته وصفاته بل كان الفيلسوف يؤمن أو يكفر بما كفر أو آمن به من قبل ، ونظرة واحدة إلى نتاج الفكر الفلسفى تبين لك عما فيه من تناقض حاد ، وتضاد متوتر ، فأى عقل من هذه العقول نجعله قبا على الحق ، وحكما بين الخطأ والصواب ؟ !

(١) هذا حق لا حرية فيه ، بيد أن من قرره لا يؤمن به إلا حين يخاطب عوام الناس فى زعمه ، أما فى كتبه المصنوعون به على غير أهلها فهم باطنى بمجرد اللفظ من مضاه فى جرأة بالغة ، وحسبك أن من أساتذة القزالى إخوان الصفا ، وأن فى كتبه المصنوعون بها آثارا ظاهرة من باطنيتهم الخبيثة ، وعجيب أن يحمل القزالى على الباطنيين ، وهم أساتذته ، وهو من رواد مشارعهم ؟ !

(٢) فى الأصل : وإن كان كل . وهو موافق لبعض نسخ الفصوص

(٣) ص ٧٧ ج ١ فصوص

(٤) فى الأصل : ثبوتها ، والتصويب من الفصوص

علم أن الحق المنزه هو الخلق المشبه^(١) وإن كان قد تميز الخلق من الخالق ، فالأمر الخالق المخلوق ، والأمر المخلوق الخالق كل ذلك من عين واحدة [لا] ، بل هو

(١) يمثل الزنديق علاقه الحق بالخلق ، بعلاقة الواحد الحسابى بالأعداد ، فيزعم أن جميع الأعداد صور للواحد ، وكذلك الوجودات المتعددة ما هي إلا صور للوجود الواحد ، هو الوجود المطلق . فالتسعة مثلاً هي الواحد مكرراً ، فلك القول بأن الواحد عين التسعة ، ولك القول بأنه غيرها ، بيد أنها غيرية مجازية ، أو إسمية فقط . وكذلك الحق سبحانه - هكذا يافك الزنديق - والخلق ، فهذا عين الحق باعتبار الهوية والماهية ، وهو غيره باعتبار خصوصيته ، أى كونه مظهراً للذات الواحدة ، ولكنها غيرية ذهنية لا تحقق لها في الخارج . ألا تراه يزعم : « إن الحق المنزه عين الخلق المشبه » ؟ ، وما أظن الكفر تجراً على الله من أحد يمثل هذه الجرأة من ابن عربي ، وما أظنه صرح عن خبيثته بما هو أبين من هذه الصراحة . والرد على تلبس ابن عربي هين . فالأعداد في ذاتها حقائق معقولة ، لا توجد في الذهن ، ولا توصف بالوجود الخارجى إلا بالنسبة للمعدودات ، ثم إن معدود الأربعة مثلاً ليس بلازم أن يكون عين معدود الخمسة ، بل ولا عين معدود أربعة أخرى ، فقد يكون معدود الخمسة أقلاماً ، فيكون الواحد فيها قلماً . وقد يكون معدود الأربعة كتباً ، فيكون الواحد منها كتاباً . فيكون الواحد في الأربعة غير الواحد في الخمسة ، بل غيره في أربعة أخرى ، وهكذا في كل معدود . وهي غيرية حقيقية في الذاتيات والعرضيات . ولكن ابن عربي يوقن بأن الحق المتلبس بصورة الصنم عين الحق المتلبس بصورة الخنزير ، يؤمن بأن الحق للعبود في عجل السامري عين الحق للعبود في البار ، وهبل . أما الأعداد فقد رأيت أن الواحد في الأربعة يغير الواحد في الخمسة مثلاً ، أو في أى عدد آخر مغايرة حقيقية ، ثم معنى الواحد في عدد ما عين معناه في عدد آخر ، لكنها عينية ذهنية ، أو تجريدية فحسب . أما ابن عربي فيؤمن بتحقيق العينية في الوجود الخارجى ، إذ يدين بأن مافى الخارج عين مافى الذهن . وهذا واضح البطلان ، فالمستحيل يوجد في الذهن ، ولكنه لا يوجد في الخارج ، وكذلك المطلق والبكلى بشرط الإطلاق والكلية يوجدان في الذهن ، ولا يوجدان ألبتة في الخارج

العين الواحدة ، وهو الميون الكثيرة^(١) »

الطبيعة هي الله عند الصوفية

ثم قال : « وخلق منها زوجها [فما نكح سوى نفسه ، فنه الصاحبة والولد ، والأمس واحد في العدد^(٢)] ، فمن الطبيعة ؟ ومن الظاهر منها ؟ وما رأيناها تقصت بما ظهر منها ، ولا زادت بعدم ما ظهر ! ! وما الذي ظهر غيرها ؟ وما هي عين ما ظهر ، لاختلاف الصور بالحكم عليها . فهذا بارد يابس ، وهذا حار يابس ، فجمع باليبس ، وأبان بغير ذلك ، والجامع الطبيعة [لا] ، بل العين الطبيعة ، فعالم الطبيعة صور في مرآة واحدة ، لا . بل صورة واحدة في [مرايا] مختلفة^(٣) ، فما نم إلا حيرة ، لتفرق النظر ، ومن عرف ما قلناه لم يحمر ، وإن كان في مزيد علم ، فليس إلا من حكم المحل ، والمحل عين العين الثابتة ، فيها يتنوع الحق في

(١) ص ٧٨ ج ١ فصوص

(٢) كل ما بين هذين [] ساقط من الأصل ، وأثبتته عن الفصوص . وأظنك قد لاحظت عرام الفريزة الدنيئة كيف وضع لابن عربي دينه في قوله : « فما نكح سوى نفسه » ! ! ولاحظت التثليث الذي يصوره ابن عربي بصورة أدنا من تثليث المسيحية المفلسة . إذ يزعم أن الذات الإلهية ثلاثة أقانيم . أقنوم هو الزوج ، وثان هو الزوجة ، والأخير هو الولد » هذه الأقانيم الثلاثة هي الإله الواحد عند ابن عربي ! ! أفيستطيع الصوفية افتراء أنهم مسلمون ؟ !

(٣) يزعم ابن عربي أن مظاهر الطبيعة هي عين الذات الإلهية ، والمظاهر الطبيعية مختلفة الأحكام ، فمنها ما يحكم عليه بأنه حيوان أو جماد : رطب أو يابس ، حار أو بارد . لذا وجب أن يحكم على الذات الإلهية بكل ما يحكم به على مظاهرها وهي العالم الطبيعي . فيقال عن الذات الإلهية : إنها حيوان جماد رطب يابس حار بارد ، وغير هذا . ويزعم ابن عربي أن الله نفسه هو الذي يحكم على نفسه بهذه الأحكام ، أي يحكم على نفسه سبحانه بكل ما يحكم به على كل مظاهر الطبيعة ! ! وحسب الصوفية إنغالا في الزندقة إيمانهم برب هو جماد بارد ! !

الجللى ، فتنوع الأحكام عليه ، فيقبل كل حكم ، وما يحكم عليه إلا عين ما تجلى فيه ، وما ثم^(١) إلا هذا - شعر :

فالخلق خلق بهذا الوجه ، فاعتبروا وليس خلقا بذاك الوجه فادّكروا
من يدر ما قال ، لم تخذل بصيرته وليس يدر به إلا من له بصر
جمع^(٢) ، وفرق ، فإن العين واحدة وهى الكثيرة ، لاتبقى ولا تذر^(٣)

دين ابن الفارض

قلت : وهذا مراد ابن الفارض بقوله :

وجل فى فنون الاتحاد ، ولا تحد^(٤) إلى فئة فى غيره العمر أفنت
فواحدة الجم الفقير ومن عدا ه شرذمة فى غيره العمر أفنت
فت بمعناه ، وعش فيه ، أو فت معناه ، واتبع أمة فيه أمت
فأنت بهذا المجد أجدر من أخى اج تهاد مجد عن رجاء وخيفة
فألغ الكنى عنى^(٥) ، ولا تلغ الكنا بها ، فهى من آثار صيغة صنعتى

(١) فى الأصل : ما

(٢) فى الأصل : وجمع

(٣) ص ٧٨ - ٧٩ ج ١ فصوص

(٤) فى الأصل : تحد

(٥) لما كانت الكنى اصطلاحات وضعها الإنسان الذى هو من صنع الإله الذى تجسد فى هيكلى ابن الفارض فإن هذا الإله الفارضى يأمر خلقه بإلغاء الكنى عنه ، إذ لا يصح للمصنوع تعريف صانعه بكنية ما . وهدف ابن الفارض من هذا أن يؤمن الناس بما آمن به هو من الكفر الفاجر ، وهو اعتقاد الوحدة التامة بين الحق والخلق ، وأن يدينوا بأن ابن الفارض هو الجللى الأعظم ، والمظهر الكامل للذات الإلهية ، فليضيفوا إليه صفات الربوبية والإلهية . . . ولما كان ابن الفارض يعلم أن كفره هذا يناهذ الشرع . فإنه ألح فى البيت الذى قبل هذا فى تحذير أتباعه من الإصغاء إلى الشرع ، أو من الليل إلى الأئمة المجددين المجتهدين الذى يعبدون الله =

وأى بلاد الله حلت بها ، فها أراها ، وفي عيني حلت غير مكة
 وأى مكان ضمها حرم ، كذا أرى كل دار أوطنت^(١) دار هجرة
 وما سكنته ، فهو بيت مقدس بقرة عيني ، فيه أحشاي قرت
 ومسجدي الأقصى مساحب بردها وطبي نرى أرض عليها تمشت
 وشكري لى ، والبر منى واصل إلى ، ونفسي باتحادى استقبلت
 وثم أمور تم لى كشف سترها بصحو مفيق عن سواى تغطت
 بها لم يبع من لم يبع دمه ، وفي الإشارة معنى ما العبارة حدث
 وقلبي بيت فيه أسكن . دونه ظهور صفاتي عنه من حجيتي
 ومنها يميني في ركن مقبل ومن قبلتي للحكم في في قبلتي
 وحولي بالمعنى طوافي حقيقة

[١٧] وسعي لوجهي من صفاتي لمروني^(٢)

وفي حرم من باطنى أمن ظاهري ومن حوله يخشى تخطف جيرتي^(٣)

= وحده ، وتمتلىء قلوبهم خوفا من الله وحده ، ورجاء فيه وحده .. وهكذا كل
 شيطان صوفي يحذر أتباعه من الشرع وأتباعه ، ويأمرهم أن يكونوا بين يديه هو
 كجثة الميت بين يدي الغاسل ، ويظل يقتل فيهم الشعور ، ويميت منهم الكرامة ،
 ويستبعد منهم الفكر ، ويبيد فيهم كل إحساس بالذاتية ، حتى يصبحوا لهواه عبيدا
 صاغرين ، فينتهك حرمة الله ظانين أنه ثم مع الله ، ويلعق دم الجريمة ، وهم
 محبون أنه بذلك يقضى دين حب الله ، ويترع حميم الحمر ، ويقسمون أنها شراب
 من يد الله ! !

(١) في الأصل : وطنت

(٢) يقصد : الصفا والمروة . يريد أن يقول : إنه إذا طاف فإنما يطوف حول
 نفسه ، وإذا سعى بين الصفا والمروة ، فإنما يسعى لوجهه . ذلك لإيمانه بأن العابد
 والعبود عين واحدة . ولقد أقسم لى صوفى : أنه ليس ممن يطوفون حول الكعبة
 بل هو ممن تطوف حولهم الكعبة ! !

(٣) يريد أن يقول : إنه هو الحرم . ويشير إلى قوله تعالى (٢٩ : ٦٧ أو لم =

وشفع وجودى فى شهودى ظل فى اتحادى وترافى تيقظ شفقى^(١)
ولم أله باللاهوت عن حكم مظهرى ولم أنس بالناسوت مظهر حكمتى
وقد جاءنى منى رسول . عليه ما عنت ، عزيزى ، حريص لرأفة^(٢)
ومن عهد عهدى قبل عصر عناصرى إلى دار بعث قبل إنذار بعثة
إلى رسولاً كنت منى مرسل^(٣) وذاتى بآياتى على استقلت

يروا أنا جعلنا حرماً آمناً ، ويتخطف الناس من حولهم ، أفبالباطل يؤمنون ، وبنعمة
الله يكفرون (يالزنديق يزعم أن باطنه الحبث هو هذا القدس الطهور

(١) الشفع عند الصوفية وجود الرب شفع بوجود العبد ، والوتر عندهم وجود
الرب فرداً باقياً بعد فناء وجود العبد . ولما يستلزمه الشفع من الإثنية راح
ابن الفارض يضيفه هنا نفيًا باتاً ، ثم يؤكد أنه تجلى له عن شهود جلى ، ويقظة شاعرة
تمام الشعور أن الوجود - وجود الرب ، ووجود العبد - واحد فى أزليته وأبديته
وأنه ما ثم إلا عين واحدة سميت باعتبار الباطن حقاً ، أو رباً ، وباعتبار الظاهر خلقاً
أو عبداً . تلك هى الذات الإلهية ، ويؤكد الزنديق كذلك أن ما كان يضيفه من
سمات الوجود وصفاته لنفسه ، ويحسبه غير الوجود الإلهى ، كان وهماً من الأوهام
استبد بخياله الغافل المغرور . هذا لأنه أدرك تمام الإدراك أنه ما ثم غير ، ولا سوى ،
بل وحدة مطلقة تشمل كل مظاهر الوجود . هذا وغيره يعملنا نوقن أن ابن الفارض
ممن يؤمنون بالوحدة ، لا بالاتحاد . لأن الاتحاد افتعال يستلزم ثبوت وجودين
اتحد أحدهما بالآخر . فى حين أنه هنا وفى مواضع كثيرة يقرر وحدة الوجود فى
أزل وأبد وسرمد وآن . وأنه ما كان فى حال ما ولا آن ما ثنائياً أبداً ، بل كان
دائماً هو الوجود الواحد

(٢) فى الأصل : برأفة

(٣) قال القاشانى فى شرحه : « فالذات الإلهية باعتبار التجرد والابتداء تكون
مرسلًا ، وباعتبار تلبسها بلباس النفس تكون مرسلًا إليها » وهكذا يشد كل صوفى
وتر الثالث ، فابن الفارض يزعم هنا أنه منذ القدم كان الله ، ثم تلبس بصورة
النفس ، فأرسل بصفته وجوداً متجرداً ، رسولاً إلى نفسه بصفته وجوداً مقيداً
بالتعين . فهو المرسل ، والرسول ، والمرسل إليه ! ! كان كذلك حتى وهو فى
غيابة الأزل

العبد عين الرب عند الصوفية

ثم قال في فص حكمة عليّة في كلمة إسماعيلية : « والعبد^(١) من كان عند ربه مرضيا ، وما ثم إلا من هو مرضى عند ربه ، لأنه الذي يبقى عليه ربوبيته ، فهو عنده مرضى ، فهو سعيد » ثم قال - شعر :

فأنت عبد ، وأنت ربّ لمن له فيه أنت عبد
وأنت رب ، وأنت عبد لمن له في الخطاب عهد
فكل عقد عليه شخص يحله من سواء عقد^(٢)

فرضى الله عن عبيده ، فهم مرضيون ، ورضوا عنه ، فهو مرضى ، فتقابلت الحضرتان^(٣) تقابل الأمثال ، والأمثال أضداد ، لأن المثلين حقيقة لا يجتمعان ، إذ لا يتميزان ، وما ثم إلا متميز ، فما ثم مثل^(٤) ، فما في الوجود مثل ، فما في الوجود ضد ، فإن الوجود حقيقة واحدة ، والشئ لا يضاد نفسه .

(١) في الأصل : والسعيد

(٢) البيتان الأخيران ساقطان من الأصل ، وأثبتهما عن الفصوص . يقرر ابن عربي : أن الإنسان رب من حيث هويته التي هي عين هوية الحق ، وهو عبد باعتبار ما أطلقه عليه الشرع . ويعنى بالعهد : المفهوم من قوله سبحانه : (ألسنت بربكم ؟) مبتغيا من وراء ذلك إثبات أن ما سمى في عرف الشرع عبدا ما هو في الحقيقة إلا رب حق يدين ربوبيته العارفون ، ويشهد بحقها السالكون على بصيرة (٣) هما حضرة الربوية ، وحضرة العبودية ، ويقرر ابن عربي : أن من يغير بينهما محجوب أعشى الصيرة ، جاهل بحقيقة الله سبحانه

(٤) في الأصل : إلا مثل . وابن عربي ينفي المثلية لأنه يدين بأن الوجود حقيقة واحدة ، أما المثلية ، فتستلزم الإثنية والغيرية بوجه ما . وما ثم عنده إلا حقيقة واحدة ، أو وجود واحد لا كثرة فيه ، ولا تعدد ، ولا تباین ، فالشئ الواحد لا يقال أنه يغير نفسه ، أو يضادها ، أو يعاثلها . هذا ما يريد به بنفي المثلية ، وقد بناء على ما يدين به من وحدة الوجود . ويغلوا ابن عربي في جرأة الزندقة ، فيزعم أن معتقده هذا دل عليه برهان العيان ، أي شهود الحق متعددا في مظاهر خلقية

فلم يبق إلا الحق ، لم يبق كائن فما نتم موصول ، وما ثم بأن
بذا جاء برهان العيان ، فما أرى بعيني إلا عينه إذ أعين^(١)

النار عين الجنة عند الصوفية

ثم قال . « الثناء بصدق الوعد ، لا بصدق الوعيد [والحضرة الإلهية تطلب
الثناء المحمود بالذات ، فيثنى عليها بصدق الوعد ، لا بصدق الوعيد ، بل بالتجاوز]
(١٤ : ٤٧ فلا تحسبن الله مَخْلِفَ وعده رسالته) لم يقل : ووعيده^(٢) ، بل قال :
(ونتجاوز عن سيئاتهم^(٣)) مع أنه توعد على ذلك ، فأثنى على إسماعيل عليه
الصلاة والسلام بأنه كان صادق الوعد .

فلم يبق إلا صادق الوعد وحده وما لوعيد الحق عين تعان
وإن دخلوا دار الشقاء ، فإنهم على لذة فيها نعم مبين
نعم جنات الخلد^(٤) فالأمر واحد وبينها^(٥) عند التجلي تبين
يسمى عذاباً من عذوبة لفظه وذاك لكالقشر ، والقشر صائن^(٦)

(١) ص ٩٢ - ٩٣ فصوص

(٢) في الأصل : وعيده بدون واو العطف

(٣) يعنى قوله تعالى : (٤٦ : ١٦ أولئك الذين تتقبل عنهم أحسن ما عملوا ،
وتجاوز عن سيئاتهم في أصحاب الجنة ، وعد الصدق الذى كانوا يوعدون) ويحملها
على الكفرة والمشركين ، ليخلص من ذلك إلى إثبات ما يقرره وهو أن لا عذاب
يوم القيامة ، لأن الله وعد فى هذه الآية بالتجاوز عن السيئات . فتأمل ! !

(٤) الجنة عند الصوفية : هى عرفان المرء بنفسه ، ليدرك بهذه العرفة أنه هو الله
وهذا ما يفسرون به الحديث الموضوع : « من عرف نفسه فقد عرف ربه »
والجحيم عندهم : هو ما ينجس على النفس من أوهام الكثرة ، فتخدعها عن الحقيقة ،
فتظن النارية بين الخلق والحق . وهذا الظن هو الجحيم ! !

(٥) في الأصل : وما بينهما

(٦) ص ٩٣ - ٩٤ فصوص

« مثل من تفسير ابن عربي للقرآن »

ثم قال في فص حكمة نورية في كلمة يوسفية - بعد أن قرر أن الشيء قد يرى على خلاف ما هو عليه لبعده ، أو ظلام ونحوه - : « فما يعلم من العالم إلا قدر ما يعلم من الظلال ، ويجهل من الحق على قدر ما يجهل من الشخص الذي كان عنه ذلك الظل ، فما حيث هو ظل له يُعلم ، ومن حيث ما يُجهل ما في ذات ذلك الظل من صورة شخص من امتد عنه يجهل من الحق ، فلذلك نقول : إن [الحق] معلوم لنا من وجه ، مجهول لنا من وجه (٢٥ : ٤٥) ألم تر إلى ربك كيف مد الظل ، ولو شاء لجعله ساكناً) أى يكون فيه بالقوة . يقول : ما كان الحق ليتجلى للممكنات* التي ما ظهر لها عين في الوجود (٢٥ : ٤٥) ثم جعلنا الشمس عليه دليلاً) وهو اسمه النور [الذي قلنا ، ويشهد له الحس ، فإن الظلال لا يكون لها عين بعدم النور] (٢٥ : ٤٦) ثم قبضناه إلينا قبضاً يسيراً) . وإنما قبضه إليه ، لأنه ظله ، فمنه ظهر ، وإليه يرجع الأمر كله ، فهو هو لا غيره (١)

« وجود الحق عين وجود الخلق عند الصوفية »

فكل ما تدركه فهو وجود الحق في أعيان الممكنات ، فمن حيث هوية الحق

(١) يشبه الله سبحانه والعالم بالشيء وظله ، غير أن هذا التشبيه - على ما فيه - لا يصحح للزنديق دينه ، بل يصفه بالتلبس والتضليل . فما من شك في أن الشيء وظله شيان متمايزان ، والزعم بأنهما حقيقة واحدة مكابرة ووجود بشهود الحس اليقيني . نعم يحتاج الظل في وجوده إلى من أو ما هو ظل له . بيد أن هذا الاحتياج شيء ، والزعم بأنهما حقيقة واحدة شيء آخر مباين كل المباينة . وابن عربي يدين بأن العالم هو الله في الهوية والماهية ، أما ظل الشيء فليس عين الشيء لا في ذاتي ، ولا في عرضي ، قد يقال : إن الظل أثر من آثار الشيء ، غير أن الزنديق يؤمن بأن العالم ليس أثر الله ، بل هو هو في الحقيقة والوجود . فلا يثبت مثاله ما لبس به بهذا المثال

[حتى يظهر الظل فيكون كما بقي من الممكنات]

هو^(١) وجوده ، ومن حيث اختلاف الصور فيه هو^(٢) أعيان الممكنات ، فكما لا يزول عنه باختلاف الصور اسم الظل ، كذلك لا يزول عنه [١٨] باختلاف الصور اسم العالم ، أو اسم سوى الحق ، فن حيث أحدية كونه ظلا هو الحق ، لأنه الواحد الأحد ، ومن حيث كثرة الصور هو العالم ، فتفتن ، وتحقق ما أوضحت لك ، فإذا كان الأمر على ما ذكرته لك ، فالعالم مُتَوَمَّ^(٣) ماله وجود حقيقى ، وهذا معنى الخيال ، أى خيل إليك أنه أمر زائد قائم بنفسه ، خارج عن الحق ، وليس كذلك فى نفس الأمر . ألا تراه فى الحس متصلا بالشخص الذى امتد عنه يستحيل [عليه] الانفكاك عن ذلك الاتصال ، لأنه يستحيل على^(٤) الشيء الانفكاك عن ذاته^(٥) . . . وهذا وما شا كله من قوله - كما تقدم فى الفص النوحى - مشير إلى تصحيح قول الكفار فى القرآن : إنه سحر لاحققة له ، إشارة تكاد أن تكون صريحة ، وإلى مثل هذا الحال لوح ابن الفارض ، والأمر فيه أوضح مما فى الفصوص :

وها دحية وفى الأمين نبينا بصورته فى بدء وحى النبوة
أجبريل قل لى كان دحية إذ بدا لمهْدَى الهدى فى هيئة^(٦) بشرية ؟ !
وفى علمه عن حاضر به مزية بماهية المرئى من غير مزية
يرى ملكا يوحى إليه ، وغيره يرى رجلا يرى لديه بصحة

(١) ، (٢) فى الأصل : فهو فى الموضعين

(٣) هذا يستلزم وجود وهم ومتوهم ، فإن قال : إن المتوهم عين الهم والمتوهم لزمه كون إله وهما ومتوهما ، أى باطلا ينتج باطلا . فكيف يسمونه : حقا ؟ ! وإن قال : إنه غيرهما لزمه القول بالغيرية والتعدد ، وهو يدين بأن لا غير ، ولا سوى . وهكذا فى كل دليل له حجة تدفعه بالإفك ، وتدينه بالبهتان .

(٤) فى الأصل : عن

(٥) ص ١٠٢ فصوص

(٦) فى الأصل : فى صورة

ولى من أتم الرؤيتين إشارة تنزهه عن دعوى الحلول^(١) عقيدتى
وفى الذكر ذكر اللبس ليس بمفكر ولم أعد عن حُكمى كتاب وسنة
يعنى قوله تعالى : (٩:٦) ولو جعلناه ملكا ، لجعلناه رجلا ، وللبسنا عليهم
ما يلبسون) هذا ما كان ظهري ، ثم تبين أن المراد أقبح من هذا بقول شراح
الثانية ، الفرغانى وغيره^(٢) ، وسيأتى نقله عنه آنفاً .

رد علاء الدين البخارى

قال الإمام علاء الدين البخارى « ما ذكرتم فى نقي ثبوت الأشياء معارضُ
بالمثل ؛ إذ لا خفاء أنه من أعيان الأكوان ، غير أنه من الأعراض ، فيكون
ما ذكرتم أيضاً خيالا وسرابا ، لا حقيقة له ، فلا يمكن به إثبات مذهبكم الباطل
وإذا لم يبق فى قوس المكابرة منزع ، ولما لزمهم من شنيع المحالات والاضلالات
مدفع ، التجأوا إلى دعوى الكشف على ماهو دأب قدماء الفلاسفة حين عجزوا
عن إقامة البرهان ، وأنت خير بأن الكشف إنما يظهر الحقائق ، لا أنه يهدم
الشرائع ، وينفى الحقائق^(٣) ، فإن ذلك زندقة ، وقد غلط هؤلاء كغلط

(١) لم يرض بكفر الحلاج ديناً، وهو الحلول ، لأنه يستأزم الإثنينية والمغايرة بوجه

ما بين الحال ، وبين الحل . وابن الفارض يدين بالوحدة

(٢) قال القاشانى فى شرح ذلك البيت : « ظهور الحق فى بعض صور المخلوقات

هو تلبسه بها ، كتلبس جبريل بصورة رجل » !!

(٣) لا يستطيع البخارى هدم باطل الصوفية ما دام مؤمناً معهم بأسطورة

الكشف - ولكن لا تنس أنه هو الآخر صوفى - فالصوفية لم يهولوا بهذه
الأسطورة إلا لينقضوا بها ويل باطلها حقائق الدين والعقل ، ولإثبات ما يدينون به
من زندقة ، بعد تشكيك الناس فى كل حقيقة عقلية أو عقلية . على أن الصوفية الذين
دانوا بالكشف لم يدينوا بدين واحد ، ولم يروا فى الإلهية والربوبية - لأيا واحداً ،
ولم ينظروا إلى حقيقة الوجود نظرة واحدة . فالحلاج حلولى ، والسهروردى
إشراقى ، وابن عربى وابن الفارض وابن سبعين من زعماء وحدة الوجود على =

النصارى لما رأوا إشراف نور الله تعالى ، وقد تلاً في عيسى عليه السلام ^(١) ،
قالوا : هو الإله ، وهؤلاء لما رأوا الوجود فائضاً من الحضرة الإلهية هي الموجودات
فلم يفرقوا بين الفيض ^(٢) والمفيض ، فقالوا : الوجود هو الله سبحانه وتعالى . اهـ .

رأى المضد والجرجاني

وقال الشريف الجرجاني ^(٣) في شرح المواقف للمضد ^(٤) : « واعلم أن المخالف
في هذين الأصلين - يعني عدم الاتحاد وعدم الحلول - طوائف ثلاث ، الأولى :

= اختلاف في التصور والتصوير ، والقونوى والتلساني والجلي . كل له مذهبه ، وكل
له وسيلته ، وكل له تصويره ، وكل يدعى أنه آمن بما آمن به عن كشف وشهود .
قبأى كشف تأخذ ، وبأى شهود نصدق ؟ لا يمكن أن تأخذ أو نصدق بالجميع
لأنه نفاية تناقض وتباين ، والحق واحد لا يتعدد ، ولا يناقض نفسه ، ولا يمكن أن
تأخذ ببعض دون بعض ، وإلا احتجنا إلى دليل ثبت به أن ما أخذنا به هو الحق
وأن ما عداه باطل ، فهاذا نستدل ؟ أبكشف أم بغيره ؟ إن كان الأول لزم التسلسل
وإن كان الثاني ثبت أن الكشف محتاج إلى دليل آخر غير الكشف يثبت به ، ثم
إننا لو أخذنا ببعض دون بعض ، كان هذا معناه أن بعض أنواع الكشف الصوفي
باطل ، في حين يدعى الصوفية بأن كل كشف صوفي هو حق في ذاته ، وبما ذكرت
أو يعضه يتجلى لك بطلان أسطورة الكشف ، وتؤمن أن ملاذ الحق ومشرقه
وقدسه كتاب الله سبحانه . وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم

(١) في كلامه هذا رائحة الحلول المسيحي ، أو الإشراف السهروردي . ولكن
لعله يقصد بالنور الذي تلاً هدى النبوة والإيمان

(٢) يقصد ما أفاضه الله من الوجود ، والواجب أن يعبر عن هذا : بالخلق
والخالق ، إذ الفيض أسطورة ابتدعتها الفلسفة والصوفية ، ابتغاء نفي خلق الله سبحانه
للعالم ، ونفي القادر المريد ، وابتغاء إثبات قديم العالم ، وأن الأشياء ثابتة في العدم

(٣) هو علي بن محمد بن علي . ولد سنة ٧٤٠ هـ وتوفي سنة ٨١٤ هـ

(٤) هو عبد الرحمن بن أحمد بن عبد الغفار عضد الدين الإيجي ولد سنة ٧٠٩ هـ

تقريباً ، ومات سنة ٧٥٣ هـ

النصارى « ثم ذكر مذاهبهم ، ثم قال : « الثانية : النصيرية ^(١) والإسحاقية ^(٢) من غلاة الشيعة ، قالوا : ظهور الروحاني بالجسماني لا يُنكر ، ففي طرف الشر ، كالشياطين ، فإنه [١٩] كثيراً ما يتصور الشيطان بصورة الإنسان ، ليعلمه الشر ويكلمه بلسانه ، وفي طرف الخير - كالملائكة - فإن جبريل عليه السلام كان يظهر بصورة دحية الكلبي [والأعرابي ^(٣)] ، فلا يمتنع [حينئذ ^(٤)] أن يظهر الله تعالى في صورة بعض الكاملين [وأولى الخلق بذلك أشرفهم وأكملهم ، وهو العترة الطاهرة ، وهو من يظهر فيه العلم التام ، والقدرة التامة من الأئمة من تلك العترة ، ولم يتحاشوا عن إطلاق الآلهة على أئمتهم ، وهذه ضلالة بينة ^(٥) الطائفة [الثالثة] بعض المتصوفة ، وكل منهم مختلط ^(٦) بين الحلول والاتحاد » ثم قال العضد ^(٧) : « ورأيت من الصوفية الوجودية من ينكره ، ويقول : لا حلول ، ولا اتحاد ، إذ ذاك يشعر بالغيرية ، ونحن لا نقول بها ، بل نقول : ليس في ذات الوجود غيره ^(٨) ، وهذا العذر أشد قبحاً وبطلاناً من ذلك الجرم ؛ إذ يلزم ذلك المخالطة التي لا يجترئ على القول بها عاقل ، ولا يميز أدنى تمييز ^(٩) » .

(١) محدثها محمد بن نصير النخعي ، وتزعم هذه الفرقة أن الله سبحانه ظهر بصورة علي وأولاده المخصوصين

(٢) أحدثها إسحاق بن زيد بن الحراث : من القائلين بالإباحة وإسقاط التكليف ، وأن لعل شركة مع الرسول . ثم تطورت فقالت بالحلول كالنصيرية

(٣) ، (٤) ، (٥) كل ما بين هذين [] ساقط من الأصل ، وأثبتته عن المصدر الذي نقل عنه المؤلف ، وهو شرح المواقف

(٦) في شرح المواقف : وكلامهم مختلط

(٧) ليس قول العضد وحده ، وإنما مع شرح الجرجاني له

(٨) في المواقف « ليس في دار الوجود غيره ديار » وهو أدق

(٩) ص ٢٩ وما بعدها ج ٨ شرح المواقف

رأى السعد التفتازانى^(١)

وهذا المعنى الأخير هو الذى أراده الشيخ سعد الدين التفتازانى ، بالمذهب الثانى ، من قوله فى شرح المقاصد : « وههنا مذهبان آخران يوهان الحلول والاتحاد وليسامنه فى شىء . »

الأول : أن السالك إذا انتهى سلوكه إلى الله تعالى فى الله يستغرق فى بحر التوحيد والعرفان بحيث تطمحل ذاته فى ذاته ، وصفاته فى صفاته وينيب عن كل ما سواه ، ولا يرى فى الوجود إلا الله ، وهو الذى يسمونه : الفناء فى التوحيد ، وإليه يشير الإلهى^(٢) : « إن العبد لا يزال يتقرب إلى حتى أحبه ، فإذا أحببته كنت سمعه الذى يسمع ، وبصره الذى يبصر به^(٣) » . وحينئذ ربما تصدر عنه عبارات تشعر بالحلول^(٤) ، أو بالاتحاد لقصور العبارة عن بيان تلك الحال ، وبعد الكشف عنها بالمثل ، ونحن على ساحل التمنى نعترف^(٥) من بحر التوحيد بقدر الإمكان ، ونعترف بأن طريق الفناء فيه العيان^(٦) دون البرهان ، والله الموفق .

(١) مسعود بن عمر بن عبد الله ولد سنة ٧١٢ ، وتوفى سنة ٧٩٢ هـ .

(٢) يقصد : الحديث القدسى ، وقد روى هذا مختصرا جدا .

(٣) سيرد الحديث بتمامه والتعليق عليه .

(٤) ما تقرب إنسان فى الوجود إلى الله بمثل ما تقرب إليه به عبده ورسوله وخليفه محمد صلى الله عليه وسلم ، فلم تصدر عنه مثل تلك العبارات الطافحة بإثم الإلحاد ، والتي يافك الصوفية أنها روحانية الأنس تفيض من حظائر القدس . بل كل ما صدر عنه توحيد لله سبحانه خالص فى ربوبيته وإلهيته ، وتسايح عبودية تستشعر الخوف والرجاء . وتبتهل إلى الله أن يغمرها برضاه ، وأن يغفر لها كل ما تشعرها به - روحانية الإيمان أنه ذنب

(٥) لعلها : نعترف

(٦) يقصدون معاينة الذات تصدر عنها أفعالها ، وتصرف فى الكون أقدارها .

وإبراهيم خليل الله أراه الله ملكوت السموات والأرض ، وموسى كلمه الله من وراء

الثانى : أن الواجب هو الوجود المطلق^(١) ، وهو واحد لا كثرة فيه أصلا وإنما الكثرة بالإضافات ، والتعيينات التى هى بمنزلة الخيال والسراب ، إذ الكل فى الحقيقة واحد يتكرر على مظاهر ، لا بطريق المخالطة ، ويتكرر فى النواظر ، لا بطريق الانقسام ، فلا حلول منا ، ولا اتحاد ؛ لعدم الإثنية والغيرية ، وكلامهم فى

== حجاب ، ومحمد صلى الله عليه وسلم عرج به إلى السماء ، وشهد النور الأعظم ، فما تكلم رسول منهم بمثل هذا ، ولا حدثنا عن الفناء أو العيان الصوفى ، ولا قال واحد منهم أنه رأى الله ، ولا سمعنا عن أحد منهم أنه عبد الله بغير ما أمر الله ، أو غفل مرة عن أداء حق من حقوق الله ، أو ادعى أن الله سبحانه أسقط عنه التكليف ، بل ما زادهم ذلك إلا إيمانا وخشية ، وجدا فى العمل ، وكدحا فى العبادة ، وحبا لله وخوفا منه ، ورجاء فيه سبحانه . ولم يعد المؤمنون تغرهم بالله تلك التهاويل السحرية الصوفية ، ولا تلك الزمزمات المجوسية

(١) يرد الإمام ابن تيمية على هؤلاء بقوله : « المطلق بشرط الإطلاق لا يتصور إذ لكل موجود حقيقة يتميز بها ، ومالا حقيقة له يتميز بها فليس بشئ ، فمن قال : إن وجود الحق هو الوجود المطلق دون العين ، حقيقة قوله : إنه ليس للحق وجود أصلا ، ولا ثبوت إلا نفي الأشياء المعينة المتميزة ، والأشياء المعينة ليست إياه ، فليس شيئا أصلا . وتلخيص النكتة أنه لو عنى به المطلق بشرط الإطلاق ، فلا وجود له فى الخارج ، فلا يكون للحق وجود أصلا ، وإن عنى به المطلق بلا شرط . فإن قيل بعدم وجوده فى الخارج فلا كلام ، وإن قيل بوجوده فلا يوجد إلا معينا ، فلا يكون للحق وجود إلا وجود الأعيان ، فيلزم محذوران . أحدهما : أنه ليس للحق وجود سوى وجود المخلوقات . والثانى التناقض ، وهو قوله : إنه الوجود المطلق دون المعين » باختصار عن مجموعة الرسائل والمسائل ج ٤ ص ٢١ وهذا حق ، فإن الوجود المطلق تجريد صرف ، أو سلب خالص ، فليس ثم حقيقة تتميز ، ولا ذات تتحقق ، وكذلك عدم ، أو اللاوجود ، فكأنهم يجعلون الواجب عدما ، أو يقولون هو وجود ولا وجود . أما المطلق لا بشرط فلا يوجد إلا معينا مخصوصا فى هذا أو ذاك ، إذ ليس فى الخارج شئ إلا وهو معين يتميز عما سواه بمحده وما هيته وهم ينكرون تعيين الوجود ، إذ يسمونه مطلقا .

ذلك طويل خارج عن طريق العقل والشرع أشرنا في بحث الوجود إلى بطلانه،
لكن من يضل الله فإله من هاد » انتهى كلام الشيخ سعد الدين رحمه الله .

زعم أن الحق يتلبس بصور الخلق

وقال سعيد الفرغاني — وهو من أكابر أتباعهم — في شرحه للتائية :
وتنزه^(١) تلك الإشارة عقيدتي عن رأي الحلول، فإنه لما جاز ووقع أن يكون لملك
مخلوق قدرة التلبس بأي صورة شاء بلامعنى الحلول فيه ، يصح أن يتلبس الحق
تعالى بصورتي بفناء أنايتي^(٢) بالكلية ، وإن تملأت بعدم جواز تلبسه^(٣)
بالصورة ، وعلت بتنزيهه عن ذلك التلبس منعناك ، ورددنا تعليقك بالكتاب
والسنة .

ثم قال في شرح البيت^(٤) الذي فيه استشاده بالكتاب والسنة : « وفي
الذكر ، آي القرآن [٢٠] ذكر اللبس ، أي تلبس الحق بالصورة ليس بمردود
بل هو ثابت مذکور معروف موضعه من القرآن ، ولم أنجاوز في تقريرى حكمي
الكتاب والسنة . أما الكتاب ، فقوله تعالى : (٨ : ٢٧) نودى أن بورك من في
النار ومن حولها ، وسبحان الله رب العالمين) يعنى من أن يكون منحصراً ظهوره
حائثاً قبله وبعده في ذلك التلبس ، وفي غيره من الصور ، وغير ما ، وقوله
تعالى : (٣٠ : ٢٨) نودى من شاطئ الوادى الأيمن في البقعة المباركة من الشجرة)

(١) يعنى بيت ابن الفارض :

ولى من أتم الرؤيتين إشارة تنزه عن دعوى الحلول عقيدتي

(٢) أى ذاته

(٣) أى الله سبحانه

(٤) يقصد بيت ابن الفارض :

وفي الذكر ذكر اللبس ليس بمنكر ولم أعد عن حكمي كتاب وسنة

الآية ، وإذا جاز تلبسه بصورة الجماد^(١) ، فبصورة الإنسان أجمع وأولى عند فئاته عن تعيينه وتشخصه . وأما السنة ، فقوله صلى الله عليه وسلم حكاية عنه تعالى « كنت سمعه وبصره ولسانه ويده ورجله^(٢) » وقوله أيضا : فإن الله تعالى قال

(١) تأمل سرعونة الزندقة في التعبير ، حيث يصف الله سبحانه وتعالى بأنه تلبس بالشجرة ، أو كان هو الشجرة وهو يكلم موسى ، ويفجر في زعمه فيقرر أن القرآن ثبت هذا !

(٢) يعني ما رواه البخاري عن أبي هريرة رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « يقول الله تعالى : من عادى لى وليا ، فقد بارزنى بالمحاربة ، وما تقرب إلى عبدي بمثل أداء ما افترضته ، ولا يزال عبدي يتقرب إلى بالنوافل حتى أحبه ، فإذا أحببته كنت سمعه الذى يسمع به ، وبصره الذى يبصر به ، ويده التى يبطش بها ، ورجله التى يمشى بها ، فبى يسمع ، وبى يبصر ، وبى يبطش ، وبى يسمى . . . الحديث » ويستدل الصوفية بهذا الحديث على أن الله سبحانه عين خلقه ، وعلى أن العبد يحور ربا . وإليك رد الشيخ ابن تيمية عليهم : « والحديث حجة عليهم من وجوه كثيرة ، منها قوله : من عادى لى وليا ، فقد بارزنى بالمحاربة ، فأثبت معاديا محاربا ، ووليا غير المعادى ، وأثبت لنفسه سبحانه هذا وهذا . ومنها قوله : وما تقرب إلى عبدي بمثل أداء ما افترضته عليه ، فأثبت عبدا متقربا إلى ربه ، وربا افترض عليه فرائضه ، ومنها قوله : ولا يزال عبدي يتقرب إلى بالنوافل حتى أحبه ، فأثبت متقربا ، ومتقربا إليه ، وعجا ومحوبا غيره ، وهذا كله ينقض قولهم : الوجود واحد ... والحديث حق ، فإن ولى الله لكمال طاعته لله ومحبة لله يبقى إدراكه لله ، وباطنه وعمله لله وبالله ، فما يسمعه مما يحبه الحق أحبه ، وما يسمعه مما ينفذه الحق أبغضه ، وما يراه مما يحبه الحق أحبه ، وما يراه مما ينفذه الحق أبغضه ويبقى فى سمعه وبصره من النور ما يميز به بين الحق والباطل ، فولى الله فيه من الموافقة لله ما يتحد به المحبوب والمكروه ، والمأمور والمنهى عنه ونحو ذلك ، فيبقى محبوب الحق محبوبة ، ومكروه الحق مكروهه ، ومأمور الحق مأموره ، وولى الحق وليه ، وعدو الحق عدوه » ص ٤٨ رسالة الرد الأقوم ط السنة المحمدية . هذا والحديث رواية البخاري عن خالد بن مخلد القطواني الكوفي أبي الهيثم . وقد تكلم فيه . قال المعجلى عنه : ثقة فيه تشيع ، وقال ابن سعد : منكر الحديث متشيع =

على لسان عبده : سمع الله لمن حمده . ثم حديث القيامة في الإتيان في الصورة (١)

= مفط ، وقال أحمد بن حنبل : له مناكير ، وقال أبو داود : صدوق إلا أنه يتشيع وقال أبو حاتم : يكتب حديثه ولا يحتج به ، وقد عد هذا الحديث من مناكير خالد يقول الذهبي : « هذا حديث غريب جدا ، ولولا هيئة الجامع الصحيح لعدته في منكرات خالد ، وذلك لغرابة لفظه ، ولأنه مما ينفرد به شريك ، وليس بالحافظ » والحديث - على افتراض صحته - حجة على الصوفية كما رأيت

(١) يعني ما ورد في الحديث من أن الله سبحانه يتجلى لعباده يوم القيامة ، ثم يأتيهم في صورة غير صورته التي رأوه فيها أول مرة ، فيقول : أنا ربكم ، فيقولون : نعوذ بالله منك هذا مكاننا حتى يأتينا ربنا ، فإذا جاء ربنا عرفناه ، ثم يأتيهم في الصورة التي رأوه فيها أول مرة ، فيقول : أنا ربكم ، فيقولون : أنت ربنا » والحديث في الصحيحين والترمذي ، وتوحيد ابن خزيمة ، وسنن الدارمي وغيرها . والحديث حجة تدفع الصوفية بالبهتان . أولا : يثبت الحديث أن هذا التجلي لن يكون إلا في الآخرة ، أما الصوفية فيدينون بتلبسه بالصور في الدنيا . ثانيا : يدين الصوفية بأن الرب يتجلى لكل أحد بحسب اعتقاده ، فالقاصر المقيد لا يعرفه إلا إذا تجلى له في صورة معتقده ، فإذا اعتقد أن الرب صنم ، أو كوكب ، أو عجل ، تجلى له في صورة ما اعتقده ، أما إذا تجلى له في صورة أخرى أنكره ، أما العارف المطلق ، فإنه يعرف الله - في زعم الصوفية - في كل صورة يظهر بها ، لأنه يعتقد أن الرب عين كل شيء . هذا في حين يثبت الحديث أن المؤمنين أنكروه في صورته الأولى ، وعرفوه في صورته الثانية ، ومن أنكروه ، ثم عرفوه هم الرسل والأنبياء والأولياء ، وهؤلاء - باعتراف الصوفية - أكمل العارفين ، وهم لم يعرفوه إلا في صورة واحدة ، وهذا ينقض أصل دعواهم ، وهو أن العارف المكمل هو من يعرف الله في كل صورة ، ثالثا : يثبت الحديث وجود قوم يعرفون بعد إنكار ، ووجود رب تجلى ثم تجلى . وهذا يستلزم وجود أغيار كثيرين هم غير الرب . في حين يدين الصوفية بأنه ما ثم غير ما . رابعا : يزعم الصوفية أنه سبحانه عين كل شيء ، والحديث يثبت وجود قوم مؤمنين ، وكافرين ، ومناققين ، فإذا أخذنا بزعم الصوفية كان ربهم هو الكافر والنافق ، والمنكر والمنكر ، وثبت لربهم الجهل ، وحسب الصوفية شرا أن يكونوا عبيد رب هذا شأنه . خامسا : يثبت الحديث أنه =

ثم قال : فالحديث أولا وآخرأ معل أن يتلبس بأى لباس صورة شاء بما يعرف ،
وبما ينكر من غير حلول ، فكان ظهوره بصورتى أيضاً جائزاً من غير حلول ،
فصح بهذا دعوى اتحادى مع الحلول »

أمر ابن الفارض باتباع شريعته

ثم قال فى شرح قوله :

مَنْحَتُّكَ علّا إن ترد كشفه ، فَرِدَ سبيلى ، وأشرع فى اتباع شريعتى

قال : « يحتمل أن يكون إضافة الشريعة من الناظم إلى نفسه بلسان الجمع
والترجائية ، ويريد بقوله : فرد سبيلى ما أريد به فى قوله تعالى : (١٠٨ : ١٢) قل :
هذه سبيلى أدعو إلى الله على بصيرة) وبقوله : شريعتى ، شريعة النبي صلى الله
عليه وسلم » ثم قال :

فنبع صدّاً^(١) من شراب نقيعهُ لَدَى ، فدعنى من سراب ببيعة

== سبحانه لن يتجلى إلا فى صورة واحدة فى كل مرة ، أما هم فيدينون بتجلى ربهم فيما
لا يتناهى من الصور المتباينة فى آن واحد . سابعاً : لم يبين الحديث كنه الصورة
الأولى ، أما صورته الثانية فعرّفها بأنها هى التى رآوه فيها أول مرة . أما هم فقالوا
بتجليه فى صورة ينفوث ويعوق . وفى صورة عجل السامرى ، وفى صورة نار
المجوس ، بل فى صورة كل مخلوق . سابعاً : يثبت الحديث ربا ، ويثبت عبادة يتطلبهم
ربهم بتجليه ، ويثبت أنهم غير الرب ، وهم يقولون : العبد عين الرب . ويثبت
الحديث مكاناً . فما هذا المكان ؟ إهو الرب أم غيره ، إن قالوا بالأول . فما فى
الحديث هذا . وكفاهم خزيا أن يكون ربهم مواطى أقدام . وإن قالوا بالثانى ثبت
وجود غير ، وهم ينفون الغيرية . ثم ما للصوفية يستشهدون بما لا يؤمنون به ؟ إنهم
يزعمون أخذهم عن الله مباشرة ، ويستنكفون العمل بشريعة الله التى جاء بها رسله ،
وفى الحديث براهين أخرى ، وحسبنا هذا

(١) فى الأصل : صدى . وصوابها : صداء قال ضرار :

كأنى من وجدى بزئب هائم يخالس من أحواض صداء مشرباً
وصدء بئر ماؤها أعذب مياه العرب ، ومن الأمثال : ماء ولا كصداء =

صداء ماء العرب يضرب المثل به لعذوبته ، والنقيع : البثر الكثيرة الماء ، يقول مُعَلَّلًا البيت السابق الذى حاصله : أمره باتباع شريعته ، والورود فى سبيل هداه وطريقته ، ونهى عن متابعة غيره . يَمْن يدعى التحقيق فى العلم والمعرفة الحقيقية نحو علماء الظاهر من الأصوليين والفلاسفة : أن المورِد العذب المهنى النافع عندى ، ويختص بمشربى ، وهو المفهوم المطابق من الكتاب والسنة ، وإشارتهما العاصضة بلا تأويل عقلى وتقليد ، بل على ما هو الأمر عليه ، فإن استطعت أن تخوض فيه ، وتشرب منه ، وإلا فدعنى من سراب علوم علماء الظاهر^(١) ، وتأويلاتهم ومفهوماتهم التى ظاهرها لأجل الفصاحة ، وتركيب الدلائل ، تظهر وتغر السامع الغر^(٢) ، فيحسبها شيئاً نافعاً له ، فإذا فتش عن حقيقتها لم يجد شيئاً ، ولا تحقيق ، ولا معرفة فيها ، ولا طائل تحتها ، وكذلك دلائل الفلسفة فى المسائل الإلهية ، تغر ، ولا تقر . ولا تذكر عندى مذاهبهم ومقالاتهم ودلائلهم ، ولا تلتفت إلى ذلك تغر فوزاً عظيماً .

هذا كلام الفرغانى الذى يثنى ابن بنت ابن الفارض فى مقدمة [٢١] الديوان عليه ، وشهد له أنه على نفس جده^(٣) ، وهكذا يفعل فى كل الأبيات مهما وجد شيئاً من التشابه فى الكتاب أو السنة أجراه على ظاهره^(٤) ، وجعله حجتهم فى

== يضرب لما محمد بعض الحمد ، ويفضل عليه غيره . انظر مجمع الأمثال ، والمضاف والنسب .

(١) يعنى الآخذين بأحكام الشريعة ، والمتفقهين فيها

(٢) الجاهل بالأمور الغافل عنها

(٣) لعله سقط من الكلام ، كلمة : مذهب أو طريقة قبل كلمة جده

(٤) لو أجرى الكلام على ظاهره لنعم فكراً بالحقيقة ، وقلبا باليقين ، ونفساً بالهدى ، ولكنه أجراه على هوى شيطانه . وألمع من قول البقاعى أنه يعنى بالمتشابه آيات الصفات وأحاديثها ، فإن يك قد زل به فهمه ، وقلد فى هذا الزلل غيره ، فأيات الصفات محكمات هن من أم الكتاب يجب إجراؤها على ظاهرها ، أى على ==

الاتحاد ، واستحسان الأفعال القبيحة من المكافين ، فإن عجز - بكون الشرع نصاً على قباحتها - يقول : إن فيها حسناً وقبحاً من بعض الوجوه ، ولعل ذلك الوجه يقود أصحاب تلك المقالة إلى الخير ، ويسمى كل السعى في إسقاط الإنكار على أحد في فعل من الأفعال . وكذا نقل البدر بن الأهدل عن شرحها للأبزارى وغيره ، والله المستعان .

تكذيب صريح للقرآن

وقال في نص حكمة أحدية في كلمة هودية : (١١ : ٥٦ من دابة إلا هو أخذ بناصيتها ، إن ربي على صراط مستقيم) : فكل ماش [فعلى] صراط الرب المستقيم ، فهم غير مغضوب عليهم من هذا الوجه ، ولا ضالون ، فكما كان الضلال عارضا ، فكذلك الغضب الإلهي عارض ، والمآل إلى الرحمة التي وسعت كل شيء ^(١) .

== مالها من معان في العربية دون تمثيل أو تشبيه أو تلوين للفهم بما يشهد الحس لها من كفيات بالنسبة إلى الخلق . هذا وإلا جعلنا للعقل - وهو من خلق الله - سلطانا على الخلاق العظيم يقوم صفاته بما شاء ، وكيف شاء ، ويرضى له بعضا ، وينكر بعضا ، ويتبدع له بالهوى العصوف صفات وأسماء ما أنزل الله بها من سلطان وجل جلال الله سبحانه

(١) ص ١٠٦ فصوص ، وابن عربي يكذب بهذا البهتان قوله سبحانه « اهتدوا الصراط المستقيم ، صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين » وغيرها من الآيات . فالقرآن يقرر أن الناس بالنسبة إلى الحق ثلاثة أقسام : قوم عرفوا الحق وآمنوا به ، وهم الذين وصفهم الله بأنهم على صراط مستقيم . وقوم عرفوا الحق ، وأعرضوا عنه كفرا وجحودا ، وهم المغضوب عليهم ، وقوم لم يحاولوا معرفة الحق فلم يهتدوا ، وهم الضالون . وقد خص الله الفريق الأول برضاه ورحمته ، والآخرين بغضبه ولعنته . ولكن ابن عربي يجعل الجميع سواء ، هادفا من وراء ذلك إلى تقرير أسطورة وحدة الأديان التي تزعم أن الأديان سماويها ووضعها واحد ، وأن الحق والهدى فيها جميعا ، لا يختص بها دين عن دين ، فالشرك عين التوحيد ، والمجوسية عين الإسلام ، فعابد العجل عندهم كعابد الله . يقول لك الصوفية : كن مشركا كن مجوسيا كن بوذيا كن يهوديا . فأنت على صراط مستقيم

إفك على الله

ثم قال : « اعلم أن العلوم ^(١) الإلهية الذوقية الحاصلة لأهل الله مختلفة باختلاف القوى الحاصلة منها مع كونها ترجع إلى عين واحدة ؛ فإن الله تعالى يقول : كنت سمعه الذي يسمع به ، وبصره الذي يبصر به ، ويده التي يبطش بها ، ورجله التي يمشي بها » فذكر أن هُويَّته ^(٢) [هي] عين الجوارح التي هي عين العبد ، فالهوية واحدة ، والجوارح مختلفة ، ولكل جارحة علم من علوم الأذواق يخصها من عين واحدة ، تختلف باختلاف الجوارح كالماء . حقيقة ^(٣) واحدة مختلف ^(٤) في الطعم باختلاف البقاع ^(٥) »

قلت : وعلى هذا الضلال عوّل ابن الفارض ، فقال :

وجاء حديث في اتحادى ^(٦) ثابت	روايته في النقل غير ضعيفة
مشيرا بحب الحق بعد تقرب	إليه بنقل أو أداء فريضة
وموضع تنبيه الإشارة ظاهر	بكنت له سمعا كنور الظهيرة
فكلى لىكل طالب متوجه	وبعضى لبعضى جاذب بالأعنة
ومنى بدالى ما على لبسته	وعنى البوادرى بى إلى أعيدت

(١) في الأصل : الأمور .

(٢) أى حقيقته ، وهدفه من هذا : إثبات أن الإحساسات ، أو الشعاع ، أو الأوهام ، أو الخيالات التي يشعر بها كل إنسان هي في الحقيقة من مكونات علم الله سبحانه ، فعلم الله عند الصوفية متوقف على علم عبده ، وتعالى الله عما يافك الزنادقة

(٣) في الأصل : حقيقته .

(٤) في الأصل . تختلف .

(٥) ص ١٠٧ فصوص .

(٦) في الأصل : باتحادى .

وفي شهادت الساجدين لمظهرى فحققت أنى كنت آدم سجدتى^(١)
تعاقت الأطراف^(٢) عندى وانطوى
بساط السوى عدلا بحكم السوية

(١) قال القاشانى فى شرح هذا البيت « أى عاينت فى نفسى الملائكة الساجدين لمظهرى ، فعلمت حقيقة أنى كنت فى سجدتى آدم تلك السجدة ، وأن الملائكة يسجدون لى ، والملائكة صفة من صفاتى ، فالساجد صفة منى يسجد لى ، فالجمع واقع لا يدفع »

وأقول فى قصة آدم ، وأمر الملائكة بالسجود له ، وطاعتهم لهذا الأمر ، وتمرد إبليس عليه : فى كل هذا ما ينقض دعاوى الصوفية فى الحلول والوحدة والاتحاد ، لأنها - أى القصة - تثبت رباً آمراً بالسجود ، وتثبت أغياراً كثيرين هم : آدم ، والملائكة ، وإبليس . لهذا يحاول ابن الفارض تصوير القصة ، بما يتواءم وهوى زندقته ، أى بما يرفع فى زعمه هذا التعدد فى الوجود والذوات ، ويرفع المغايرة بين الماهيات . فيقول : لا تحسبن الأمر بالسجود غير من أمروا به ، أو غير من وقع الملائكة له ساجدين ، أو غير من تمرد على هذا السجود ، فإنهم جميعاً عين واحدة ، هى الذات الإلهية . فالأمر هو الله باعتبار الهوية المجردة عن التعين . وآدم هو مظهر تعين الذات ، أو الهوية ، والملائكة هم تعينات الصفات ، وكذلك إبليس ، فلا تعدد فى الوجود ، ولا غيرية فى الماهيات . فآدم هو الذات ، والملائكة وإبليس هم الصفات ، وما كان السجود الذى وقع سجود ذات لتعيرها ، بل كان من صفات لموصوفها ...

ثم ينتقل ابن الفارض من هذا التصوير الصوفى إلى تقرير أنه كان عين آدم ، وكان عين الملائكة ، أى عين الذات الإلهية . وعين صفاتها . هذا هو دين سلطان العاشقين ، أو قل : هذه زندقة رب الصوفيين !!

(٢) يزعم أنه ليس فى الوجود متناقضات ، ولا أضداد ، ولا أغيار ، بل ولا أمثال ، إذ الوجود كله حقيقة واحدة . والحقيقة الواحدة لا يقال عنها : إنها تناقض أو تضاد ، أو تغاير ، أو تماثل نفسها ، ولهذا يؤمن الزنديق أن القدم عين الحدوث والفوق عين النحت ، والنور عين الظلمة ، والأول عين الآخر ، والأزل عين الأبد والآن عين الماضى وعين المستقبل ، وهذه هى الأطراف الوجودية والمكانية والزمانية =

وليس ألت^(١) الأس غيراً لمن غدا
وجنحى غدا صبحى ويومى^(٢) ليلتى
وسر بلى لله مرآة كشفها وإثبات معنى الجمع نفي المعية^(٣)
ظهور صفاتى عن أسامى جوارحى مجازاً بها للحكم نفسى تسمت
رقوم علوم فى ستور هياكل على ماوراء الحس فى النفس ورت

== التى يزعم ابن الفارض أنها تعاقبت عنده ، والتى يقول بعدها أنه حين رأى النقيض
عين تقيضه ، والضد والغير نفس ضده وغيره ، انجلت عن بصيرته أو هام السوية ،
والغيرية ، فبدت له الحقيقة التى غلفتها بالستر أو هامه . تلك هى أن الوجود حقيقة
واحدة ، وأن الخالق عين الخلق ، وأنه هو الله !! هذا هو دين إله الصوفية العاشق
(١) يعنى قوله سبحانه (ألت ربكم ؟ قالوا : بلى) مشيراً إلى ما فسرت به
الإسرائيليات هذه الآية . وهو أشبهه أخذ العهد على ذرية آدم جميعهم وهم فى ظهره
مودعاً فى إشارته تلك كفره الصوفى . ويريد بالغد فى هذا البيت : يوم القيامة فى
عرف الشرع . وبينه هذا تأكيد لكفره فى البيت السابق . إذ يقرر هنا . أن
الحضرة الأزلية ، أو الذات الأحدية — رغم تكثر مظاهرها ، وتعدد مجالها —
تزهت عن عوارض الزمان ، واختلاف الجهات ، وترتب الآنات ، فوقها أحد
سرمدى أبدي . يندرج فيه الأزل والأبد ، والمبدأ والأمد ، والأس والغد ، ولذا
لها ثم صباح ولا مساء ، ولا نهار ولا ليل ، ويقرر ابن الفارض أن هذا كله له ،
ليستدل به على أنه هو الذات الأحدية عينها ، فهو فيما يسميه الصوفية بالآن الدائم ،
وهو عندهم امتداد الحضرة الإلهية الذى يندرج فيه الأزل فى الأبد ، وكلاهما فى
الوقت الحاضر لظهورها فى الأزل على أحيائين الأبد ، وكون كل حين منها مجمع
الأزل والأبد ، فيتحد به الأزل والأبد والوقت الحاضر .

(٢) فى الأصل : على . والتصويب من الديوان

(٣) يشير بلى فى قوله : وسر بلى الخ إلى قوله سبحانه : (ألت ربكم ؟
قالوا : بلى) والجواب بلى يستلزم وجود سائل ومجيب ، أعنى يستلزم الإثنية ،
يبد أن ابن الفارض يدعى هنا أن السائل عين المجيب ، وهذا فى قوله : وإثبات
معنى الجمع نفي المعية .

وأسماء ذاتي عن صفات جوائحي جوازاً الأسرار بها الروح سرت
مظاهر لي بدوت فيها ، ولم أكن

عَلَى بخاف قبل موطن برزني [٢٢]
ولما شَعَبْتُ الصَّدْعَ ، والتامت فطو

رُ شمل بفرق الوصف غير مشَّت (١)
تحققت أنا في الحقيقة واحد وأثبت صحو الجمع نحو النَّشَّت (٢)
وإني، وإن كنتُ ابن آدم صورة فلي فيه معنى شاهد بأبوتي

تمجيد الصوفية للمجرمين

ثم قال في الفص المودى أيضا : « فنسوق المجرمين » وهم الذين استحقوا
المقام الذي ساقهم إليه بريح الدبور التي أهلكهم عن نفوسهم [بها] فهو يأخذ
بنواصيرهم ، والريح تسوقهم - وهي عين الأهواء التي كانوا عليها - إلى جهنم ،
(٢٤١) يقول : لما جمعت ما تفرق في الوجود ، من صفات وأسماء وأفعال ،
تيقنت أن كل شيء هو عين الذات الإلهية ، وأن وجود عين وجوده ، ثم ينتقل
إلى نفسه ، فيقرر أنه آمن عن بينة ، ويقظة بصيرة : أنه هو الله ذاتاً وصفة وإسماً
وفلاً ، ومشاعر وجوارح .

وهكذا يؤكد ما قررته من قبل ، وهو أن ابن الفارض ممن يدينون بالوحدة ،
لا بالاتحاد . ألا تراه يكرر دائماً أنه آمن عن يقين أنه ما كان في حال ما ، ولا زمان
ما غير ولا سوى وإنما كان ثم حقيقة واحدة هي الذات الإلهية تجلت في صور
خلقية ، أما الاتحاد ، فيستلزم أنه كان قبل وجودان ، ثم اتحد أحدهما بالآخر ،
وهذا ما ينكره ابن الفارض وينفيه نفياً باتاً . قد يقال : ومال ابن الفارض إذن
يعبر عن معتقده : بالاتحاد ؟ أقول : مما يفصل به ابن الفارض في التائية الكبرى
نحزم بأنه يستعمل الاتحاد بمعنى الوحدة ، والعبرة بمعانيه ، لا بالفاظه ، أو لعل
لحظات العجب النفسى ، كانت تجح بخياله الزنديقي إلى محاولة إثبات أنه هو وحده
الذي تعينت فيه الذات الإلهية ، ثم يفق من هذا العجب ، فيقررها شاملة عامة ،
هي أن مظاهر الوجود مقومات للذات الإلهية .

وهي البعد^(١) الذي كانوا يتوهمونه ، فلما ساقهم إلى ذلك الموطن حصلوا في عين
القرب ، فزال البعد ، فزال مسمى جهنم في حقهم ، ففازوا بنعيم القرب من جهة
الاستحقاق ، لأنهم مجرمون ، فما أعطاهم هذا المقام الذوق اللذيذ من جهة المنّة ،
وإنما أخذوه بما استحقته حقائقهم من أعمالهم التي كانوا عليها ، وكانوا في السعي
في أعمالهم على صراط الرب المستقيم^(٢) ، لأن نواصيهم كانت بيد من له هذه
الصفة ، فما مشوا بنفوسهم ، وإنما مشوا بحكم الجبر إلى أن وصلوا إلى عين القرب^(٣)
(٥٦ : ٨٥ ونحن أقرب إليه منكم ، ولكن لا تبصرون^(٤))

زعمهم أن هوية الحق عين أعضاء العبد وقواه

ثم قال : « فلا قرب أقرب من أن تكون هويته عين أعضاء العبد
وقواه^(٥) ، وليس العبد سوى هذه الأعضاء والقوى ، فهو حق مشهود في خلق

(١) فسر الريح بهوى النفس ، وجهنم بالبعد ، وهكذا يصنع في كل ما يفسر به
آى القرآن ، يفسرها بما لا يقره شرع ولا لغة ولا عقل .

(٢) أرايت كيف يصف المجرمين المشركين : بأنهم سالكون سبيل الهداية
الحق ، وصراط الله المستقيم ، لا شئ إلا لأنهم آمنوا بأن الله عين ما عبدوه من
كوكب أو صنم ! ؟ . تستطيع من خلال هذا تبين نار الحق التي تلتهم قلوب الصوفية
على الإسلام وكتابه ورسوله .

(٣) القرب عندهم هو الفناء عن وصف العبودية ، والتمتع بمقام الربوبية ،
وترى الزنديق يزعم أن المجرمين من قوم هود كانوا من أعلم الناس بحقيقة الربوبية
إذ تجلت لهم غيوب هوياتهم ، فأدركوا وآمنوا أنها عين هوية الله . وأن وصف
العبودية لهم مجازى فحسب وهكذا يدين الصوفية رب تجسد حيواناً ضارياً يفسق
ويجترح الإثم والفاحشة ، ويلعق دم الجريمة .

(٤) ص ١٠٨ فصوص .

(٥) زاد الآثم فجوراً في الزندقة ، فافتري على الله أنه ليس عين الخلق جميعاً
فحسب ، بل هو عين كل عضو فيهم وجارحة ، وأن قوى الله سبحانه عين قوى
الخلق المادية والروحية ، حتى ما يعتدل في الدم ، وينتج في الخواطر من شهوات =

متوهم ، فاخلق معقول ، والحق محسوس مشهود عند المؤمنين ، وأهل الكشف والوجود^(١) وما عدا هذين الصنفين ، فالحق عندهم معقول ، والخلق مشهود ، فهم بمنزلة الملح الأجاج ، والطائفة الأولى بمنزلة الماء العذب الفرات السائح لشاربه ، قالناس على قسمين : من الناس من يمشى على طريق يعرفها ، ويعرف غايتها ، فهم في حقه على صراط مستقيم ، ومن الناس من يمشى على طريق يجهلها ، ولا يعرف غايتها ، وهي عين الطريق التي عرفها الصنف الآخر ، فالعارف يدعو إلى الله على بصيرة ، وغير العارف يدعو إلى الله على التقليد والجهالة^(٢) »

تفسير لما عذب الله به قوم هود

ثم قال : « ألا ترى عادا قوم هود كيف قالوا : (٤٦ : ٢٤ هذا عارض ممطرنا) فظنوا خيرا بالله تعالى - وهو عند ظن عبده به - فأضرب لهم الحق عن هذا القول ، فأخبرهم بما هو أتم وأعلى في القرب ، فإنه إذا أمطرهم ، فذلك حظ

== الفرائض ، وصور الأوهام !! وإذا يصف العبد بأنه حق مشهود وأن وصفه بالخلقية وهم يغلّف الحقيقة الكبرى بحجابه ، تلك الحقيقة هي أن العبيد جميعا أرباب وآلهة أوهم الرب تعنيت أمماؤه آلهة تنجلي في صور الخلق ، هؤلاء القتلّة السفاحون السفاكون مفتصبوا الأعراض ، الوالقون في الدم ، هؤلاء المرتشون المفسدون في الأرض ، هؤلاء الذين يروعون أمن الحياة ، وسلام الوجود ، هؤلاء الظلمة الفاتكون بالأيامى واليتامى والأرامل . كل هؤلاء عند الصوفية أرباب خلقوا السموات والأرض ، ولهم ملكوت السموات والأرض !!

(١) غالى الزنديق فزعم أن الخلق ما هو إلا صورة ذهنية وهمية لا تحقق لها في الخارج . أما الحق - أى الله سبحانه - فهو محسوس مشهود ، إذ لا ينفك عن التعين في مادة . ويهت الزنديق بالجهل من يؤمن بأن الله تعالى يتجرد عن المادة ، أو أنه شيء آخر غير المادة .

(٢) ص ١٠٨ فصوص . وغير العارف هذا هو إله الصوفية متعينا في صورة

بدنية عنصرية ، فالهمم إذا مقلد جاهل يدعو إلى نفسه عن تقليد وجهالة !

الأرض ، وسقى الحب ، فما يصلون إلى نتيجة ذلك الطر^(١) إلا عن بعد^(٢) ،
فقال لهم (٤٦ : ٢٤) بل هو ما استعجلتم به . ريح فيها عذاب أليم) . فجعل
الريح إشارة إلى ما فيها من الراحة ، فإن بهذه الريح أراحهم من هذه الهياكل
المظلمة ، والمسالك الوعرة ، والسدف المدلّمة ، وفي هذه الريح عذاب ، أى أمر
يستعذبونه^(٣) ، إذا ذاقوه ، إلا أنه يوجعهم لفرقة المؤلف^(٤) . انتهى مقاله
مكذبا لصريح الذكر الحكيم في قوم قال فيهم أصدق القائلين - سبحانه وتعالى
عما يقول الظالمون والجاحدون [٢٣] علوا كبيرا (٧ : ٧١) قد وقع عليكم من ربكم
رجس وغضب) ، (٧ : ٧٢) فكذبوه فأبجينا والذين معه برحمة منا ، وقطعنا
دابر الذين كذبوا بآياتنا ، وما كانوا مؤمنين) ، (١١ : ٥٩ ، ٦٠) وتلك عاد جحدوا
بآيات ربهم ، وعصوا رسله ، واتبعوا أمر كل جبار عنيد ، وأتبعوا في هذه الدنيا
لعنة ، ويوم القيامة ، ألا إن عادا كفروا ربهم ، ألا بعداً لعاد قوم هود)

ابن عربى يزعم أنه اجتمع بالأنبياء

ثم ادعى في هذا القص أنه رأى الأنبياء عليهم السلام في مشهد واحد سنة
ست وثمانين وخمسمائة ، وأنه ما كلمه منهم إلا هود ، وقال : « رأيت^(٥) لطيف

(١) فى الأصل : الظن

(٢) فى الأصل : « فقد أى بعد »

(٣) فسر الريح التى أهلك الله بها عادا بالرحمة والراحة ، وفسر العذاب الذى
حاق بهم بأنه أمر تستعذبه النفس . فتأمل !

(٤) ص ١٠٩ فصوص

(٥) ذكر المؤلف قبل قول ابن عربى ملخصا ، وإليك نصه : « واعلم أنه لما
أطلعنى الحق ، وأشهدنى أعيان رسله عليهم السلام ، وأنبيائه كلهم البشريين من آدم
إلى محمد صلى الله عليه وسلم أجمعين فى مشهد أقيمت فيه بقرطبة سنة ست وثمانين
 وخمسمائة ما كلمنى أحد من تلك الطائفة إلا هود عليه السلام ، فإنه أخبرنى بسبب
 جمعيتهم ، ورأيت رجلا ضخما فى الرجال حسن الصورة . . . الخ » انظر القصص
 الهوى من فصوص الحكم

المحاورة عارفاً بالأمور ، كاشفاً لها ، ودليلى على كشفه لها قوله : (مامن دابة إلا هو آخذ بناصيتها ، إن ربي على صراط مستقيم) وأى بشارة للخلق أعظم من هذه ؟ ثم من امتنان الله علينا أن أوصل إلينا هذه المقالة عنه في القرآن ؟

ظن الصوفية بالله سبحانه

ثم تممها الجامع لكل محمد صلى الله عليه وسلم ، بما أخبر به عن الحق أنه عين السمع والبصر واليد والرجل واللسان ، أى : هو عين الحواس والقوى الروحانية أقرب من الحواس ، فاكتفى بالأبعد المحدود عن الأقرب المجهول الحد^(١) ، فترجم الحق لنا عن نبيه هود مقالته لقومه بشرى لنا ، وترجم رسول الله صلى الله عليه وسلم [عن الله] مقالته بشرى ، فكمل العلم فى صدور الذين أوتوا العلم (٢٩ : ٤٧) وما يحمّد بآياتنا إلا الكافرون) فإنهم يسترونها - وإن عرفوها - حسداً منهم ونفاة وظالمًا ، وما رأينا قط من عند الله فى حقه تعالى فى آية أنزلها ، أو إخبار عنه أوصله إلينا فيما يرجع إليه إلا بالتحديد ، تنزيهاً كان أو غير تنزيه ، أولها السماء الذى ما فوقه هواء ، وما تحته هواء ، فكان الحق فيه قبل أن يخلق الخلق ، ثم ذكر أنه استوى على العرش ، فهذا أيضاً تحديد ، ثم ذكر أنه ينزل إلى السماء الدنيا ، فهذا تحديد ، ثم ذكر أنه فى السماء ، وأنه فى الأرض^(٢) ، وأنه

(١) يقول الزنديق : إذا كان الله سبحانه عين حواس العبد وجوارحه ، فأولى أن يكون عين قواه الروحية . . . ويريد بالأبعد المحدود : الحواس وبالأقرب المجهول : القوى الروحية ، الألسنة الآتمة الواقعة فى الأعراض ، والأيدى الملوثة بالجريمة السارقة ، والأقدام التى تدب تحت الليل لتنتهك كل حرمة ، وتستلب كل كنين . والشفاه الملوثة بأصباغ الشهوات . إنها ألسنة وأقدام وأيدى وشفاه الإله الذى يعبد الصوفية !!

(٢) يوصى إلى قوله سبحانه : (٤٣ : ٨٤) وهو الذى فى السماء إله ، وفى الأرض إله) ، ويّزعم أنها ذات دلالة على أن الله فى السماء ، وفى الأرض ، بل عين السماء وعين الأرض ، فى حين أن دلالة الآية جلية بيّنة على أنه سبحانه وحده إله من =

معنا^(١) أينما كنا - إلى أن أخبرنا أنه عيننا ، ونحن محدودون ، فما وصف نفسه إلا

== في السماء ومن في الأرض ، وأنه المعبود من أهلها ، « إن كل من في السموات والأرض إلا آتى الرحمن عبدا » فالآيات مسوقة لبيان أن الله سبحانه له وحده الربوبية والإلهية ، وأنه بيده ملكوت السماء والأرض . إذ جاء قبل تلك الآية « سبحانه رب السموات والأرض رب العرش عما يصفون » وجاء بعدها « وتبارك الذى له ملك السموات والأرض وما بينهما ، وعنده علم الساعة ، وإليه ترجعون » ورغم الإشراق العلوى من البيان وجلالته ووضحه يأبى ابن عربى إلا أن يفسر الآية بهذا البهتان الخبيث

(١) يفسر ابن عربى المعية هنا بأنها معية الذات ، وليت هذا فحسب ، بل يريد من وراء هذا الفهم إثبات أننا عين الله ذاتا ووجودا وصفة ، وإليك ما جلى به الشيخ ابن تيمية مسألة المعية : كلمة « مع » في اللغة إذا أطلقت فليس ظاهرها في اللغة إلا المقارنة المطلقة من غير وجوب مماسة أو محاذاة عن يمين أو شمال ، فإذا قيدت بمعنى من المعانى دلت على المقارنة في ذلك المعنى . ثم هذه المعية تختلف أحكامها بحسب الموارد ، فلما قال : (يعلم ما يلج في الأرض ، وما يخرج منها ، وما ينزل من السماء ، وما يعرج فيها ، وهو معكم أينما كنتم ، والله بما تعملون بصير) دل ظاهر الخطاب على أن حكم هذه المعية ومقتضاها : أنه مطلع شهيد عليكم ، مهيمن عالم بكم ، وهذا معنى قول السلف : معهم بعلمه . ولفظ المعية استعمل في الكتاب والسنة في مواضع تقتضى في كل موضع أمورا لا تقتضيها في الموضع الآخر ، فإما أن تختلف دلالتها بحسب المواضع ، أو تدل على قدر مشترك بين جميع موارد ، وإن امتاز كل موضوع بخاصيته ، وعلى التقديرين ليس مقتضاها أن تكون ذات الرب مختلطة بالخلق « انتهى باختصار عن مجموعة الرسائل الكبرى ج ١ ص ٥١ وما بعدها . وأقول : لا يخلو تصوير الزنديق للمعية من أحد أمرين ، فإما أن تكون الذات مختلطة بكل ذوات الخلق ، وإما أن تكون مختلطة ببعض دون بعض . فإن قال بالأول لزمه القول بانقسام الذات ، وانفصال بعض أجزائها عن بعض ، بل لزمه القول بتعدد الماهيات ، وبالعيرية والتكثير الحقيقيين ، وبأن كل شيء ليس عين الذات ، بل بعضها ، أو جزءها . وهذا غير ما يدين به الزنديق ، فهو يفترى أن هوية الحق وماهيته عين هوية كل موجود وماهيته ، وإن قال بالثاني لزمه ذلك ==

بالحد . وقوله (٤٢ : ١١ ليس كمثل شئ .) حد أيضاً ، إن أخذنا الكاف زائدة لغير الصفة ، ومن تميز عن المحدود فهو محدود بكونه ليس عين هذا المحدود ، فالإطلاق عن التقييد تقييد ، والمطلق مقيد بالإطلاق لمن فهم ، وإن جعلنا الكاف لصفة فقد حددناه ، وإن أخذنا « ليس كمثل شئ »^(١) على نفي المثل تحققنا^(٢) بالمفهوم وبالإخبار الصحيح أنه عين الأشياء ، والأشياء محدودة ، وإن اختلفت حدودها فهو محدود بحد كل محدود ، فما يُحدَّ شئ إلا وهو حدُّ الحق ، فهو السارى في مسمى الخلوقات والمبدعات ، ولو لم يكن الأمر كذلك ما صح الوجود ، فهو عين الوجود ، فهو على كل [شئ] حفيظ ، ولا يؤوده حفظ شئ ، لحفظه تعالى للأشياء كلها حفظه^(٣) لصورته ، أن يكون الشئ غير صورته [٢٤] ولا يصح إلا هذا ، فهو الشاهد من الشاهد ، والمشهود من المشهود ، فالعالم صورته ، وهو روح العالم المدبر له ، فهو الإنسان الكبير^(٤) « هذا لفظه هنا ، وتقدم في الفص آدمي : أن العالم يُعبَّر عنه في اصطلاحهم بالإنسان الكبير ، فراجعته تعرف صراحة كفر الخبيث .

الكون هو رب الصوفية

ثم قال : « فقل في الكون ما شئت . إن شئت قلت : هو الخلق ، وإن شئت [قلت] هو الحق ، وإن شئت قلت : هو الحق الخلق ، وإن شئت قلت :

== أيضاً في البعض الذي يقول باختلاط الذات به ، ولزمه في البعض الآخر القول بأن من الخلق من ليس عين الذات ، بل غيرها . وهذا نقيض ما يدعيه ! ولكن ماذا نقول في محبول يزعم أن عدم عين الوجود ، وأن الشئ نفس تقيضه ؟ !

(١) سبق الرد على ما يلبس به الزنديق ويفتره هنا

(٢) في الأصل : تحققنا

(٣) في الأصل : حفظ

(٤) ص ١١١ فصوص الحكم

لا حق من كل وجه ، ولا خلق من كل وجه^(١) ، وإن شئت قلت بالحيرة في ذلك ، فقد بانت المطالب بتعيينك المراتب ، ولولا التحديد ما أخبرت الرسل بتحول الحق في الصور ، ولا وصفتَه بمخلع الصور عن نفسه :

فلا تنظر العيين إلاَّ إليه ولا يقع الحكم إلاَّ عليه^(٢)

ثم قال : « وبالجملة ، فلا بد لكل شخص من عقيدة في ربه يرجع بها إليه ، ويطلبه فيها [فإذا تجلى له الحق فيها عرفه ، وأقرَّ به ، وإن تجلَّى له في غيرها أنكره وتعوذ منه ، وأساء الأدب عليه في نفس الأمر ، وهو عند نفسه أنه قد تأدب معه] فلا يعتقد معتقد إلها إلا بما جعل في نفسه ، فالإله في الاعتقادات بالجَلِّ فما رأوا إلا نفوسهم ، وما جعلوا فيها .

لم يقول الصوفية بوحدة الأديان

فإياك أن تتقيد بمقد مخصوص ، وتسكفر بما سواه ، فيفوتك خير كثير ، بل يفوتك العلم بالأمر على ما هو عليه . فكن في نفسك هيولى^(٣) لصور المعتقدات

(١) لا حق من كل وجه باعتبار تعينه في صور بدنية عنصرية ، أو باعتبار ظاهره . ولا خلق من كل وجه باعتبار هويته ، أو باعتبار باطنه . هذا هو مراد الزنديق .

(٢) يقول : كل ما تقع العين عليه في الحياة ، فهو الله ، سل الصوفي في المواخير من ترى ثم ؟ وسل الصوفي يرعى الحنازير ماذا تسوق ؟ وسل الصوفي يرى الجيف للنتنة ، والرمم البالية ماذا ترى ؟ إنك ستسمعه مجيباً — وهو يحـدجك بالنظرة الساخرة — إنه الله !!! هذا معنى الشطر الأول من البيت ، أما الشطر الثاني فيزعم فيه الزنديق : إن كل ما نحكم به على الأشياء فهو في الحقيقة محكوم به على الله سبحانه ، إذ هو في إفك الزنادقة عين كل شيء فإذا حكمت على شيء بأنه جاد ، أو عجل ، أو صنم ، أو رجس ، أو جيفة — كانت تلك الأحكام كلها واقعة على رب الصوفية كما يدينون ، لأنها ليست شيئاً آخر غير هذا الرب الصوفي

(٣) يريد بها هنا ما يقبل التأثير ، يقول الزنديق : اجعل نفسك بحيث تقبل =

كلها ، فإن الله تعالى أوسع وأعظم [من] أن يحصره عقد دون عقد ، فإنه يقول :
(١١٥:٢) فأينما تولوا فثم وجه الله ^(١) .

ثم قال : « فقد بان لك عن الله تعالى أنه في أيّنية ^(٢) كل وجهة ^(٣) ،
وما ثم إلا الاعتقادات ، فالكل مصيبٌ ، وكل مصيبٌ مأجورٌ ، وكل مأجورٌ
سعيد ، وكل سعيدٌ مرضى عنه ^(٤) ، وإن شق زماناً ما في الدار الآخرة ، فقد
مرض ، وتالم أهل العناية - مع علمنا بأنهم سعداء وأهل حق - في الحياة الدنيا »

الوحدة عند ابن الفارض

وإلى هذه الجمالة والضلالة رمز ابن الفارض في هذه المقالة :

فلا تك مفتوناً بحسبك مُعْجَباً بنفسك موقوفاً على لبس غرة
وفارق ضلال الفرق فالجمع ^(٥) مُتَّبِعٌ هُدَى فُرْقَةٍ بالانحداد تَحَدَّتْ
وَصَرَّحَ بإطلاق الجمال ، ولا تقل بتقييده مَيْلاً لزخرف زينة
فكل مليح حُسْنُهُ من جملها مُعَارِزٌ له ، أو حسن كل مليحة

= كل معتقد ، وترضى به . وتعتقد أنه حق ، واحذر أن تنكر على المشرِك شرِكه ،
أو على المجوسى مجوسيته . واحذر أن تقيّد نفسك بدين خاص وتُحارب سواه ،
فالآلهة المعبودة في كل دين هي في حقيقتها الإله الواحد ، وإن تك حكاكب أو
أحجاراً ، أو موتى . . وكل عابد لأى منها عابد لله ، فما ذلك المعبود إلا عين ذات
الله ۱۱ وتعالى الله عن إفك الزنادقة

(١) ص ١١٣ فصوص

(٢) نسبة إلى الأين ، وهو حال تعرض للشيء بسبب حصوله في المكان

(٣) في الأصل : وجه

(٤) إيمان الزنديق بوحدة الأديان نتيجة إيمانه بوحدة الوجود ، وتراه هنا

يقرر الأولى ، فيزعم أن من تدين بأى دين - سواء كان وضعياً أم مملوياً - فهو

سعيد مرضى عنه من الله

(٥) في الأصل : والجمع

بها قيسُ لُبْنَى هام ، بل كل عاشق
فـكُلُّ صَبَاً منهم إلى وصف أنسها
وما ذاك إلا أن بدت بمظاهر
بدت باحتجاب ، واختفت بمظاهر
ففى النشأة الأولى تراءت لآدم
فهام بها كما يصير بها أبا
وما برحت تبدو وتختفى لعلّة
وتظهر للعاشق فى كل مظهر
ففى مرة لُبْنَى ، وأخرى بثينة
وَأَسْنَ سواها ، لا . ولا كُنَّ غيرها
كذلك بحكم الاتحاد بحسنها
بَدَوْتُ لها فى كل صَبٍّ متم
كـجـنـون لـيلى ، أو كـثـيـر عـزة
لـصـورة حُـسْنٍ لـاح فى حُـسْنِ صـورة
فـظنـوا سـواها ، وفى فيها^(١) تجلّت
على صَبِّ التلوين فى كل بَرَزَةٍ^(٢)
بـمـظـهر حَوًّا قبل حكم الأمومة
ويظهر بالزوجين حكم^(٣) البُنُوَّةِ
على حسب الأوقات فى كل حقبة
من اللبس فى أشكال حسن بدية
[٢٥] وآونة تُدعى بـعِزَّة . عزّت
وما إن لها فى حسنها من شريكة^(٤)
كالى بدت فى غيرها ، وتزيّت
بأى بديع حسنه ، وبأيت^(٥)

(١) فى الأصل : فيهم ، والتصويب من الديوان

(٢) البرزة : المرة من البروز ، أو المرأة العفيفة تبرز للرجال ، وتحدث معهم وإخاله يريد بها هذا ، إذ هو بصدد ذكر تجلى الحقيقة الإلهية فى صور النساء

(٣) فى الأصل : سر

(٤)، (٥) يفترى سلطان الزنادقة أن الذات الإلهية تتجلى - أتم وأجمل ما تتجلى - فى صور النساء الجميلات ، ويفترى أنها تجلّت فى صور ليلي وبثينة وعزة ، وقد رمز بهن عن كل امرأة جميلة عاشقة معشوقة ، ولما كان من طبيعة هذا الرب الصوفى العشق ، كان لا بد له من التجلى فى صور عشاق . ليعشق ، ويعشق ، فتجلى فى صور قيس وجميل وكثير عشاق أولئك الغانيات . وقد رمز بهم عن كل فنى اختبله الحب وتيمنه الصباية ، ثم يفترى أيضا الزعم بأن العاشق ليس غير العشيق بل هو هى ، فالرب الصوفى عشق وعاشق وعشيقة . فليلى وقيس مثلاً عند ابن الفارض هما الرب تعينت ذاته فى صورة امرأة تعشق وتعشق هى ليلي ، وفى صورة رجل يعشق =

وليسوا بغيري^(١) في الهوى لتقدم
وما القوم غيري في هواها^(٢) وإنما
على لِسْبِقِي في اللبالي القديمة
ظهرت [لهم] للبس في كل هيئة
وأونة أبدو جميل بثينة
تجليت فيهم ظاهراً واحتجبت با
طناً بهم فاعجب لكشف ستره
أسام بها كنت للسمي حقيقة
وكنت لي البادي بنفس تخفت
وما زلت إياها ، وإيائي لم تزل
ولا فرق ، بل ذاتي لذاتي أحببت^(٣)

== ويحشوق. هو قيس . ولينأمل القاري معى . فابن الفارض حين يتحدث عن الذات الإلهية باعتبارها حقاً يحكم بأنها تظهر في صور نساء ، وإذا تحدث عنها باعتبار تعيينها فيه يحكم بأنها تظهر في صور رجال ، يريد بهذا أن يفضل الرب المتعين فيه عن الرب المتعين في غيره ، أو بتعبير أبين صراحة ، يفضل نفسه على الرب الذي يظهر في صورة امرأة ، ويجعل من نفسه قياً عليه ، فالرجال — كما لا يخفى — قوامون على النساء !

(١) في الأصل : سواي

(٢) في الأصل : هواي

(٣) هذا وما قبله بين الدلالة على إيمان ابن الفارض بالوحدة ، لا بالاعتقاد ، فإنه حين عبر بقوله : وما زلت إياها خشي أن يقال عنه أنه ما زال يستشعر إثنية ما ، لوجود محمول وموضع في تعبيره — وإن كان الحمل سورياً ، إذ المحمول عين الموضع — ألول : خشي أن يقال عنه هذا فعقبه بقوله : ولا فرق ، حتى لا تفهم أن الذات المعبر عنها بضمير المتكلم ، وهو التاء في « ما زلت » غير المعبر عنها بضمير الغائب في إياها . وإنما هي هي . وزاد ابن الفارض إيضاً في كفره ، فقال : بل ذاتي لذاتي ، ليجرد الذات الإلهية من وجودها الخاص ، وليؤكد أن ليس لها من وجود إلا هذا الوجود المقيد المتعين في هذا أو ذاك من أفراد الخلق ، ولإثبات الوحدة التامة بين الحق والخلق — لا في الباطن فحسب — بل في الظاهر ، ثم لنرض آخر ، وهو أن الذات الإلهية ، نالت كمالها بتعيينها في صورة ابن الفارض . هذا هو دين من لا يزال كبار الشيوخ — بله الزنادقة الصوفية — يلقبونه : سلطان العاشقين

والله عليهم أن يعصوه - لئلا يكونوا من الكافرين

وليس معنى في الـكون شيء سوى والـ مَعِيَّة لم تخطر على أَلْمَعِيَّة^(١)

الكثرة عين الوحدة

ثم قال ابن عربي في فص حكمة قابلية في كلمة شعبية : « صاحب التحقيق يرى الكثرة في الواحد ، كما يعلم أن مدلول الأسماء الإلهية ، وإن اختلفت حقائقها وكثرت أنها عين واحدة ، فهذه كثرة معقولة في واحد العين ، فيكون في التجلي كثرة مشهودة في عين واحدة ، كما أن الهيسولي^(٢) تؤخذ^(٣) في حد كل صورة [وهي] مع كثرة الصور [واختلافها] ترجع^(٤) في الحقيقة إلى جوهر واحد ، هو^(٥) هَيُولَاها ، فمن عرف نفسه بهذه المعرفة ، فقد عرف ربه ، فإنه على صورة خلقه بل هو عين هويته وحقيقته^(٦) .

(١) هذا تأكيد لما يدين به من الوحدة ، ولذا يلح في نفى المعية ، نفي أن يكون ثم في الـكون غير أو سوى إذ ما ثم إلا حقيقة واحدة ، هي هوية الحق ، تكثرت بمظاهرها الخلقية - والألمعية : الذكاء والفطنة

(٢) يراد بها : المادة ، أو مابه الشيء بالقوة ، أو ما يقبل التأثير
(٣) ، (٤) ، (٥) في الأصل : يؤخذ - ويرجع - وهو . والتصويب من الفصوص .

(٦) ص ١٢٤ فصوص ، وقد خاف ابن عربي أن يظن به أنه يدين بمشاركة الإنسان لله في أمر عرضي وهو الصورة ، وذلك من قوله : فإنه على صورة خلقه - وإن كان يعني بالصورة هنا : مابه الشيء بالفعل - أقول : خاف هذا ، فأضرب عن قوله هذا ، وأتبعه بقوله : بل هو عين هويته وحقيقته . بالزنديق !!
فرعون حقيقة الله عنده ، وقلرون ، وهامان ، وأبو جهل ، وأبو لهب ، بل كل آثم غوى الضلالة والفجور . كل هذا ، والشيوخ يسبحون بحمد ابن عربي ، وروحه الروح الرفاف في ملكوت الجمال الأعظم ، والنور الذي هدى إلى قدس الحقيقة .
أما قولنا زيادا عن جلال الله : إن ابن عربي كافر . فهو قول عند الشيوخ يستعصى على المغفرة !!

قلت : وإلى هذا الحال أشار ابن الفارض فقال :
 رجعت لأعمال العبادة عادة وأعددت أحوال الإرادة عُدتى
 وعد جملة من أفعال البر في أبيات ، ثم قال :
 ودقت فكرى في الحلال تورعا وراعى في إصلاح قوتى وقوتى
 متى حلت عن قولى : أنا همى أو أفل وحاشا لمثل^(١) أنها في حلت
 وهذا مثل ما يقال : خاب فلان وخسر ، وكان مثل إبليس ، إن كان منه كذا
فعل العبد عين فعل الرب عند الصوفية

وقال ابن عربى في فص حكمة نبوية في [كلمة] عيسوية :

فإنا أعبدُ حقاً	وإن الله مولانا
وإنّا عينه ، فاعلم	إذا ما قلت : إنسانا
فلا تُحجَبَ بإنسان	فقد أعطاك برهانا
فكن حقاً ، وكن خلقاً	تكن بالله رحماناً ^(٢)

وقال في فص حكمة رحمانية في كلمة سليمانىة : « والعمل مُقَسَّمٌ على ثمانية

(١) في الأصل : هداها

(٢) ص ١٤٣ فصوص والرحمن عند الصوفية « اسم الحق باعتبار الجمعية
 الأسمائية التى فى الحضرة الإلهية الفائض منها الوجود ، وبقية الكمالات على جميع
 الممكنات » الكمشخانى فى جامعته تحت المادة . . فهو مرادف للوجود المطلق .
 ويفترى الزنديق ، فيزعم أن العارف يكون رحماناً — أى وجوداً مطلقاً ، أى نفس
 الله سبحانه — إذا آمِن أنه الحق ، وأنه الخلق ، إذا نظر إلى باطنه ، فأيقن أنه
 حقيقة الحق ، وإلى ظاهره ، فأيقن أنه مظهر خلق لحقيقة الحق . بهذه النظرة
 الشاملة من العارف إلى غيبه ، وشهوده ، يكون هو الذات الإلهية الجامعة للأسماء
 الإلهية كلها . . هذا مراد من يجعل الصوفية اسمه تيمية ، والتسبيح بحمده روحانية
 ابتهاج ، وصلاة ضراعة ، ونسك قرايين ١١١

أعضاء من الإنسان ، وقد أخبر الحق تعالى أنه هُوِيَّةُ كل عضو منها^(١) ، فلم يكن العامل غير الحق ، والصورة للعبد ، والهوية مدرجة^(٢) فيه ، أى فى اسمه ، لا غير ؛ لأنه تعالى عين ما ظهر^(٣) .

ما الخلق ؟

ثم قال : « فنحن نتيجة رحمة الامتنان بالأسماء الإلهية ، والنسب الربانية ، ثم أوجبها على نفسه بظهورنا لنا ، وأعلمنا أنه هو يتنا ، لنعلم أنه ما أوجبها على نفسه إلا^(٤) لنفسه ، فما خرجت الرحمة عنه ، فعلى من [٢٦] امتن ، وما ثم إلا

(١) يزعم الزنديق أن الحق سبحانه عين كل عضو وجارحة من كل إنسان ، فإذا سرقت يد فالسارق رب الصوفية ، وإذا اجترح الفاحشة أثيم ، فهو رب الصوفية وإذا ولع لسان فى الأعراض الشريفة فالوائع رب الصوفية . وهكذا كل من يقترب جريمة ، أو يروع الحق بباطله ، والفضيلة بذائله ، فهو فى الحقيقة رب خلاق عند الصوفية ! ! ولست أدري أى إله هذا الذى تقطع يده ، ويرجم ، ويحمله ، وتقطع أيديه وأرجله من خلاف ، وينفى من الأرض ؟ ! أى إله هذا الذى يتدلى من مشافره ملايين الألسن ، وتطحن الأعراض فى شذقيه ملايين الضروس ، ويدب على الأرض فاتكا مدمرا ملايين الأرجل ؟ ! إنه الإله الذى يحرق الصوفية أرواحهم فى المحاريب ضراعة باسمه الكريم ! ! ! وكنت بصدد الإشارة إلى أن ابن عربى بهذا يثبت أنه ممن يدينون بالجبر القاهر المطلق ، بيد أن خبيثته أخبث وأدنا عمر من هذا ، إنه يهدف إلى جعل الأمر فوضى وإباحية عريضة المجون ، إلى الانتفاض على كل شرعة وقانون ونظام ، بل إلى شنّها حربا طاحنة على الإسلام وحده ، فإنه يجد اليهودية بعبادة عجل السامرى ، والمسيحية بعبادة عيسى والمجوسية بعبادة النار ، والوثنية بعبادة الأصنام ، ثم التفت إلى المسلمين زاريا محقرا مبغضا ساخرا . لماذا ؟ ! لأنهم يعبدون ربا واحدا ، هو الله رب العالمين ! !

(٢) فى الأصل : مندوجة

(٣) ص ١٥١ - ١٥٢ فصوص الحكم

(٤) فى الأصل : لا .

هو ؟ إلا أنه لا بُدَّ من حكم لسان التفصيل ، لما ظهر من تفاضل الخلق في العلوم ، حتى يقال : إن هذا أعلم من هذا مع أحدية العين^(١) .

زعمه أن التفاضل لا يستلزم التغير

ثم قال : « فكل جزء من العالم ، أى هو قابل لحقائق متفرقات العالم كله ، فلا يقدح قولنا : إن زيدا دون عمرو في العلم أن تكون هوية الحق عين زيد وعمرو ، وتكون في عمرو أكل [وأعلم منه في زيد] كما تفاضلت الأسماء الإلهية ، وليست غير الحق ، فهو تعالى - من حيث هو عالم - أعم في التعلق من حيث ما هو مرید وقادر ، وهو هو ليس غيره^(٢) ، فلا تعله هنا يا ولي ، وتجهله

(١) ص ١٥٣ فصوص

(٢) يشهد العقل والحس والوجدان أن بعض الخلق أفضل من بعض ، وليس هذا في الإنسان فحسب ، بل كذلك في الحيوان والجماد والنبات ، فالعالم أفضل من الجاهل ، والقادر أفضل من العاجز ، والمؤمن غير الكافر ، وفي إثبات التفاضل إثبات للغيرية ، وحكم بأن الأفضل ليس عين الفاضل المفضول ، فكيف إذن يكون الحق عين الخلق . في حين أن الخلق يغير بعضهم بعضا ؟ وهذه المغايرة . تقتضى ولا ريب ثبوت أن الخلق غير الحق . وهذا ينقض دين ابن عربي في الوحدة . وقد أحس الزنديق بخطر هذه الشهادة العقلية الحسية الوجدانية على معتقده . فراح يكدر في سبيل دفع هذا الخطر . زاعما أن هذا التفاضل لا يستلزم مطلقا . مغايرة الحق للخلق . ولا مغايرة الذات الإلهية لنفسها أو مظاهرها . فهو ليس تفاضلا واقما بين ذات وغيرها ، بل بين بعض صفات وأسماء هذه الذات ، وبين بعضها الآخر ، وهذا لا يستلزم إلا مغايرة اسم لاسم ، أو صفة لصفة ، لا ذات لذات ، ثم يفصل هذا بقوله كاستدلال على صدق معتقده : إن الأسماء ، أو الصفات الإلهية ، يفضل بعضها بعضها ، فاسمه - تعالى - العالم . أفضل من اسمه - سبحانه - المرید . وذا أفضل من اسمه : القادر . إذ العلم أفضل من الإرادة . وهما أفضل من القدرة . وهذا لشمول العلم وتعلقه بكل ما هو معلوم . سواء أكان أمرا وجوديا أم عدميا . موجودا بالقوة ، أم موجودا بالفعل . يمكن الوجود أم مستحيله =

هنا ، وثبته هنا ، وتنفيه هنا ، إلا إن أثبتته بالوجه الذى أثبت نفسه ، ونفيته عن كذا بالوجه الذى نفى نفسه ، كآلية الجسامة للنفى والإثبات فى حقه حين قال : (ليس كمثل شئ) فنفى (وهو السميع البصير) فأثبت بصفة تعم كل سامع بصير

ولا كذلك الإرادة . ثم إن الإرادة أسبق من القدرة . وبهذا كانت أفضل . ثم يستطرد فى تليسه قائلاً : بيد أن هذا التفاضل لا يمكن أبداً استلزام أن يكون الإله غير نفسه . بل لا يمكن أن تحكم إلا بأن العالم عين القادر . عين المريد ومن هذا يثبت أن التفاضل لا يستلزم الغيرية أو التعدد . ثم ينتقل من هذا إلى ما يهدف إليه ، فيزعم أنه لما كانت الموجودات هى تعيينات أسماء الذات الإلهية وصفاتها ، كان التفاضل الواقع بين الموجودات ، صورة للتفاضل الذى كان واقعاً بين الأسماء والصفات قبل تعيينها فى صور الموجودات ، وقد ثبت أن هذا التفاضل لا يستلزم غيرية ولا تعدد ، فيصدق القول : بأن الحق عين الخلق ، ويصدق القول : بأن محمداً هو عين أبى جهل ، عين أبى لهب ، عين فرعون ، وبأن العالم عين الجاهل ، والمؤمن عين الكافر ، والموحد عين الشرك ، لأن كل طرف من هذه التقابلات ما هو إلا اسم إلهى تعين فى هذا الطرف ، ومنه يثبت — هكذا زعم الزنديق — أن العالم — رغم ما فيه من تفاضل يشعر بالغيرية — ليس شيئاً آخر غير الحق ، بل هو عينه ، إذ ما هو إلا أسماء الله وصفاته التى تعينت فى صور هذا العالم ، هذا هو مراد الزنديق ، وما لفتت من أجله أنفاسه ، ليثبت به قوله : « لا يقدر قولنا : إن زيدا دون عمرو فى العلم أن تكون هوية الحق عين زيد وعمرو » ورغم ما فى هذا الهراء من تلبيس زنديقى ، فللعقل — أى عقل كان — أن يصرخ فى وجه ابن عربى بالحق : ما زلت أيتها الزنديق فى حاجة — ولن تقضى لك والله هذه الحاجة أبداً — إلى إثبات أصل زندقته ، وهو أن هذه الموجودات هى تعيينات أسماء الله . فقد بنيت هراءك الجوسى كله على هذا الأصل الذى يحمد بيت العنكبوت على قوته . وأقول : العقل وحده ، إذ يستطيع كل امرئ يفهم آية واحدة من القرآن أن يحكم على ابن عربى بالزندقة الفاجرة . ولكن ماذا نفعل للكبار الكبار الذين يستظهرون ألف متن وحاشية ، والمصحف حتى علام الوقف فيه !! يؤمنون بالزنديق ، ويكفرون بآيات الله ، ويقصدون فصوص الحكم ، ويحددون بالذكر الحكيم .

من حيوان ، وما ثم إلا حيوان ، إلا أنه بَطَن في الدنيا عن إدراك بعض الناس ،
وظهر في الآخرة لكل الناس ، فإنها الدار الحيوان ، وكذلك الدنيا ، إلا أن
حياتها مستورة عن بعض العباد ، ليظهر الاختصاص والمفاضلة بين عباد الله بما
يدركونه ^(١) من حقائق العالم فن عم إدراكه ، كان الحق أظهر في الحكم ممن
ليس له ذلك العموم ، فلا تحجب بالتفاضل ، وتقول : لا يصح كلام من يقول :
إن الخلق هوية الحق ، بعد ما أريتك التفاضل في الأسماء الإلهية التي لا تشك
أنت أنها [هى] الحق ، ومدلولها المسمى بها وليس إلا الله ^(٢) .

الضال مهتد ، والكافر مؤمن

ثم قال : « نحن على الصراط المستقيم الذى الرب عليه ، لكون نواصينا في
يده ، وتستحيل مفارقتنا إياه ، فنحن معه بالتضمن ، وهو معنا بالتصريح ، فإنه
قال : (٤: ٥٧) وهو معكم أينما كنتم) ونحن معه بكونه آخذاً بنواصينا فهو تعالى
مع نفسه حيثما مشى بنا من صراطه ، فما أحد من العالم إلا على صراط مستقيم ^(٣) .
ثم قال فى فص حكمة وجودية فى كلمة داودية (٢٢: ٢١) لو كان فيهما آلهة
إلا الله لفسدنا) وإن اتفقا ، فنحن نعلم أنهما لو اختلفا [تقديراً] لنفذ حكم أحدهما
قالنأفذ الحكم هو الإله على الحقيقة ، والذى لم ينفذ حكمه ليس ياله ، ومن هنا
نعلم أن كل حكم ينفذ اليوم فى العالم أنه حكم الله ، وإن خالف الحكم المقرر فى
الظاهر المسمى : شرعاً ؛ إذ لا ينفذ حكم إلا الله فى نفس الأمر ، لأن الأمر الواقع
فى العالم إنما هو على حكم المشيئة ^(٤) .

(١) فى الأصل : يدركونه .

(٢) ص ١٥٣ فصوص الحكم .

(٣) ص ١٥٨ فصوص .

(٤) ص ١٥٦ فصوص .

لن يعذب كافر عند الصوفية

ثم قال : « ولما كان الأمر [في نفسه] على ما قررناه ، لذلك كان مآل الخلق إلى السعادة على اختلاف أنواعها ، فعبّر عن هذا المقام بأن الرحمة وسعت كل شيء ، وأنها سبقت الغضب الإلهي ، والسابق متقدم ، فإذا لحقه هذا الذي حكم عليه المتأخر حكم عليه المتقدم ، فنالته الرحمة ، إذا لم يكن غيرها سبق ، فهذا معنى سبقت رحمته غضبه ، لتحكم على من وصل [٢٧] إليها ، فإنها في الغاية وقفت ، والكل سالك إلى الغاية ، فلا بد من الوصول إليها ، فلا بد من الوصول إلى الرحمة ، ومغادرة الغضب ، فيكون الحكم لها في كل واصل إليها ، بحسب ما يعطيه حال الواصل إليها .

فمن يك ذا فهم يشاهد ما قلنا وإن لم يكن فهم ، فيأخذه عنا
فإنم إلا ما ذكرناه ، فاعتمد عليه ، وكن في الحال فيه كما كنا
فنه إليه ما تلونا عليكم ومنا إليكم ما وهبناكم من^(١)
وقال في فص حكمة نفسية في كلمة يونسية^(٢) « وأما أهل النار فما لهم إلى النعيم
ولكن في النار ، إذ لا بد لصورة النار بعد انتهاء مدة العقاب ، أن تكون برداً
وسلاماً على من فيها ، وهذا نعيمهم ، فنعيم أهل النار - بعد استيفاء الحقوق -
نعيم خليل الله حين ألقى في النار ، فإنه عليه السلام نعتب برؤيتها ، وبما تعود
في علمه ، وتقرر من أنها صورة تؤلم من جاورها من الحيوان ، وما علم مراد الله
فيها ، ومنها في حقه ، فبعد وجود هذه الآلام وجد برداً وسلاماً مع شهود الصورة
اللونية في حقه ، وهي نار في عيون الناس ، فالشيء الواحد يتنوع في عيون
الناظرين . هكذا هو التجلي الإلهي^(٣) . »

(١) ص ١١٦ فصوص .

(٢) في الأصل : يوسفية .

(٣) ص ١٦٩ فصوص .

وقال في فص حكمة غيبية في كلمة أيوبية : « وقد ورد في العلم الإلهي النبوي اتصاف الحق بالرضا والغضب ، وبالصفات ، والرضا مزيل للغضب ، والغضب مُزِيلٌ للرضا عن المرَضِيِّ عنه ، والاعتدال : أن يتساوى الرضا والغضب ، فما غضب الغاضب على من غضب عليه ، وهو عنه راضٍ ، فقد اتصف بأحد الحكيمين في حقه ، وهو مَنِيْلٌ ، وإِنَّمَا قلنا هذا لأجل من يرى أن أهل النار ، لا يزال غضب الله عليهم دائماً أبداً في زعمه ، فدألم حكم الرضا من [الله] فصيح المقصود ، فإن كان - كما قلنا - مآل أهل النار إلى إزالة الآلام ، وإن سكنوا النار ، فذلك رضا ، فزال الغضب لزوال الآلام ، إذ عين الألم عين الغضب. إن فهمت . فمن غضب ، فقد تأذى ، فلا يسعى في انتقام المغضوب عليه بإيلامه إلا ليجد الغاضب الراحة بذلك ، فينتقل الألم الذي كان عنده إلى المغضوب عليه ، والحق إذا أفردته عن العالم يتعالى علواً كبيراً عن هذه الصفة على هذا الحد، وإذا كان الحق هوية العالم ، فما ظهرت الأحكام كلها إلا فيه ومنه ، وهو قوله : (١٢٣: ١١) وإليه يرجع الأمر كله) حقيقة وكشفاً^(١) (فاعبده وتوكل عليه) حجاباً وستراً^(٢) ، فليس في الإمكان أبدع من هذا العالم^(٣) ، لأنه على صورة

(١) يعني بالأمر : كل مظاهر الوجود وأحكامه ، ويفترى بهذا على الله البهتان ، فيزعم أن مظاهر الخلق هي مظاهر الحق ، وأن ما نحكم به على مظاهر الوجود وصورة يجب أن نحكم به على الحق ، إذ هو عين تلك المظاهر ، فإذا قيل : إن فلانا يتألم من كذا ، أو يلتذ به ، فالتألم عند الصوفية والملتذ هو الحق التعين في فلان هذا وإذا قلنا : إن فلانا آثم غوى ، كان هذا الحكم محكوماً به في الحقيقة على رب الصوفية ، لأنه هو عين هذا الآثم الغوى ، هذا تفسيره لقوله سبحانه : (إليه يرجع الأمر كله) ولذا عقبها بقوله : حقيقة وكشفاً .

(٢) الأمر بالعبادة يستلزم إثبات معبود وعابد ، ويصف ابن عربي الأمر بالعبادة بأنه ستر وحجاب ، إذ ما ثم عابد ومعبود ، فالعابد عين المعبود . ولذا عقب الآية بقوله : حجاباً وستراً .

(٣) لأنه يدين بأن العالم هو الله وصفاته وأسمائه .

الرحمن أوجده الله تعالى ، أى ظهر وجوده تعالى بظهور العالم ، كما ظهر الإنسان بوجود الصورة الطبيعية ، فنحن صورته الظاهرة ، وهويته روح هذه الصورة المدبرة لها ، فما كان التدبير إلا فيه [كما لم يكن إلا منه] ، فهو : « الأول » بالمعنى ، « والآخر » بالصورة ، وهو « الظاهر » [٢٨] بتغير الأحكام والأحوال « والباطن » بالتدبير « وهو بكل شىء عليم » فهو على كل شىء شهيد ^(١) .

الحق عندهم سار في عناصر الطبيعة

وقال في فص حكمة إبناسية في كلمة إلياسية : « وكان إلياس الذى هو إدريس ، قد مثل له انفلاق الجبل ^(٢) [المسمى] لبنان عن فرس من نار ، فلما [رآه] ركب عليه ، فسقطت ^(٣) عنه الشهوة ، فكان ^(٤) عقلا بلا شهوة ، فلم يبق له تعلق بما تتعلق به الأغراض النفسية ، فكان الحق فيه ^(٥) منزها ، فكان على النصف من المعرفة بالله [فإن العقل إذا تجرد لنفسه من حيث أخذه العلوم عن نظره كانت معرفته بالله] عن التنزيه ^(٦) ، لاعلى التشبيه ، وإذا أعطاه الله المعرفة بالتجلى كملت معرفته بالله ، فزده في موضع ، وشبهه في موضع ، ورأى سريان الحق في الصور الطبيعية والعنصرية ، وما بقيت له صورة إلا وبرى عين الحق عينها ، وهذه المعرفة التامة التى جاءت بها الشرائع المنزلة من عند الله ، وحكمت بهذه المعرفة الأوهام كلها ^(٧) »

رد العراقى على وحدة الأديان

قال الإمام زين الدين للعراقى في جواب السؤال المذكور قبل : « بتوحيد

(١) ص ١٧٢ فصوص .

(٢) فى الأصل : جبل — سقطت — وكان — فيها .

(٣) الصوفية حرب على العقل ، ويكفرون به كمصدر أو وسيلة من وسائل

المعرفة ، إذ يحكم على أوهامهم الدوقية بالتناقض ، وأنها وليدة خرافة وأساطير .

(٧) ص ١٨١ فصوص .

إلياس عليه السلام بُعثت الرسل كلها ؛ لأن الملل كلها ، وما جاءت به الرسل لم يختلفوا في التوحيد والإقرار به ، وقد نزه الله تعالى نفسه عن الشبه بقوله تعالى (ليس كمثل شيء) وليت شعري ما الفائدة لبعثه الرسل إذا كان من عبد شيئاً من المخلوقات عابداً لله تعالى ؟! وليت شعري ماذا يقول هذا القائل ، في نبينا محمد صلى الله عليه وسلم في سبهم عن عبادة الأوثان وكسرها ؟! هل يقول : كانوا بعبادتها مصيبين عابدين لله ، وأنه ما حصل لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم اتساع ، فأنكر عليهم ، كما قال في حق هارون عليه السلام ، ولا شك أن الرسل كلهم متفقون في التوحيد ، وكأنه إنما سكت عن ذلك خيفة من السيوف الحمدية ، فإن هذه المؤلفات التي كان يُسرّها إلى أصحابه ، ويسرها أصحابه إلى أصحابهم ، ولو كان حقاً لأظهره على رؤوس الأشهاد » انتهى

الشرائع أوهام عند الصوفية

ثم قال ابن عربي : « فالوهم هو السلطان الأعظم في هذه الصورة الكاملة الإنسانية ، وبه جاءت الشرائع المنزلة ، فشبهت ونزّهت : شبهت في التنزيه بالوهم ، ونزّهت في التشبيه بالعقل ، فارتبط الكل بالكل ، فلم يمكن أن يخلو^(١) تنزيه عن تشبيه ، ولا تشبيه عن تنزيه ، قال الله تعالى : ([ليس] كمثل شيء) فنزه وشبّه (وهو السميع البصير) شبه ، وهي أعظم آية تنزيه نزلت ، ومع ذلك لم تخل عن تشبيه بالكاف ، فهو أعلم العلماء بنفسه ، وما عبر عن نفسه إلا بما ذكرناه^(٢) »

ليس لله وجود عند الصوفية

ثم قال - في مثل ضربه للتشبيه في التنزيه ، والتنزيه في التشبيه : « مثل من يرى الحق في النوم ، ولا يفكر هذا ، وأنه لا شك الحق عينه ، فتنبه لوازم تلك الصورة ، وحقائقها التي تجلّى فيها في النوم ، ثم بعد ذلك يُعبّر^(٣) - أي

(١) في الأصل : يخلق .

(٢) ص ١٨١ فصوص .

(٣) في الأصل : تعبر .

يُجَازُ - عنها إلى أمر آخر ، يقتضى التنزيه عقلا ، فلن كان الذى يعبرها ذا كشف وإيمان ، فلا يجوز عنها إلى تنزيه فقط ، بل يعطيها [٢٩] حقها^(١) فى التنزيه ، ومما ظهرت فيه ، فالله على التحقيق عبارة^(٢) لمن فهم الإشارة^(٣) »

الداعى عين المجيب

ثم قال : « ومن ذلك قوله تعالى : (٦٠ : ٤٠ ادعوني أستجب لكم) قال الله : (١٨٦ : ٢) وإذا سألك عبادى عنى فأنى قريب ، أجيب دعوة الداعى إذا دعانى (إذ لا يكون مجيباً إلا إذا كان من يدعوه^(٤)) وإن كان عين الداعى عين المجيب ، فلا خلاف فى اختلاف الصور ، فهما صورتان بلا شك^(٥) ، وتلك الصور كالأعضاء لزيد ، فمعلوم أن زيدا حقيقة واحدة شخصية ، وأن يده ليست صورة رجله ، ولا رأسه ولا عينه ، ولا حاجبه ، فهو الكثير بالصور الواحد بالعين كالإنسان بالعين واحد بلا شك ، ولا نشك أن عمرواً ما هو زيد ، ولا خالد ، ولا جعفر ، وأن أشخاص هذه العين الواحدة لا تنفاهى وجوداً ، فهو وإن كان واحداً بالعين ، فهو كثير بالصور والأشخاص ، وقد علمت قطعاً - إن كنت مؤمناً - أن الحق عينه يتجلى يوم القيامة فى صورة ، فيُعرف ، ثم يتحول فى صورة ، فينكر ، ثم يتحول عنها فى صورة ، فيعرف ، وهو هو المتجلى ليس

(١) فى الأصل : من .

(٢) فى الأصل : عبادة .

(٣) ص ١٨٢ فصوص .

(٤) فى الأصل : غيره بعد كلمة يدعوه .

(٥) الأمر بالدعاء يقتضى الإثنية والغيرية ، أعنى يستلزم وجود داع ومجيب ، لذا راح الزنديق يزعم أنها اثنية وهمية ، وغيرية صورية ، فالداعى هو الله تعين فى صورة من يدعو ، والمجيب هو الله تعين فى صورة من يجيب ، فعما غيران فى الصورة ، واحد فى الحقيقة . ولذا يقول : الداعى عين المجيب ، وما إخال القارىء فى حاجة إلى البيان عما فى هذا من تحريف كافر .

غيره في كل صورة . ومعلوم أن هذه الصورة ما هي تلك الصورة الأخرى ، فكان العين الواحدة قامت مقام المرآة ، فإذا نظر الناظر فيها إلى صورة معتقده في الله عرفه ، وأقرَّ به ، وإذا اتفق أن يرى فيها معتقد غيره أنكره ، كما يرى في المرآة عين صورته وصورة غيره ، فالمرآة عين واحدة ، والصور كثيرة في عين الرائي ، وليس في المرآة صورة منها جملة واحدة مع كون المرآة لها أثر في الصور بوجه ، وما لها أثر بوجه^(١) .

ثم قال : « فإن كوشف على أن الطبيعة عين نفس الرحمن ، فقد أوتى خيراً كثيراً^(٢) » .

قلت : وإلى هذا أوما ابن الفارض بقوله :

ولا تحسبن الأمر عى خارجا	فما ساد إلا داخل في عبودتي ^(٣)
ولولاى لم يوجد وجود ، ولم يكن	شهود ، ولم تُعْهَدْ عهد بذمة
وفي عالم التركيب في كل صورة	ظهرت بمعنى عنه بالحسن زينتي
وضربى لك الأمثال منى مينة	عليك بشأني مرة بعد مرة
تأمل مقامات الشُّرُوجي ^(٤) واعتبر	بتلويحه ، تحمل قبول مشورتى
وتدبر ^(٥) التباس النفس بالحس باطنا	بمظهرها في كل شكل وصورة
وشاهد إذا استجلبت نفسك ما ترى	بغير مرآة في المرأى ^(٦) الصقيلة ^(٧)

(١) ص ١٨٤ فصوص .

(٢) ص ١٨٧ فصوص .

(٣) في الأصل : عبوتى .

(٤) اسم الشخص الذي بنى عليه الحريرى مقاماته .

(٥) في الأصل : تدري .

(٦) في الأصل : المرآة .

(٧) يرد الشيخ الجليل ابن تيمية على هذا المثل الذى يمثل به ابن الفارض =

أغيرك فيها لاح ، أم أنت ناظر
وأصغ لرجع الصوت عند انقطاعه
أهل كان من فاجاك ثم سواك ، أم
وقل لي : من ألقى إليك علومه
وما كنت تدري قبل يومك ماجرى
فأصبحت ذا علم بأخبار من مضى
أتحسب من جارك في سنة الكرى
وما هي إلا النفس عند اشتغالها
تجملت لها ^(٢) بالغيب في شكل عالم
ولا تلك بمن طيشته دروسه
فشم وراء النقل علم يدق عن
إليك بها عند انعكاس ^(١) الأشعة؟
إليك بأكتاف القصور المشيدة
سمعت خطاباً عن صدك للصوت
وقد ركزت منك الحواس بفغلة
بأمسك ، أو ماسوف يجرى بغدوة
[٣٠] وأسرار من يأتي مدلاً بخبرة
سواك بأنواع العلوم الجليلة
بعالمها عن مظهر البشرية
هداها إلى فهم المعاني الغريبة
بحيث استقلت عقله واستفزت
مدارك غايات العقول السليمة ^(٣)

= الوحدة بين الحق والخلق ، فيقول : « فلو قدر أن الإنسان يرى نفسه في المرآة ، فالمرآة خارجة عن نفسه ، فرأى نفسه ، أو مثال نفسه في غيره ، والكون عندهم ليس فيه غير ولا سوى ، فليس هناك مظهر مخالف للظاهر ، ولا مرآة مغايرة للرأى ، وهم يقولون : إن الكون مظاهر الحق ، فإن قالوا : المظاهر غير الظاهر لزم التعدد وبطلت الوحدة ، وإن قالوا : المظاهر هي الظاهر ، لم يكن قد ظهر شيء في شيء ، ولا تجلى شيء في شيء ، ولا ظهر شيء لشيء ، وكان قوله : « يعنى ابن الفارض » « ومشاهد إذا استجلبت ... الخ » كلاماً متناقضاً ، لأن هنا مخاطباً ، ومخاطباً ، ومرآة تستجلي فيها الذات ، فهذه ثلاثة أعيان ، فإن كان الوجود واحداً بالعين ، بطل هذا الكلام ، وكل كلمة يقولونها تنقض من أصلهم » ص ٨٧ ج ١ مجموعة الرسائل والمسائل .

(١) في الأصل : الانعكاس .

(٢) في الأصل : لهم .

(٣) يقصد بالنقل نصوص الشرائع السماوية ، والصوفية لا يفيضون شيئاً في الحياة بفضهم لما أوحى به الله سبحانه إلى رسله ، وإذا استشهد صوفي بآية أفسد =

تلقينته مني ، وعنى أخذته ونفسى كانت من عطائي مُبدّتي
ولا تك باللامى عن اللهو جملة فهزل الملامى جذ نفس مُجدّة

الحق عين كل معلوم عند الصوفية

ثم قال^(١) فى فص حكمة إحسانية فى كلمة لقمانية - بعد أن ذكر أن من
حكمته المفلوطة ، أنهم - إن تك مثقال حبة من خردل الآية ... وأن من حكمته
المسكوبة^(٢) عموم المؤتى إليه ، لأنه لم يقل : يأت بها الله إليك ، أو إلى غيرك ،
قال : « فنبه لقمان بما تكلم به ، وبما سكت عنه أن الحق عين كل معلوم ، لأن
المعلوم أعم [من الشيء]^(٣) » فهو أنكر النكرات ، ثم تم الحكمة ، واستوفاه ؛

== معنلها بأساطير زندقته. وإذا استشهد بحديث ، فثق أنه موضوع ، وضعته الصوفية
منذ خلعت عنها اسم المجوسية ، وتسمت بهذا الاسم الخلوب المكر والخديعة ،
لتنتف سمومها الفتاكة ، وتعيث بزندقته فى عقائد المسلمين فسادا ، ولذا يقول
ابن الفارض : لا تركز إلى الكتاب والسنة ، فليس فيهما أنارة من الحق ، ولا لمع
من الهداية ، ولا إشراق من الحقيقة ، وتعال إلى أعلمك علما دقيقاً جليلاً يهيم
على الهدى والحق !!

وأقول : إذا كان علم ابن الفارض يدق عن مدارك العقول المشرقة ، فمن
للدراويش ؟ من للذين هم ليسوا بأقطاب ؟ ثم أليس أولئك الذين لا يعلمون علمه ،
هم الله فى عرف زندقته ؟ أليس هذا معناه أن له علما يدق حق عن الله سبحانه ؟
ومعناه أن زندقته أبر بالحق والهدى من شرائع الله سبحانه ؟!

(١) أى : ابن عربى .

(٢) لعلها : المسكوت عنها ، فابن عربى يقول فى هذا الفصل : « والحكمة قد
تكون متلفظاً بها ، ومسكوتاً عنها » .

(٣) يقول أبو البقاء فى كلياته : « الشيء هو لغة : ما يصح أن يعلم ويخبر عنه ،
فيشمل الوجود والعدم ممكناً ، أو محالاً ، واصطلاحاً : خاص بالموجود - خارجياً
كان أو ذهنياً - والشيء أعم العام ، ويقع على الواجب والممكن والمتنع . نص على =

لتكون النشأة كاملة فيها ، فقال : « إن الله لطيف » فمن لطافته ولطفه ، أنه في الشيء المسمى كذا ، المحدود بكذا ، عين ذلك الشيء ، حتى لا يقال فيه إلا ما يدل عليه اسمه بالتواطؤ^(١) ، والاصطلاح ، فيقال : هذا سماء ، وأرض ، وصخرة ، وشجرة ، وحيوان ، وملك ، ورزق ، وطعام ، والعين واحدة من كل شيء^(٢) ،

= ذلك سيويبه ، حيث قال في كتابه : الشيء يقع على كل ما أخبر عنه ، ومن جعل الشيء مرادفاً للموجود ، حصر الماهية بالموجود ، ومن جعله أعم عمم الموجود والمعدوم .

ولكن ابن عربي يفسر الشيء بأنه المتحقق بالفعل ، وعلى هذا ، فالمعلوم أهم منه ، إذ المعلوم عنده يتناول الموجودات : عينية ، أو علمية ممكنة ، أو ممتعة ، وابن عربي يزعم أن الحق عين كل معلوم ، وهذا معناه أن إلهه عين الممكن ، وعين الممتنع ، عين الموجود الخارجي ، وعين الوجود الذهني ، عين الوجود ، وعين الحقيقة عين الباطل وعين الحق ، عين الفنى والضلال ، وعين الرش والهدى ، عين المعصم والقناء ، وعين الوجود والبقاء . هذا هو إله الصوفية الأعظم ١١

(١) التواطؤ هو الكلى إن استوت أفراده فيه ، كالإنسان بالنسبة إلى أفراده فالإنسانية في محمد مثلاً عينها في بكر ، عينها في خالد ، عينها في كل فرد ، فهو يطلق على كل فرد فرد بمعنى واحد لا يزيد ، ولا ينقص في فرد عنه في فرد آخر . وكذلك اسم الله سبحانه — هكذا يفترى الزنديق الآثم ابن عربي — يقال على كل معلوم بالتواطؤ . يقال على الممكن والممتنع ، على الوجود والمعدوم ، على الوجود الذهني ، وعلى الوجود الخارجي ، على الإنسان والحيوان والجماد ، والسكروبات . والرم ١١ هذا دين من لا يزال بعض كبار الشيوخ يتخذونه لهم قدوة وإماماً ، ويشيرون ثورة الدنس والريذة على الطهر والفضيلة ، إذا جاء كاتب أن يصنع باطلاً بيد الحق القاهرة القوية ١١

(٢) يزعم أن السماء عين الأرض ، وأن الصخرة عين الشجرة ، وأن الجماد عين الحيوان ، يؤمن بأن كل شيء من هذه الأشياء عين الآخر ، ويؤمن بأن الله سبحانه عين كل شيء ، فسمه بأي اسم شئت من أسماء هذه الأغنياء ، فلن تمسوا الحق عند الزنديق ، سمه أرضاً ، أو صخرة ، أو شجرة ، أو حيواناً ، أو جماداً =

وفيه كما تقول الأشاعرة^(١) : أن العالم كله متماثل بالجواهر ، فهو جوهر واحد^(٢) فهو عين قولنا : [العين واحدة] ثم قالت : ويختلف بالأعراض ، وهو عين قولنا

== أو حشرة ، فالكل عينه ؛ وهويتها هويته ، وماهيتها ماهيته ، ووجودها عين وجوده ، وأسماؤها أسماؤه !! أرأيت أية مادية صماء يوغل ابن عربي في الإيمان بها إذ يرى ربه صخرا وجمادا ؟.

فأين هي الروحانية في التصوف يا أحلاس المجوسية ، ويا عبدة الخنازير ؟ !
(١) مدرسة كلامية ابتدعت مذهبا كلاميا ملققا ، فهو أمشاج من الاعترال .
والسلفية ، والجبرية ، والفلسفة اليونانية القديمة قبل سقراط ، زعيمها : أبو الحسن الأشعري المتوفى سنة ٣٣٠ هـ وأشهر زعمائها بعده الباقلاني والجويني ، والغزالي .
راجع ما كتبت عن هذه المدرسة في كتابي دعوة الحق

(٢) قال السعد في المقاصد : « أثبت المتكلمون أن أجزاء الجسم هي الجواهر الفردة ، وأنها متماثلة لا يتصور فيها اختلاف ، ليثبتوا أن الأجسام متحدة بالحقيقة ، وإنما الاختلاف بالعرض ، وهذا أصل يبنى عليه كثير من قواعد الإسلام « تأمل !! »
كإثبات القادر المختار ، وكثير من أحوال النبوة والمعاد » ص ٣١٨ ج ١ . وطى
الرغم مما هول به الأشاعرة حول أسطورة الجوهر الفرد التي استمدوها من الفلسفة اليونانية القديمة ، وبخاصة من ديمقريط ، فإن قولهم لا ينتسب إلى الصوفية في الوحدة برحم ، فالأشاعرة يقولون بتماثل الجواهر الفردة في الأجسام . أما الصوفية فيدينون ، لا بالتماثل ، بل بالوحدة التامة بين الحق والخلق ، ثم إن الأشاعرة يدينون بوجودين : وجود الله ، ووجود العالم ، الأول قديم ، والثاني حادث ، أما الصوفية فيدينون بوجود واحد تردد بين الإطلاق والتقييد ، وجود يجمع الخالق بالخلق في وحدة تامة ، الأشاعرة يؤمنون بأن الله هو الخالق ، وأن العالم هو المخلوق ، أما الصوفية ، فيكفرون بأن الله خالق ، إذ الحق والحقا عندهم حقيقة واحدة ، وإليك ما يرد به العلامة القبلي على ما نسبته ابن عربي إلى الأشاعرة هنا ، وهو قولهم بوحدة الجوهر : « وقد غلط في كلامه هذا أو غلط ، وذلك بقوله : فهو جوهر واحد فإنه ليس من كلام الأشاعرة ، ولا غيرهم من المتكلمين ، ألا ترى إلى قولهم : متماثل ؟ ! وهو — أي ابن عربي — قد أحال التماثل وأحال الشركة لاتحاد العين » العلم الشامخ ص ٤٣٧

وَيُخْتَلَفُ ، وَبِتَكَثُرِ الصُّوَرِ وَالنِّسَبِ حَتَّى يَتَمَيَّزُ ، فَيُقَالُ : هَذَا لَيْسَ هَذَا مِنْ حَيْثُ صُورَتِهِ ، أَوْ عَرَضِهِ ، أَوْ مَزَاجِهِ كَيْفَ شُدَّتْ ، فَقُلْ : وَهَذَا عَيْنُ هَذَا مِنْ حَيْثُ جَوْهَرِهِ ، وَلِهَذَا تَوَخَّذَ عَيْنُ الْجَوْهَرِ فِي حَدِّ كُلِّ صُورَةٍ ، أَوْ مَزَاجٍ ، فَتَقُولُ نَحْنُ : إِنَّهُ لَيْسَ سِوَى الْحَقِّ ، وَيُظَنُّ الْمَتَكَلِّمُ ^(١) أَنَّ مَسْمَى الْجَوْهَرِ الْفَرْدَ - وَإِنْ كَانَ حَقًّا - مَا هُوَ عَيْنُ الْحَقِّ الَّذِي يُطْلَقُ أَهْلُ الْكَشْفِ وَالتَّجَلِّي فِهَذَا حِكْمَةٌ كُونُهُ : لَطِيفًا ^(٢) ، ثُمَّ نَعْتٌ ، فَقَالَ : خَيْرًا ، أَيْ عَالِمًا عَنْ اخْتِبَارٍ ^(٣) ، وَهُوَ قَوْلُهُ : وَلَنُبَلِّغَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ ، وَهَذَا هُوَ عِلْمُ الْأَذْوَاقِ ، فَجَعَلَ الْحَقُّ نَفْسَهُ - مَعَ عِلْمِهِ بِمَا هُوَ الْأَمْرُ عَلَيْهِ - مُسْتَفِيدًا عِلْمًا ، وَلَا يَقْدِرُ ^(٤) عَلَى إِنْكَارِ مَا نَعَى الْحَقُّ عَلَيْهِ [فِي حَقِّ نَفْسِهِ] ، فَفَرَّقَ تَعَالَى بَيْنَ عِلْمِ الذَّوْقِ وَالْعِلْمِ الْمَطْلُوقِ ، فَعِلْمُ الذَّوْقِ مُقَيَّدٌ بِالْقُوَى وَقَدْ قَالَ عَنْ نَفْسِهِ : إِنَّهُ عَيْنُ قُوَى عَبْدِهِ فِي قَوْلِهِ : كُنْتُ سَمْعَهُ . وَهُوَ قُوَّةٌ مِنْ قُوَى الْعَبْدِ - وَبَصَرُهُ ، وَهُوَ قُوَّةٌ مِنْ قُوَى الْعَبْدِ وَلِسَانُهُ ، وَهُوَ عَضْوٌ مِنْ أَعْضَاءِ الْعَبْدِ ، وَرَجْلُهُ ، وَيَدُهُ ، فَمَا اقْتَصَرَ فِي التَّعْرِيفِ عَلَى الْقُوَى فَحَسَبَ ، حَتَّى ذَكَرَ الْأَعْضَاءَ ، وَلَيْسَ الْعَبْدُ بِغَيْرِ هَذِهِ ^(٥) الْأَعْضَاءِ وَالْقُوَى ، فَعَيْنُ مَسْمَى الْعَبْدِ هُوَ الْحَقُّ ، لَا عَيْنُ الْعَبْدِ هُوَ السَّيِّدُ ^(٦) ، فَإِنَّ النِّسْبَ مُمَيِّزَةٌ لِدَاتِهَا ^(٧) وَلَيْسَ الْمُنْسُوبُ إِلَيْهِ مُمَيِّزًا [٣١] فَإِنَّهُ لَيْسَ ثُمَّ سِوَى عَيْنِهِ فِي جَمِيعِ النِّسَبِ ، فَهُوَ عَيْنُ وَاحِدَةٍ ذَاتِ نِسَبٍ وَإِضَافَاتٍ وَصِفَاتٍ ، فَمِنْ تَمَامِ حِكْمَةِ لِقَائِهِ فِي تَعْلِيمِهِ ابْنَهُ مَا جَاءَ بِهِ فِي ^(٨)

(١) يَقْصِدُ الْقَائِلِينَ بِالْجَوْهَرِ الْفَرْدَ مِنَ الْأَشَاعِرَةِ

(٢) يَعْنِي اسْمَ اللَّهِ سُبْحَانَهُ فِي قَوْلِهِ : (٣٣ : ٣٤) إِنْ اللَّهُ كَانَ لَطِيفًا خَيْرًا)

(٣) يَنْسَبُ الْعِلْمُ الْإِخْتِبَارِيُّ إِلَى اللَّهِ ، يَبْدُو أَنَّهُ يَفْسِرُهُ بِأَنَّهُ الْعِلْمُ الذَّوْقِيُّ ، وَهَذَا عِنْدَهُ مُقَيَّدٌ بِالْقُوَى الَّتِي تُفِيدُهُ وَصَادِرَةٌ عَنْهَا ، وَالزَّنْدِيقُ يَفْتَرِي أَنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ عَيْنُ قُوَى الْعَبْدِ وَأَعْضَائِهِ ، وَعِلْمُ الْعَبْدِ مُسْتَمَدٌّ مِنْ هَذِهِ الْقُوَى وَالْأَعْضَاءِ فَعِلْمُ الْحَقِّ عِنْدَهُ هُوَ مَا يَعْلَمُهُ الْعَبْدُ عَنْ طَرِيقِ قَوَاهِ وَأَعْضَائِهِ ، إِذْ لَيْسَ الْحَقُّ شَيْئًا سِوَى هَذَا الْعَبْدِ 11 (٤) ، (٥) ، (٦) ، (٧) ، (٨) فِي الْأَصْلِ : يَقْدِرُ - غَيْرُ هَذِهِ - الْيَدُ -

لِقَوَاهِهَا - مِنْ

هذه الآية من ^(١) هذين الإسمين الإلهيين ^(٢) »

وقال في فص حكمة إمامية في كلمة هلرونية : « اعلم أن وجود هرون كان من حضرة الرَّحْمَتِ ^(٣) » ثم ذكر غضب موسى عليه السلام ، وأخذَه بلحيته ، ثم قال « وسبب ذلك عدم التَّشَبُّثِ في النظر فيما كان في يديه من الألواح ، التي ألقاها من يده ، فلو نظر فيها نظرة تثبت لوجد فيها الهدى والرحمة ، فالهدى بيان ما وقع من الأمر الذي أغضبه بما [هو] هرون يرى منه ، والرحمة بأخيه ^(٤) ، فكان لا يأخذ بلحيته بمراى من قومه مع كبره ، وأنه أسنُّ منه ^(٥) » .

تمجيد الصوفية لعبادة العجل

ثم قال : « وكان موسى عليه السلام أعلم بالأمر من هرون ، لأنه علم ما عَبَدَهُ أصحابُ العجل ، لعلمه بأن الله قد قضى ألا نعبد إلا إياه ، وما جُكِّمَ الله بشيء إلا وقع ، فكان عَتَبُ موسى أخاه هرون ؛ لما وقع [الأمر] في ^(٥) إنكاره وعدم اتساعه ، فإن العارف من يرى الحق في كل شيء ، بل يراه عين كل شيء ^(٦) » .

(١) في الأصل : في

(٢) ص ١٨٩ فصوص

(٣) ص ١٩١ فصوص

(٤) في الأصل : لأخيه

(٥) ص ١٩١ فصوص

(٥) في الأصل : من

(٦) ص ١٩٢ فصوص ، وقد خشي الزنديق من تعبيره الأول : « في كل شيء » . أن يتهم بأنه حلولى ، لإفادة في معنى الظرفية ، أو أن يظن أحد أن في كلامه مجازا تقديره : يرى أثر قدرة الله في كل شيء . خشي هذا وذاك فعقبه بنص قاطع الدلالة على معتقده إذ قال : بل يراه عين كل شيء ، ليؤكد لك إيمانه بوحدة الوجود للمادية والروحية .

بعض ما كُفِّر به المراقى ابن عربى

قال الشيخ زين الدين المراقى فى جواب السؤال المذكور : « هذا الكلام كفر من قائله من وجوه :

أحدها : أنه نسب موسى عليه السلام إلى رضاه بعبادة قومه للعجل .
الثانى : استدلاله بقوله تعالى : (١٧ : ٢٣) وقضى ربك أن لا تعبدوا إلا إياه على أنه قَدَرٌ ^(١) أن لا يُعْبَدَ إلا هو ، وأن عابد الصنم عابده ، الثالث : أن موسى

(١) يفسر الزنديق قضى بقدر وحكم . ثم يستطرد فيقول : وكل ما قدره الله ، أو حكم به فلا بد من وقوعه ، ومما وقع عبادة العجل وعبادة الصنم ، والنار والكواكب وغيرها ، وهذا دليل على أن عبادة هذه الأشياء حكم إلهى قدره الله فوق ، ولما كان الله سبحانه لا يمكن أن يحكم بعبادة غيره ، بدليل : (لا تعبدوا إلا إياه) كان هذا دليلا على أن تلك العبودات ليست شيئا غير الله سبحانه ، بل هي عينه ، وعلى أن عابديها لم يعبدوا إلا الله ، هذا ما يهدف إليه ابن عربى من تفسيره لقضى : بقدر وحكم ، وإليك ما يرد به الشيخ الجليل ابن تيمية على تلييس ابن عربى وبهتان هذا : « احتج الملحدون بقوله : (وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه) قالوا : وما قضى الله شيئا إلا وقع ، وهذا هو الإلحاد فى آيات الله ، وتحريف الحكم عن مواضعه ، والكذب على الله ، فإن قضى هنا ليست بمعنى القدر والتكوين بإجماع المسلمين ، بل بإجماع العقلاء ، حتى يقال : ما قدر الله شيئا إلا وقع ، وإنما هي بمعنى : أمر . وما أمر الله به ، فقد يكون ، وقد لا يكون ، فتدبر هذا التحريف ، وكذلك قوله : ما حكم الله بشيء إلا وقع كلام مجمل ، فإن الحكم يكون بمعنى الأمر الدينى ، وهو الأحكام الشرعية ، كقوله : (يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود ، أحلت لكم بهيمة الأنعام) الآية . وكقوله : (ذلكم حكم الله يحكم بينكم) ويكون الحكم حكما بالحق والتكوين والعقل ، كقوله : (لن أبرح الأرض حتى يأذن لى أبى ، أو يحكم الله لى) وقوله : (قل : رب احكم بالحق) ولهذا كان بعض السلف يقرأون (ووصى ربك أن لا تعبدوا إلا إياه) فذكروا أنها كذلك فى بعض المصاحف ، ولهذا قال فى سياق الكلام : وبالله الذين إحسانا ، ويبقى أمره =

عليه السلام عتب على أخيه هرون عليهما السلام إنكاره لما وقع ، وهذا كذب على موسى عليه السلام ، وتكذيب لله فيما أخبر به عن موسى من غضبه لعبادتهم العجل ، الرابع : أن العارف يرى الحق في كل شيء ، بل يراه عين كل شيء ، فجعل العجل عين الإله المعبود ، فليعجب السامع لمثل هذه الجرأة التي تصدر ممن في قلبه مثقال ذرة من إيمان .

آيات تشهد بكفر ابن عربي

ثم ساق من الآيات ^(١) التي كذب بها في هذه المقالة ^(٢) قوله تعالى : (٩٣ ، ٩٢ : ٢٠) ما منعك إذ رأيتهم ضلوا أن لا تتبعني) وقوله : (٧ : ١٥٠) بئسما خلفتموني من بعدي) وقوله : (١٤٨ : ٧) واتخذ قوم موسى من بعده من حليهم عجلا جسدا له خوار ، ألم يروا أنه لا يكلمهم ، ولا يهديهم سبيلا [اتخذوه ، وكانوا ظالمين ^(٣)] وقوله : (١٥٢ : ٧) إن الذين اتخذوا العجل سينالهم غضب من ربهم ، وذلة في الحياة الدنيا ، وكذلك نجزي المفترين) . وقوله :

ووصاياه إلى أن قال : (ذلك مما أوحى إليك ربك من الحكمة ، ولا تجعل مع الله إلها آخر) فحتم الكلام بمثل ما فتحه به من أمره بالتوحيد ونهيه عن الشرك ، ليس هو إخبارا أنه ما عبد أحد إلا الله ، وأن الله قدر ذلك وكونه ، وكيف ، وقد قال : (ولا تجعل مع الله إلها آخر) وعندهم ليس في الوجود شيء يجعل إلها آخر (فأى شيء . عبد فهو نفس الإله ليس آخر غيره » ص ٨٨ ج ٤ مجموعة الرسائل والمسائل .

(١) أي العراقي .

(٢) يقصد ما نسبته ابن عربي إلى موسى عليه السلام من الرضا بعبادة العجل ، ونسبته الجهل إلى هرون باستنكاره لعبادة العجل ، وتصحيحه لعبادة العجل ، وزعمه أنها عبادة لله ، إذ العجل ليس شيئا غير الإله المعبود

(٣) استشهد العراقي بالآية مبتورة ، فذكرتها بتمامها لأنها نص في الحكم ، ووضعت ما لم يستشهد به العراقي بين هذين []

(٧ : ١٤٩) ولما سَقِطَ في أيديهم ، ورأوا أنهم قد ضلوا ، قالو : لئن لم يرحننا ربنا ، ويغفر لنا ، لنكوننَّ من الخاسرين .

شرك الصوفية أخبت الشرك

ثم قال ^(١) : فجاء هذا المخالف لله ، ورسوله ولجميع المؤمنين ، فصَوَّبَ فعلهم ، وصرح بأنهم من العارفين بقوله : إن العارف من يرى الحق في كل شيء ، بل يراه عين كل شيء ، ولا شك أن شرك قائل هذا أشد من شرك اليهود والنصارى فإن أولئك عبدوا عبداً من عباد الله المقربين ، وهذا يرى أن عبادة العجل والصنم عين عبادة الله ، بل يؤدي كلامه إلى أن يرى الحق عين السكب والخنزير ، وعين العذرة ، وقد أخبرني بعد الصادقين من فضلاء أهل [٣٢] العلم أنه رأى شخصاً يَمُنُّ ينتحل هذه المقالة القبيحة بشعر الإسكندرية ، وأن ذلك الشخص قال له : إن الله تعالى هو عين كل شيء ، فربهما حمار ، فقال ^(٢) : وهذا الحمار ؟ فقال ^(٣) : وهذا الحمار ؛ فَرَوْتُ الحمار من دبره !!! فقال ^(٤) له : وهذا الروث ؟ فقال ^(٥) : وهذا الروث !! فنسأل الله السلامة والتوفيق ^(٦) .

(١) أي العراقي

(٢) ، (٤) يعني العالم الفاضل

(٣) ، (٥) أي الصوفي

(٦) ذكر الإمام ابن تيمية الصدوق مثل هذه القصة ، فقال : « مر شيخان - منهم التلساني والشيرازي على كلب أجرب ميت بالطريق عند دار الطعم ، فقال الشيرازي للتلساني : هذا « يشير إلى جثة السكاب الميت الأجرب » أيضا هو ذات الله ؟ ! فقال : وهل ثم شيء خارج عنها ؟ نعم : الجميع ذاته » ج ١ ص ١٤٥ ، مجموعة الرسائل الكبرى ، ص ١٠٥ مجموعة الرسائل والمائل ، وليس هذا بمستغرب ممن يدينون بأن الله سبحانه عين كل شيء ، فالروث شيء ، والجيفة المنقذة شيء ، والخنزير شيء ، والبغى الملوكة شيء ، والأحقق المأفون شيء ، وحسب الصوفية أن تكون هذه بعض أربابهم وآلهتهم ! !

تعليهم لإنكار موسى على السامري

قال ابن عربي : وكان موسى يربي هرون عليهما السلام تربية علم ، وإن كان أصغر منه في السن ، ولذلك لما قال له هرون ما قال ، رجع إلى السامري ، فقال له : (٢٠ : ٩٥) **فَاخْطُبْكَ يَا سَامِرِيُّ** ؟) يعني فيما صنعت من عدوك إلى صورة العجل على الاختصاص ، وصنعت هذا الشبح من حلي القوم ، حتى أخذت بقلوبهم من أجل أموالهم ^(١) ، وليس للأصور بقاء ، فلا بد من ذهاب صورة العجل لو لم يستعجل موسى بحرقه ، فخلبت عليه النيرة ، فحرقه ، ثم نسف رماد تلك الصورة في اليم [نسفا] ، وقال له : **أَنْظُرْ إِلَى إِيَّاهُ** ، فسماء ^(٢) . إلها بطريق التنبية ، للتعليم ؛ لما علم أنه ^(٣) بعض المجالي الإلهية (**لَا تُحَرِّقْنَهُ**) فإن حيوانية الإنسان لها التصرف من حيوانية الحيوان ، لتكون الله سخرها للإنسان ، ولا سيما وأصله ليس من حيوان ، فكان أعظم في التسخير ^(٤) .

(١) يريد الزنديق بهذا تصويب عبادة العجل ، فيزعم أن السامري لم يخطئ إلا في أنه فهم أن الذات الإلهية تعينت في العجل وحده ، فدعا قومه إلى عبادته لهذا ، على حين أن كل شيء - لا العجل وحده - هو الله !! فلو أن السامري كان عارفاً مكملًا لأمر قومه بعبادة كل شيء مع عبادة العجل !! بيد أن السامري عند ابن عربي أعرف بالحقيقة من هرون ، إذ علم - وهرون جهل - أن العجل إله حق يجب أن يعبد ، لأنه مجلي إلهي !! ثم يفسر الزنديق قول موسى للسامري : **ما خطبك يا سامري** . بما يئنه : لم دعوت قومي يا سامري إلى عبادة العجل وحده وأنت تعلم أنه ليس وحده كل تعينات الذات ، بل واحداً منها ، وتعلم أن كل شيء هو الله ؟ ! لم تدعهم يا سامري إلى الحق ، فيعبدوا كل شيء ، لا العجل وحده ؟ هذا هو دين الزنديق يا شيوخ الطرق !!

(٢) ، (٣) الضمير فيهما راجع إلى عجل السامري

(٤) من ١٩٢ فصوص

ثم قرر^(١) أمر التسخير ، وأن منه ما هو بالمال ، ومنه ما هو بالحال ، وأن ما هو بالحال مثل تسخير الطفل لأبيه بالقيام في مصالحه ، وتسخير الرعايا للملك بقيامه في مصالحهم - قال . « وهذا كله تسخير بالحال من الرعايا يُسَخَّرُونَ [في ذلك] مليكهم ، ويسمى على الحقيقة تسخير المرتبة ، فالمرتبة حكمت عليه بذلك ، فالعالم كله يُسَخَّرُ بالحال من لا يمكن أن يُطْلَقَ عليه إسم مُسَخَّرٍ . قال الله تعالى : (٥٥ : ٢٩ كل يوم هو [في] شأن) فكان عدم قوة إرداع هرون بالفعل أن ينفذ في أصحاب العجل بالتسليط على العجل ، كما سُلِّطَ موسى [عليه] حكمة من الله ظاهرة في الوجود ؛ ليعيد في كل صورة^(٢) ، وإن ذهبت تلك الصورة بعد ذلك ، فما ذهبت إلا بعد ما تَلَبَّست عند عابدها بالألوهية ، ولهذا ما بقي نوع من الأنواع إلا وعُبدَ ، إما عبادة تَأَلُّه ، وإما عبادة تسخير ، فلا بد من ذلك لمن عقل ، وما عُبدَ شيء من العالم إلا بعد التلبُّس بالرفعة عند العابد ، والظهور بالدرجة في قلبه ، ولذلك تسمى الحق لنا برفيع الدرجات ، ولم يقل : رفيع الدرجة ، فكثير الدرجات في عين واحدة ، فإنه قضى ، أن لا يُعْبَدَ إلا إياه في درجات كثيرة مختلفة ، أعطت كل درجة مجلى إلهيا عُبدَ فيها .

المهوى رب الصوفية الأعظم

وأعظم مجلى عُبدَ فيه ، وأعلاه المهوى ، كما قال : (٤٥ : ٢٣ أفرأيت من اتخذ إلهه هواه !) وهو أعظم معبود ، فإنه لا يُعْبَدَ شيء إلا بالله ، ولا يُعْبَدَ هو إلا بذاته^(٣) » ثم قال : « والعارف المكمل من رَأَى تَلَّ معبود مجلى للحق يُعْبَدَ

(١) أى ابن عربى

(٢) يفترى على الله أنه يسخر الناس ليعبدوه في كل صورة ، أى ليعبد كل إنسان نفسه وغيره من جماد وحيوان فإنه الصوفية عين كل كائن ، وعين كل شهوة وعين كل جريعة . وعين كل فاحشة

(٣) ص ١٩٤ فصوص . وبهذا يوقن القارىء أننا لم نتجن على الصوفية ، فيها =

فيه ، ولذلك سموه كلهم : إلهامع اسمه الخاص بمحجر ، أو شجر ، أو حيوان ، أو إنسان ، أو ملك ، أو كوكب^(١)

وحدة الأديان عند ابن الفارض

قلت : وإلى هذا [٣٣] أشار ابن الفارض بقوله :

فبي مجلس الأذكار سَمِعُ مطالع ولي حانة الخمار عين طليعة^(٢)
وما عقد الزَّمانُ^(٣) حكماً سوى يدي وإن حُلَّ بالإقرار بي ، فهى حَلَّتْ
وإن نار بالتزبل محراب مسجد فما بار بالإنجيل هيكل بيعة
وأسفار توراة الكليم لقومه يناجى بها الأحبار في كل ليلة
وإن خَرَّ للأحبار في البَدْء عاكف فلا تَعُدُّ بالإنكار بالعصية
فما زغت الأبصار من^(٤) كل ملة وما راغت الأفكار من^(٥) كل نملة
وما احتار مَنْ للشمس عن غرة صبا^(٦)
وإشراقها من نور إسفار غُرَّتني

وإن عبد النار المجوس وما انطقت

كما جاء في الأخبار في^(٧) ألف حجة

= ذكرناه عنهم ، فيها هو شيخهم الأكبر يدعوهم في تلظى شهواته الفواجر ، إلى عبادة الهوى ! ! ويؤكد لهم أنه الرب الأعظم الذي اقترفه لهم هواء الصوفي ! ! وهل الهوى العصوف سوى الشهوات العرايد ، والفسوق الغوى ، والفواحش اللهم الزوات ؟

(١) ص ١٩٥ فصوص . وهذا نص صريح على دين الزنديق في وحدة الوجود

ووحدة الأديان

(٢) (٤) (٥) في الأصل : طليق - في - في

(٣) ما على وسط النصارى والمجوس « القاموس »

(٦) مال

(٧) في الأصل : من .

فما عبدوا غيري^(١) ، وإن كان قصدم
—وإى وإن لم يعقدوا عقد نيتي
رأوا ضوء نارى مرة ، فتوهمو
ه ناراً ، فضلوا فى الهدى بالأشعة

الإله الصوفي مجلى صور العالم

وقال^(٢) فى فص حكمة علوية فى كلمة موسوية : « وجود الحق كانت
الكثرة له ، وتعداد الأسماء أنه كذا ، وكذا بما ظهر عنه من العالم الذى يطلب
بنشأته حقائق الأسماء الإلهية ، فثبت^(٣) به وبخالقه^(٤) أحدية الكثرة ، وقد كان
أحدى العين من حيث ذاته ، كالجوهر الهولالى^(٥) ، أحدى العين من حيث ذاته
كثير بالصور الظاهرة فيه التى هو حامل لها بذاته ، كذلك الحق بما ظهر منه من
صور التجلى ، فكان تجلّى صور العالم مع الأحدية المعقولة^(٦) » .

حكم ابن عربى بإيمان فرعون ونجاته

ثم ذكر أخذ فرعون لتابوت موسى عليه السلام ، وأنه أراد قتله ، وأن
أمراته رضى الله عنها قالت : (قرة عين لى ، ولك) فبه قرّت عينها بالكمال الذى

(١) يحكم سلطان الزنادقة بأن أولئك جميعا ، وهم المجوس ، والوثنيون ،
واليهود ، والنصارى مؤمنون موحدون ، لم يعبدوا غير الله ، إذ كل ما سوا من—
عبدوه ليس شيئا غير الله

(٢) أى ابن عربى

(٣) ، (٤) فى الأصل : فثبتت — وبخالقه

(٥) الجوهر الفرد ، أو الذرة ، أو الجزء الذى لا يتجزأ

(٦) ص ٢٠٠ فصوص

حصل لها ، كما قلنا^(١) . قال : « وكان قرة عين لفرعون^(٢) بالإيمان الذي أعطاه الله عند الفرق ، فقبضه طاهراً مطهراً ، ليس فيه شيء من الخبث ؛ لأنه قبضه عند إيمانه قبل أن يكتسب شيئاً من الآثام ، والإسلام يجب ما قبله ، وجعله آية على عنايته سبحانه وتعالى بمن شاء ، حتى لا ييأس أحد من رحمة الله ، فإنه لا ييأس من رَوْح الله إلا القوم الكافرون^(٣) .

(١) في الأصل : كما شهد لها به رسول الله صلى الله عليه وسلم . . . وهو كما أثبتته في الفصوص

(٢) بهامش الأصل ورد ما يأتي : « وفي التنزيل قالت امرأة فرعون (قرة عين لي ولك) إلا ولي « كذا » سمعه فرعون ، قال : قرة عين لك ، وأما لي ، فلا . وفي الحديث : « والذي يحلف به لو أقر فرعون بأنه يكون له قرة عين كما أقرت امرأته لهداه الله عز وجل به ، كما هداها ولكن الله سبحانه حرمه ذلك » - كذا في بعض التفاسير .

وأقول : الذي في تفسير ابن كثير : « فأنت - أي امرأة فرعون - فقالت : قرة عين لي ولك ، فقال فرعون : يكون لك ، فأما لي ، فلا حاجة لي فيه ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : والذي يحلف به ، لو أقر فرعون أن يكون له قرة عين كما أقرت لهداه الله كما هداها ، ولكن حرمه ذلك » ثم قال ابن كثير : « وهو موقوف من كلام ابن عباس ، وليس فيه مرفوع إلا قليل منه ، وكأنه تلقاه ابن عباس رضى الله عنهما مما أيسح نقله من الإسرائيليات عن كعب الأحبار ، أو غيره » وياويل المسلمين من كعب الأحبار ، والكعوب الكثيرين من أمثاله اليوم !

(٣) ص ٢٠١ فصوص . وقد جاء بهامش الأصل « أخرج الترمذى عن ابن عباس رضى الله عنهما مرفوعاً : أتى النبي صلى الله عليه وسلم قال - لما أغرق الفرعونى : قال : آمنت أنه لا إله إلا الذى آمنت به بنو إسرائيل ، قال جبريل : يا محمد ، فلو رأيتنى وأنا آخذ من حال البحر فأدسه فى فيه مخافة أن تدركه الرحمة » أقول : الحديث رواه كذلك أحمد عن ابن عباس ، ونصه : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما قال فرعون : آمنت أنه لا إله إلا الذى آمنت به بنو إسرائيل - قال : قال لي جبريل : لو رأيتنى ، وقد أخذت من حال البحر فدسسته فى فيه مخافة أن =

رد هذه القرية

هذا نصه بحروفه مع العلم الضروري لكل من شَمَّ راحة العلم من المسلمين وغيرهم أن فرعون ما نطق بالإيمان إلا عند رؤية البأس ، وتصريح الله تعالى في غير آية من كتابه العزيز بأنه لا ينفع أحداً إيمانه عند ذلك ^(١) ، وأن ذلك سنة الله التي قد خلت ، ولن تجد لسنة الله تحويلاً ، وقوله في دعاء موسى عليه السلام (١٠ : ٨٨ فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الأليم) مع قوله تعالى . (١٠ : ٨٩ قد أجيبت دعوتكما) وقوله تعالى مُنْكَرًا عَلَيْهِ ^(٢) : (١٠ : ٩١ الآن وقد عصيت قبلُ ، وكنت من المفسدين) وقوله : (٢٣ : ٤٨ فكذبوها ، فكانوا من المهلكين) [٣٤] وقوله تعالى : (١٠ : ٨٣ وإن فرعون لعالٍ في الأرض وإنه لمن السرفين) ، (٤٠ : ٤٣ وأن السرفين هم أصحاب النار) المنتج ^(٣) قطعاً أن فرعون من أصحاب النار . وأما السنة ، فقد روى عبد الله بن عمر رضى الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم ذكر الصلاة يوماً ، فقال : « من حافظ عليها كانت

== تناله الرحمة » ورواه ابن جرير وابن أبي حاتم من حديث حماد بن سلمة ، وقال الترمذى : حديث حسن . وانظر ابن كثير في تفسير الآية

(١) ورد بهامش الأصل ما يأتى : « وفي ذلك قوله تعالى : (٦ : ١٥٨ يوم يأتى بعض آيات ربك لا ينفع نفساً إيمانها ، لم تكن آمنت من قبل ، أو كسبت في إيمانها خيراً ، قل : انتظروا . إنا منتظرون) . . والآية في هامش الأصل مبتورة الكلمات .

(٢) أى على فرعون إيمانه حين أدركه العرق

(٣) فاعل المنتج ضمير يعود على محذوف تقديره : القياس ، فال مؤلف طوى في كلامه قياساً منطقياً من الشكل الأول صورته : فرعون مسرف ، كل مسرف من أصحاب النار ، وهذا ينتج قطعاً : فرعون من أصحاب النار ، دليل القضية الصغرى قوله تعالى (١٠ : ٨٣ وإن فرعون لعالٍ في الأرض وإنه لمن السرفين) ودليل الكبرى (٤٠ : ٤٣ وأن السرفين هم أصحاب النار)

له نوراً وبرهاناً ونجاة يوم القيامة ، ومن لم يحافظ عليها لم يكن له نور ، ولا برهان ولا نجاة وكان يوم القيامة مع فرعون وهامان ، وقارون ، وأبى بن خلف » قال الحافظ المنذرى : رواه أحمد بإسناد جيد والطبرانى فى الكبير والأوسط ، وابن ماجه في صحيحه ، وقال الإمام أبو العباس ابن تيمية فى الفتوى التى أجاب فيها الشيخ سيف الدين بن عبد المطلب بن بليان السعودى : « ويكفيك معرفة بكفرهم - يعنى ابن عربى وأتباعه - أن أخف أقوالهم : أن فرعون مات مؤمناً ، وقد علم بالاضطرار عن دين أهل الملل المسلمين واليهود والنصارى أن فرعون من أكفر الخلق بالله .

سؤال فرعون وجواب موسى

ثم قال ابن عربى : « وهنا سرٌ كبير ، فإنه - أى موسى عليه السلام أجاب بالفعل لمن سأله عن الحد الذاتى ^(١) - أى بقوله : وما رب العالمين ، فجعل الحد

(١) الحد الذاتى هو أتم أقسام التعريف ، إذ يتركب من الذاتيات المشتركة ، والذاتيات الخاصة ، أو كما يعبر المناطق : من الجنس والفصل القريين ، وبهذا الحد تعرف ماهية الشيء وحقيقته ، كما إذا أردنا تعريف المربع ، فإننا نقول : هو شكل رباعى أضلاعه متساوية ، وزواياه قائمة . وابن عربى فى حديثه عن المحاوراة بين موسى عليه السلام ، وبين فرعون ، يقول : إن فرعون سأل موسى عن الحد الذاتى لله ، أى عن حقيقته وماهيته . وهذا صحيح . فالسؤال بـ « ما » سؤال عن الماهية . بيد أن ابن عربى - وقد ذكر طرفاً من حق - بنى عليه باطلاً ، بما نسبته زوراً إلى موسى فى جوابه عن سؤال فرعون ، وقبل أن نبين هذا الذى بهت به الزنديق نبي الله ، نعرض عليك ما فسر به الزعشرى سؤال فرعون وجواب موسى ، فقد أجاد الزعشرى القول فى نبأغة من الفهم : « وهذا السؤال » يعنى سؤال فرعون لموسى بقوله : ما رب العالمين « لا يخلو : إما أن يريد به : أى شيء هو من الأشياء التى شوهدت ، وعرفت أجناسها ؟ فأجاب - أى موسى - بما يستدل به عليه من أفعاله الخاصة ، ليعرف أنه ليس بشيء مما شوهد وعرف من =

الذاتى عين إضافته إلى مظهر به من صور العالم ، أو مظهر فيه من صور العالم ، فكأنه قال فى جواب قوله : وما رب العالمين . قال : الذى تظهر فيه صورة

الأجرام والأعراض ، وأنه شيء مخالف لجميع الأشياء ، ليس كمثله شيء ، وإما أن يريد به — أى بسؤاله — أى شيء هو على الإطلاق ؟ ! تفتيشا عن حقيقة الخاصة ما هى ؟ فأجاب بأن الذى إليه سبيل — وهو الكافى فى معرفته — معرفة ثباته بصفاته ، استدلالا بأفعاله الخاصة على ذلك ، وأما التفتيش عن حقيقة الخاصة التى هى فوق فطر العقول ، فتفتيش عمالا سبيل إليه ، والسائل عنه متعنت غير طالب للحق ، والذى يليق بحال فرعون ، ويدل عليه الكلام أن يكون سؤاله هذا إنكارا لأن يكون للعالمين رب سواء ، لادعائه الإلهية ، فلما أجاب موسى بما أجاب عجب قومه من جوابه ، حيث نسب الربوبية إلى غيره ، فلما تفتش بتقريره ، جنته إلى قومه ، وطنز به « أى سخر واحتدم غيظا » حيث سماه : رسولهم ، فلما ثلث بتقرير آخر ، احتد واحتدم ، وقال : لئن اتخذت إلها غيرى . وهذا يدل على صحة هذا الوجه الأخير » انتهى من الكشف للزنجشى . غير أن الزندىق ابن عربى يفسر جواب موسى عليه السلام بما يتفق وهوى ذنوقته ، وأسطورة الوحدة ، إذ يزعم أن جواب موسى على سؤال فرعون : ما رب العالمين ؟ ! هو : الذى تظهر فيه صورة العالمين ، من علو — وهو السماء — وسفل — وهو الأرض — ثم يقول بعد : فلما جعل موسى المسئول عنه عين صور العالم ! ! فتأمل كيف يفهم الزندىق ، وكيف يجعل الحق باطلا هذا العريد الخبل ! ! أية صلة بين ما نسبته إفسكا وبهتاننا وزورا إلى موسى عليه السلام ، وبين ما أجاب به موسى من إشراق الحق والإيمان والتوحيد ؟ ! وهو قوله : رب السموات والأرض ، وما بينهما ، وقوله : ربكم ورب آبائكم الأولين ، وقوله : رب المشرق والمغرب وما بينهما . يجيب موسى بأن الله وحده رب كل شيء ، فيفتري الزندىق على موسى بأنه أجاب : إن الله عين كل شيء ، وهكذا يفهم الصوفية — سلفا وخلفا — كتاب الله ، وبمثل هذا الألفى الجهوسى يفسرون آيات الله ، ومع هذا ما زلت تجد الأخبار مهطعين أذلاء لأبالسة التصوف ، بل تجد قوما منهم يفخرون بأنهم أخذوا العهد على الأحداث من مخايل التصوفة المأفونين .

العالمين من علو - وهو السماء - وسفل - وهو الأرض - إن كنتم موقنين^(١)

فرعون عند الصوفية رب موسى وسيده

ثم قال : « فلما جعل موسى المسئول عنه عين [صور] العالم^(٢) خاطبه فرعون بهذا اللسان - والقوم لا يشعرون - فقال [له] : (٢٦ : ٢٩) لئن اتخذت إلها غيري لأجعلنك من المسجونين) والسين في السجن من حروف الزوائد^(٣) »
أى : لأسترنك ، فإنك أحببت بما أيدتنى به ، أن أقول لك مثل هذا القول .
فإن قلت لى : فقد جهلت يا فرعون بوعيدك إياى - والعين واحدة - فكيف فرقت ؟ فيقول فرعون : إنما فرقت المراتب العين^(٤) . ماتفرقت [العين] ، ولا انقسمت فى ذاتها ، ومرتبتي الآن التحكم فيك يا موسى بالفعل ، وأنا أنت بالعين ، وغيرك بالرتبة^(٥) » - ثم قال : « ولما كان فرعون فى منصب التحكم

(١) ص ٢٠٨ فصوص الحكم

(٢) من أين جاء الزنديق بهذا البهتان ؟ وجواب موسى مبدوء فى كل مرة بتقرير ربوبية الله وحده !! ولكنها الجرأة الوقاح التى لا تحفل بدين ولا لغة ولا عقل ، ولا عرف عام أو خاص

(٣) بل السين فى هذه الكلمة حرف أصلى ، مثلها فى ستر ، وسبح ، وسبك ولكن ابن عربى - وقد افترى على الله الكذب كله - لا يعجزه أن يفترى على اللغة
(٤) فى الأصل : العين بالضم على اعتبار أنها فاعل فرقت . وهو خطأ صوته من الفصوص . ويزعم الزنديق أن موسى قال لفرعون : كيف تتوعدنى ، وأنت تعلم أن ذاتى هى ذاتك ، وهويى هويتك ، لأننى وإياك عين الذات الإلهية ، وفى وعيدك إياى إشعار لى بأنك تفهم أنى غيرك ، فكيف تفرق بين الرب وبين نفسه ؟
فقال فرعون : نعم أنا أنت يا موسى فى الحقيقة لأننا عين الذات ، غير أن الرب المتعين فى له التحكم فى هويته التى تعينت فيك ، فأنا غيرك فى الرتبة ، وإن كنت أنا عينك فى الحقيقة

(٥) ص ٢٠٩ فصوص

صاحب الوقت^(١) ، وأنه الخليفة بالسيف ، وإن جار في العرف الناموسى ،
لذلك قال : (٧٩ : ٢٤ أنا ربكم الأعلى) أى : وإن كان الكل أرباباً بنسبة ما ،
فأنا الأعلى منهم ، بما أعطيته فى الظاهر من التحكم فيكم ، ولما علمت السحرة
صدقه فيما قاله ، لم ينكروه ، وأقروا له بذلك ، فقالوا له : (٧٢ : ٢٠) فاقض
ما أنت قاض ، إنما تقضى هذه الحياة الدنيا) فالدولة لك ، فصح قوله : أنا ربكم
الأعلى ، وإن كان عين الحق ، فالصورة لفرعون ، فقطع الأيدى والأرجل [٣٥]
وصلب بعين حق فى صورة باطل^(٢) ، لنيل مراتب لا تنال إلا بذلك الفعل
[فإن الأسباب لاسبيل إلى تعطيلها ، لأن الأعيان الثابتة اقتضتها ، فلا تظهر
فى الوجود إلا بصورة ما هى عليه فى الثبوت] ، إذ لا تبديل لكلمات الله ، وليس
كلمات الله سوى أعيان الموجودات^(٣) ، فينسب إليها القديم من حيث ثبوتها ،
وينسب إليها الحدوث من حيث وجودها وظهورها ، كما تقول : حدث اليوم

(١) عرف الصوفية صاحب الوقت بأنه : « هو المتحقق بجمعية البرزخية ، المطلع
على حقائق الأشياء ، الخارج عن حكم الزمان وتصرفات ماضيه ومستقبله إلى الآن
الدائم ، فهو ظرف أحواله وصفاته ، فذلك يتصرف فى الزمان بالطى والنشر ، وفى
المكان بالقبض والبسط ، لأنه المتحقق بالحقائق والطبائع فى القليل والكثير
والطويل والقصير والعظيم والصغير سواء ، إذ الوحدة والكثرة والمقادير كلها
عوارض ، فكما تصرف فى الوهم فيها ، كذلك فى العقل ، قصدق وافهم تصرفه
فيها فى الشهود والكشف الصريح ، فإن المتحقق بالحق ، المتصرف بالحقائق يفعل
ما يفعل فى طور وراء طور الحس والوهم والعقل ، ويتسلط على العوارض بالتغيير
والتبديل » جامع الأحوال فى الأولياء ط ١٣٢٨ للكمشخانى

(٢) يزعم أن فرعون حين صلب كان هو الله فى الحقيقة متعينا فى صورة باطلة
هى صورة خلقية سميت فرعون

(٣) أبى الزنديق إلا أن يكون كفره أشد خبثاً من كفر النصارى ، إذ زعموا
أن حكمة الله تجسدت فى عيسى ، وزعم هو أن أعيان الموجودات كلها هى
تجسيدات كلمات الله ، أو هى كلمات الله تعينت أجساداً ، أو هى هى الله سبحانه

عندنا إنسان ، أو ضيف ، ولا يلزم من حدوثه أنه ما كان له وجود قبل الحدث^(١) .

حكم من ينسب ربوبية إلى فرعون

قال الشيخ زين الدين العراقي : « قوله في قول فرعون : أنا ربكم الأعلى : أنه صح قوله ذلك ، مستدلاً عليه بأن السحرة صدقوه - كذب وافتراء على السحرة ، فلقد كذبوه ، وخالفوه ، ودعواه كاذبة ، وبها أخذ الله فرعون وأهلكه ، فقال تعالى حكاية عنه : (٧٩ : ٢٤ ، ٢٥ فقال : أنا ربكم الأعلى ، فأخذه الله نكال الآخرة والأولى) ثم قال : ولا شك أن من صح أنه قال هذا ، واعتقده ، مع وجود عقله ، وهو غيره مكره ، ولا يجبر الإيجاب المجوز للكفر ، فهو كافر ولا يقبل منه تأويلها على ما أراد ، ولا كرامة ، كما قدمنا ذكره ، وهذا ما لا نعلم فيه خلافاً بين العلماء بعلوم الشريعة المطهرة في مذاهب الأئمة الأربعة ، وغيرهم من أهل الاجتهاد والصحيح . والله أعلم . »

وهذا كما ترى مبطل لما يقوله بعضهم من الخرافات في تأويله ستر الكفر ، وأن المراد به : فرعون النفس ؛ لأنه نزل قوله على جلّ آيات القرآن جملة جملة ، ومن المقطوع به أن الله تعالى ما أنزل هذه الآيات إلا في فرعون موسى .

تحريم التأويل

ولهذا قال الفزّالى في الطامات من كتاب العلم من الإحياء - بعد تحريم التأويل بما لا تسبق الأفهام إليه - مانصه : « وبعض هذه التأويلات يعلم بطلانه قطعاً ، كتنازل فرعون على القلب ، فإن فرعون شخص محسوس تواتر إلينا وجوده ، ودعوة موسى عليه السلام له ، كأبى جهل ، وأبى لهب ، وغيرها من الكفار

وليس من جنس الشياطين والملائكة ، وما يدرك بالحس حتى يتطرق التأويل إلى ألفاظه^(١) ، انتهى .

رأى ولد العراقي في الفصوص والتائية

وقال الإمام ولي الدين أحمد العراقي^(٢) ابن الشيخ زين الدين المذكور في المسألة الحادية والعشرين من فتاويه المكية مانعه : « لاشك في اشتغال الفصوص المشهورة عنه على الكفر الصريح الذي لاشك فيه ، وكذلك فتوحاته المكية ، فإن صح صدور ذلك عنه ، واستمر إلى وفاته ، فهو كافر مُخَلَّدٌ في النار بلا شك ، وقد صح عندي عن الحافظ المزي^(٣) أنه نقل من خطه في تفسير قوله تعالى : (٢ : ٦) إن الذين كفروا سواء عليهم [أأنذرتهم ، أم لم تنذرهم لا يؤمنون] (كلاما ينبو عنه السمع ، ويقتضى الكفر ، وبعض كلماته لا يمكن تأويلها^(٤) ،

(١) الغزالي نفسه في كتبه المضمون بها على غير أهلها من أشد المفرطين الغالين في التأويل ، بل من أشدهم جرأة على تجريد الألفاظ من معانيها ، ثم تحميل الألفاظ معاني باطنية ، لا تقرها دلالة من الدلالات اللغوية

(٢) كنيته : أبو زرعة . ولد سنة ٧٦٢ هـ ، وتوفي سنة ٨٢٦ هـ

(٣) هو الحافظ الجليل يوسف بن الزكي عبد الرحمن بن عبد الملك ، أبو الحجاج جمال الدين . ولد سنة ٦٥٤ بالمقلية بظاهر حلب . سمع منه ابن تيمية — وقد أودى المزي بسببه — والدهي ، وابن سيد الناس . توفي سنة ٧٤٢

(٤) جاء بهامش الأصل : « قال — يعني ابن عربي — عليه من الله ما يستحق . قال الله تعالى : (إن الذين كفروا سواء عليهم أأنذرتهم ، أم لم تنذرهم لا يؤمنون ، ختم الله على قلوبهم ، وعلى سمعهم ، وعلى أبصارهم غشاوة ، ولهم عذاب عظيم) . . . إيجاز البيان فيه : يا محمد إن الذين كفروا ستروا محبتهم في عنهم ، فسواء عليهم أأنذرتهم بوعيدك الذي أرسلناك به ، أم لم تنذرهم لا يؤمنون بكلامك ، فإنهم لا يعقلون غيري ، وأنت تنذرهم بخلقى ، وهم ما عقولهم ، ولا شاهدوهم ، وكيف يؤمنون بك . وقد ختمت على قلوبهم . فلم أجعل فيها متسعا لغيري . وعلى سمعهم . =

والذى يمكن تأويله منها كيف يصار إليها مع مرجوحية التأويل ، وأن الحكم إنما يترتب على الظاهر ، وقد بلغني عن الشيخ علاء الدين القونوى - وأدركت أصحابه - أنه قال فى مثل ذلك : إنما يؤول كلام المعصومين ، وهو كما قال « - [٣٦] ثم ذكر كلام الذهبى ^(١) فيه ، وساق الأسانيد إلى ابن [عبد] السلام ^(٢) بما يأتى عنه من تكفيره ، ثم قال : « وأما ابن الفارض ، فالإتحاد فى شعره ، وأمرنا أن نحكم بالظاهر ، وإنما تؤول كلام المعصومين ، لكن علماء عصره من أهل الحديث رووا عنه فى معاجهم ، ولم يترجموه بشيء من ذلك ، فقال الحافظ زكى الدين عبد العظيم المنذرى ^(٣) فى معجمه : الشافعى الأديب ^(٤) سمع من

== فلا يسمعون كلاماً إلا منى . وعلى أبصارهم غشاوة من [بهائى عند] مشاهدتى . فلا يصرون غيرا . ولهم عذاب عظيم عندى أردم بعد هذا المشهد السنى إلى إنذارك . وأحجيتهم على كما فعلت بك بعد قاب قوسين أو أدنى [قرباً] وأنزلتك إلى من يكذبك . ويرد [ما جئت به إليه من] الكلام فى وجهك . وتسمع فى ما يضيّق به صدرك . فأين ذلك الشرح الذى شاهدته فى إسرائيل . فهكذا إيمانى على خلقى للذين أجنتهم رضائى ، فلا أسخط عليهم أبداً إلى آخر ما ذكره بنده ذكر ذلك فى الباب الخامس من الفتوحات المكية » انتهى .. وأقول : وقد راجعت هذا على الفتوحات ، وأثبت عنها ما سقط من كاتب الهامش ، ووضعته بين هذين [(١) هو الحافظ الجليل محمد بن أحمد بن عثمان أبو عبد الله شمس الدين الذهبى ولد سنة ٦٧٣ يقول عنه طاش كبرى زاده : كان إمام الوجود حفظاً ، وذهب العصر لفظاً ومعنى ، شيخ الجرح والتعديل ، ورجل الرجال فى كل سبيل . توفى سنة ٧٤٨ هـ

(٢) هو عبد العزيز بن عبد السلام أبو محمد عز الدين . ولد سنة ٥٧٨ ، ومن تلاميذه ابن دقيق العيد - وهو الذى لقب العز بسلطان العلماء - وتوفى سنة ٦٦٠ هـ (٣) ولد سنة ٥٨١ ومن مصنفاته مختصر سنن أبى داود - نشرته مطبعة السنة الحمديدية فى طبعة جيدة التحقيق والطبع - ومختصر مسلم ، والترغيب والترهيب . توفى سنة ٦٥٦ هـ

(٤) يعنى ابن الفارض

أبي القاسم ابن عساكر ، وحدث : سمعت شيثا من شعره . وقال الحافظ رشيد الدين العطار في معجمه : الشيخ الفاضل الأديب كان حسن النظم متوقد الخاطر ، وكان يسلك طريق التصوف ، وينتحل مذهب الشافعي ، وأقام في مكة مدة ، وصحب جماعة من المشايخ . . وقال الحافظ أبو بكر بن مسدي^(١) : برع في الأدب ، فكان رقيق الطبع ، عذب النبع ، فصيح العبارة ، دقيق الإشارة ، سلس القيادة ، نبيل الإصدار والإيراد ، وتصرف فتصوف ، فكان كالروض الموقوف ، وتحلق بالزى ، وتزيا بالخلق ، وجمع كرم النفس كل مفترق . انتهى كلام الشيخ ولي الدين . وما قاله هؤلاء الأئمة ليس فيه مناقضة لكلامه أولا في الحكم عليه بالاتحاد ، فإنهم لم يقضوا على التائية ونحوها ، وأما قوله : إن صح ذلك عنه ، فهو على طريق من يعتبر في الكتب المشهورة إسنادا خاصا ، وهي طريقة غير مرضية^(٢) ، والصحيح أنها لا تحتاج إلى ذلك ، بل الشهرة كافية^(٣) ، والله الموفق .

رأى السكوتى

وقال الإمام أبو على ابن خليل السكوتى في كتابه : تحت العوام ، فيما يتعلق

(١) هو محمد بن يوسف الأزدي القرناطى قتل بمكة سنة ٦٦٣ . قال عنه الذهبي : « له أوهام ، وفيه تشيع ، ورأيت جماعة يضعفونه »
(٢) في الأصل : غير ضية .

(٣) ثبوت نسبة التائية إلى ابن الفارض حقيقة لا ينتطح فيها عريان . ونحن لا يعيننا كونها له ، أو لغيره ، مادام الصوفية أنفسهم ، يقرون بنسبتها إليه ، ويدنون بما فيها ، بل ما سموه سلطان العاشقين إلّا بها ، ويؤمنون بأنها أروع تعبير عن الحب الإلهى الذى يحمل الحب عين الحب وعين الحبيب ، ولكن ليغضب الصوفية لسلطان عاشقهم ما شاءوا ، وليتهموا منتقديه بعمى البصيرة ، فكل هذا الدوى الراعد الجبابة لن يضيع دوى الحق معلنا فى قوة وشجاعة وإيمان أن تصوف ابن الفارض ما هو إلّا أخبث تعبير عن الزندقة

بعلم الكلام . بعد أن حذر من ابن عربي وأتباعه ، فقال : « وليحترز من مواضع كثيرة من كلام ابن عربي الطائى فى فصوصه وفتوحاته المكية ، وغيرها وليحترز أيضا من مواضع كثيرة من كلام ابن الفارض الشاعر وأمثاله ، مما يشيرون بظاهره إلى القول بالحلول والاتحاد ، لأنه باطل بالبراهين القطعية - ثم قال : وكل كلام وإطلاق يوم الباطل ، فهو باطل بالإجماع ، فأحرى وأولى بطلانه إذا كان صريحا فى الباطل ، فإن قالوا : لم نقصد بكلامنا ورموزنا وإشاراتنا الاتحاد ، والحلول ، وإنما قصدنا أمرا آخر يفهم عنا ، قلنا لهم : الله أعلم بما فى الضمائر ، وما يخفى فى السرائر ، وإنما اعترضنا نحن الألفاظ والإطلاقات التى تظهر فيها الإشارات إلى الإلحاد ، والحلول ، والاتحاد ^(١) » انتهى .

حكم من يؤول للصوفية كلامهم

والفيصل فى قطع التأويل من أصله أن محقق زمانه وصالحه علاء الدين محمد البخارى الحنفى ذكر عنده ابن عربى هذا ، فقال قاضى المالكية إذ ذاك شمس

(١) الذى لا يحاسب على ما ينطق به هو المكروه ، أو المجنون ، وهؤلاء ليسوا بمكرهين ، فما ثم من يكرههم على الزندقة ، بل كان ثم من يكرههم على الإيمان ، فلم يحاولوا . وليسوا بمجانين . بإقرار عابديهم ، وبديل تلك الأمة المستلثة فى الكيد للإسلام ابتغاء خرف الأمة عنه ، وابتغاء تمجيد الوثنية والإباحية ، وإعلاء شهواتهما . كل هذا وهم يلبسون مسوح القديسين والزهاد ، زاعمين أنهم الأرواح للطلقة التى تغرد فى أقدماس الجمال المطلق . فلم يبق إلا أن يكون لهم باعث وقاية ، تلك هى القضاء على الإسلام . ألم تر إلى الزنادقة ، كيف يلهون فى دعوة الناس إلى عبادة القبور ، والضراعة إلى الرمم ؟ وكيف لا يشغلون ليايلهم الساهرة على الإلحاد إلا بهذا ، ولا الناس معهم إلا بتلك الوثنية . كل هذا ليدكوا - وما هم بياليه - أساس الإسلام للتين ، وهو التوحيد ؟

الدين محمد البساطي^(١) : يمكن تأويل^(٢) كلامه . فقال له البخاري : كبرت . وسلم له أهل عصره ممن كان في مجلسه ، ومن غيرهم ، وما طعن أحد منهم فيه بكلمة واحدة ، وقد كان منهم حافظ العصر قاضي الشافعية بها شهاب الدين أحمد ابن [٣٧] حجر ، وقاضي القضاة زين الدين عبد الرحمن التفهني ، وقاضي القضاة محمود العيني الحنفي ، والشيخ يحيى السيرامي الحنفي ، وقاضي القضاة محب الدين أحمد بن نصر الله البغدادي الحنبلي ، وزيد الدين أبو بكر القمني الشافعي ، وبدر الدين محمد بن الأمانة الشافعي ، وشهاب الدين أحمد بن تقي المالكي^(٣) ، وغيرهم من العلماء والرؤساء ، وما خلاص البساطي من ذلك إلا بالبراءة من اعتقاد الاتحاد ، ومن طائفة الانحادية ، وتكفيره لمن يقول بقولهم .

(١) هو محمد بن أحمد بن عثمان أبو عبد الله شمس الدين . ولد سنة ٧٦٠ هـ وتولى القضاء بمصر عشرين سنة . توفي سنة ٨٤٢ هـ

(٢) في محاولة الدفاع عن الصوفية بالتأويل حجة بالغة على أن كلام الصوفية يخالف الحق من الكتاب والسنة ، وإلا ما لجأ أحلاسهم إلى دعوى إمكان التأويل

(٣) هو كما يقول صاحب الشذرات : شيخ الإسلام علم الأعلام حافظ العصر شهاب الدين أبو الفضل الشهير بابن حجر نسبة إلى آل حجر السكناني العسقلاني الأصل المصري المولد والدار والنشأة والوفاة . ولد سنة ٧٧٣ هـ وتوفي سنة ٨٥٢ هـ والتفهني نسبة إلى تفهني قرية بمصر . ولد سنة ٧٦٥ هـ تقريبا ، وتوفي سنة ٨٣٥ هـ والعيني ولد سنة ٧٦٢ هـ تولى منصب قاضي قضاة الحنفية بمصر توفي سنة ٨٨٥ هـ والسيرامي شيخ الشيوخ بمدرسة الظاهر برقوق . ولد قبل الثمانين وسبعائة وتوفي سنة ٨٣٣ هـ . والبغدادي كان شيخ الحنابلة في عصره ومفتي الديار المصرية ولد سنة ٧٦٥ هـ . وتوفي سنة ٨٤٤ هـ

والقمني ولد سنة ٧٥٨ هـ ولى تدريس الصلاحية بالقدس والمنصورية والشريفية وتوفي سنة ٨٣٣ هـ .

والتقي للمالكي ولد بفوة سنة ٧٨٥ هـ تقريبا . وتوفي سنة ٨٤٢ هـ

أوهام الصوفية في الحكم بإيمان فرعون

ثم قال ابن عربى : « وأما قوله : (٤٠ : ٨٥ فلم يك ينفعهم إيمانهم لما رأوا بأسنا ، سنة الله التى قد خلت فى عباده) ، (إلا قوم يونس^(١)) فلم يدل ذلك على أنه لا ينفعهم فى الآخرة ، بقوله فى الاستثناء : إلا قوم يونس . فأراد أن ذلك لا يرفع عنهم الأخذ فى الدنيا ، فلذلك أخذ فرعون مع وجود الإيمان منه^(٢) »
ثم قال : « فأمن بالذى آمنت به بنو إسرائيل على التيقن بالنجاة ، فكان كما تيقن ، لسكن على غير الصورة التى أراد ، فنجاه الله من عذاب الآخرة فى نفسه ، ونجى بدنه ، كما قال تعالى : (١٠ : ٩٢ فاليوم ننجيك بيدك] لتكون لمن خلفك آية) لأنه لو غاب بصورته ربما قال قومه : احتجب ، فظهر بالصورة المعهودة ممتا ، ليعلم أنه هو [فقد عمته النجاة حساً ومعنى ، ومن حقت عليه كلمة العذاب الأخرى^(٣) لا يؤمن ، ولو جاءت كل آية (حتى يروا العذاب الأليم) أى يذوقوا العذاب الأخرى^(٤) ، فخرج فرعون من هذا الصنف . هذا هو الظاهر الذى ورد به القرآن ، ثم إنا نقول بعد ذلك : والأمر فيه إلى الله ، لما استقر فى نفوس عامة الخلق من شقائه ، وما لهم نص فى ذلك يستندون إليه^(٥) » انتهى - وقد تقدم النص المنتج قطعاً بديهية أنه من أهل النار . ثم قال : « ثم لتعلم^(٦) أنه

(١) يعنى قوله سبحانه : (١٠ : ٩٨ فلولا كانت قرية آمنت ، ففنعها إيمانها إلا قوم يونس . لما آمنوا كشفنا عنهم عذاب الخزي فى الحياة الدنيا ، ومتعناهم إلى حين)

(٢) ص ٢١١ فصوص

(٣) ، (٤) فى الأصل : الأخرى

(٥) ص ٢١٤ فصوص ، وليس بعجيب أن ينكر الزنديق وجود نص فى القرآن يدل على أن فرعون من أصحاب النار ! ! وقد ذكر فى هذا النص نفسه أن فرعون هو الرب الأعلى ، وأنه أعظم من موسى
(٦) فى الأصل : وليعلم

ما يقبض الله أحداً إلا وهو مؤمن، أى مصدق بما جاءت به الأخبار الإلهية، أعنى من المحتضرين ، ولهذا يُكرَّم الموت الفجاءة ، وقتل الغفلة ^(١) » ثم قال : « وأما حكمة التجلى والكلام فى صورة النار ، فلأنها كانت بغية موسى ، فتجلى له فى مطلوبه ^(٢) » ثم قال : كنار موسى، رآها ^(٣) حين حاجته وهو الإله، ولكن ليس يدريه .

افتراء على الرسول صلى الله عليه وسلم

وقال فى فص حكمة فردية فى كلمة ^(٤) محمدية : « وإنما حجب إليه النساء ، فحَنَّ إليهن ؛ لأنه من باب حنين السكلى إلى جزئه ^(٥) ، فأبان بذلك عن الأمر

(١) ، (٢) ص ٢١٢ فصوص

(٣) فى الأصل : يراها

(٤) نسبة لا إلى محمد صلى الله عليه وسلم ، بل إلى الحقيقة المحمدية التى يزعم الصوفية أنها هى الذات مع التعيين الأول ، وأنها هى اسم الله الأعظم ، وإذا كان كل شئ عند الصوفية هو أحد تعيينات الذات الإلهية ، فإن محمدهم - وحاشا رسولنا الأمين صلى الله عليه وسلم - هو صور الحق كلها ، لتحقيقه بالحقيقة الأحادية والواحدية (٥) محمد كما سبق هو صور الحق كلها عند الصوفية ، والنساء عند الصوفية هن أجمل تعيينات الذات الإلهية ، لهذا حن محمد الذى هو السكلى إلى بعض تعييناته أو أجزائه ، هكذا يصور الصوفية العلاقة بين ربهم المتعين فى محمد ، وبين ربهم المتعين فى صور النساء ، ولحب عندهم ناحيتان . إحداهما شوق الحق إلى الخلق ، وأخرهما : شوق الخلق إلى الحق ، وشوق الحق له اعتباران أو مظهران . أحدهما : اشتياقه إلى الظهور بعد البطون ، أو التقييد بعد الإطلاق ، وهذا يكون بتعيينه فى صور بدنية عنصرية . وأما آخرهما . فاشتياقه إلى العودة إلى الإطلاق ، أو التجرد بعد التعيين ، فربهم دائماً مشدود العاطفة بين الإطلاق ، وبين التصيد ، أو بين المرتبتين : الحقية والخلقية . أما شوق الخلق إلى الحق فله مظهر أو اعتبار واحد ، هو التجرد من الصور الخلقية ، ليعود حقاً ، أو وجوداً مطلقاً كما كان قبل تعيينه ، وليس اشتياق أحدهما اشتياق الشئ إلى غيره ، بل إلى نفسه ، ودائماً ترى زعماء =

في نفسه من جانب الحق في قوله في هذه النشأة الإنسانية العنصرية : ونفخت فيه من روحي . ثم وصف نفسه بشدة الشوق إلى لقائه ، فقال للمشتاقين : ياداوود إني أشد شوقاً إليهم^(١) .

التلث عند الصوفية

ثم ذكر العبد المؤمن ، وأنه لا يرى ربه إلا بعد الموت ، فاشتاق الحق لوجود هذه النسبة ، يعنى رؤية المؤمن له تعالى بالموت ، ثم قال : « فلما أبان أنه نفخ فيه من روحه ، فما اشتاق إلا إلى نفسه ، ألا تراه خلقه على صورته ، لأنه من روحه ، ولما كانت نشأته من هذه الأركان الأربعة المسماة [٣٨] في جسده^(٢) أخلاطاً حدث عن نفخة اشتعال بما في جسده من الرطوبة ، فكان روح الإنسان ناراً ، لأجل نشأته ، ولهذا ما كلم الله تعالى موسى إلا في صورة النار] وجعل حاجته فيها ، فلو كانت نشأته طبيعية ، لكان روحه ناراً] ، وكفى عنه بالنفخ يشير إلى أنه من نفس الرحمن^(٣) ، فإنه بهذا النفس الذي هو النفخة ظهر عينه [وباستعداد المنفوخ فيه كان الاشتغال ناراً لا نوراً] فبطن نفس الرحمن فيما كان

== الصوفية يلهجون بذكر النساء ، ويرونهن أكل وأجل وأتم تعينات الذات الإلهية ومجالها ، كما رأيت من ابن الفارض وابن عربي ، وكما سترى بعد . وهذا يجعلك تؤمن بأن هناك في أعماق التصوف حيواناً ضارباً يستعبده الشبق والغلة الداعرة ، ويستعلن دائماً بالصريح الملتب عما يزلزله من رجفات الشهوات العارمة ، وينزو بعربده على كل مقدسات الدين ومحارم الفضيلة ، وتؤمن كذلك أن من مقومات التصوف عبادة المرأة ، وتعرف عن يقين لماذا يبحث الصوفية عن درويزات يسلكن معهم طريق القوم !!

(١) ص ٢١٥ فصوص

(٢) في الأصل : حده

(٣) في الأصل : الحق

[به] الإنسان إنساناً ، ثم اشتق له [منه] شخصاً على صورته سماه : امرأة ، فظهرت بصورته ، فحن إليها حنين الشيء إلى نفسه ، وحنن إليه حنين الشيء إلى وطنه ، فحببت ^(١) إليه النساء ، فإن الله أحب من خلقه على صورته ، وأسجد له ملائكته [النوريين على عظم قدرهم ومنزلتهم ، وعلو نشاطهم الطبيعية] فمن هناك وقعت المناسبة ، والصورة أعظم مناسبة ، وأجلها وأكملها ، فإنها زوج أى شفعت وجود الحق ، كما أن هناك المرأة شفعت بوجودها الرجل ، فصيرته زوجاً ، فظهرت ^(٢) الثلاثة : حق ورجل وامرأة ^(٣) . فحن الرجل إلى ربه الذى هو أصله حنين المرأة إليه ، فحبب إليه ربه النساء ، كما أحب الله من هو على صورته ^(٤) « انتهى وقد علم من هنا قطعاً أنه يريد بالصورة فى خلق آدم على صورته معناها المتعارف ^(٥) !!

رب الصوفية امرأة

ثم قال : « فإذا شاهد الرجل الحق فى المرأة كان شهوداً فى منفعل ، وإذا شاهده فى نفسه من حيث ظهور المرأة عنه شاهده فى فاعل ، وإذا شاهده فى نفسه من [غير] استحضار صورة ما كان شهوداً ^(٦) فى منفعل عن الحق بلا واسطة ، فشهوده للحق فى المرأة أتم وأكمل ، لأنه يشاهد الحق من حيث هو فاعل

(١) ، (٢) فى الأصل : فحبت - ظهره .

(٣) هذا هو التثليث عند ابن عربى ، وهو بعض ما استمده من المسيحية للفلسفة ، بيد أنه زاد الكفر شناعة ، فقال بثالوث هو « حق ورجل وامرأة » الثلاثة إله واحد

(٤) ص ٢١٦ فصوص

(٥) لا بل يريد بالصورة غير هذا ، يريد بها هوية الذات ، يعنى أن هوية آدم وماهيته عين هوية الحق وماهيته
(٦) فى الأصل : شهوده

منفعل^(١) ، ومن نفسه من حيث هو منفعل خاصة ، فلماذا أحب صلى الله عليه وسلم النساء ؟ لسكمال شهود الحق فيهن ، إذ لا يشاهدُ الحق مجرداً عن المواد أبداً^(٢) ، فإن الله بالذات غنى عن العالمين ، وإذا^(٣) كان الأمر من هذا الوجه ممتنعاً ،

(١) الرجل والمرأة عند ابن عربي صورتان من صور الله ، يعنى حقيقة تتجلى في صورتى رجل وامرأة ، وفي حال الواقعة يسمى الرجل فاعلاً ، والمرأة منفعله . ويدين الزنديق بأن ربه فاعل منفعل معاً ، فهو فاعل لتعينه في صورة رجل ، وهو منفعل لتعينه في صورة امرأة مع رجل . ولما كانت المرأة - هكذا يصور الزنديق - تعتبر فاعلة ، لشدة تأثيرها في الرجل في تلك الحال العاصفة بالشهوة ، فإن شهود الإله الصوفى في المرأة المهلك أنتم وأكمل ، إذ يشاهد فيها في صورة فاعل ومنفعل . وهنا يبدو خطر التصوف الجامع على الخلق والعرض والأمة ، ماذا يفعل الصوفى وهو يؤمن أن المرأة هي أنتم وأكمل مجالى الإله ؟ ماذا سيحدث منه وهو يوقن أن ربه امرأة يواقعها رجل ؟ ! اعفنى من الجواب ، لأنك ستدرك الجواب ، ستدرك أن التصوف دعوة ملحة إلى الإباحية المأجنة ! ! وهذا يؤكد لك ما قررته من قبل ، وهو أن لحيوان الشهوة العربد في أعماق ابن عربي أثراً بعيداً في تصوفه ، فقد تدله - وهو بمكة حين زارها سنة ٥٩٨ هـ - بحب غانية هي ابنة الشيخ مكين الدين الأصفهاني ، ولكنها لم تهدهد من نزواته الفواجر ، ولم ترد غلة ذنبه الظامىء إلى الدم ، فنظم - يستدرجها إلى الفجوة - فيها ديوان شعره السمى : ترجمان الأشواق ، وابن عربي نفسه يقر بأنه نظم ديوانه هذا تشبيهاً بتلك الغانية القتل ، وحين عصفت الفضيحة بهواه ، فرها ربا من مكة ، حتى لا يجابه عار الفضيحة ، بيد أن الهوى ظل يعصف به ، ويلهبه . وثمت نفس عن جحيمه بخيالات زندقته ، فراح يصور ربه في صورة امرأة ، ويزعم أنه يتجلى - أجل وأحلى ما يتجلى - في صورة امرأة تقترف . كل هذا من أجل امرأة لم تستطع شهوته أن تفرس منها اللحم ، وتغرق العظم

(٢) أى لا بد للإله الصوفى من جسد يتعين فيه ، فتأمل ! !

(٣) في الأصل : فإذا

ولم تكن الشهادة إلا في مادة ، فشهود الحق في النساء أعظم الشهود ^(١) وأكمله [وأعظم الوصلة النكاح ^(٢)] وهو نظير التوجه الإلهي على من خلقه على صورته ، ليخلفه ، فيرى فيه نفسه ، فسَوَاهُ ، وَعَدَلَهُ ، ونفخ فيه من روحه الذي هو نفسه ، فظاهره خلق ، وباطنه حق ^(٣) .

وهذا يدل على أن الإله عنده كالسكى الطبيعى ^(٤) ، لا وجود له إلا في ضمن جزئياته ، والله الموفق .

ثم قال : « فمن أحب النساء على هذا الحد ، فهو حب إلهي ، ومن أحبهن على جهة الشهوة الطبيعية خاصة نقصه علم هذه الشهوة ، فكان صورة بلا روح عنده ، وإن كانت تلك الصورة في نفس الأمر ذات روح ، ولكنها غير مشهودة لمن جاء لامرأته ، أو لأنثى حيث كانت مجرد الالتذاذ ، ولكن لا يدري : لمن ؟ ! فجعل من نفسه ما يجهل الغير منه مالم يسمه هو بلسانه حتى يعلم ، كما قال بعضهم :
صح عند الناس أنى عاشق غير أن لم يعرفوا عشقى لمن

كذلك هذا . أحب الالتذاذ ، فأحب [٣٩] الحل الذى يكون فيه ، وهو المرأة ، ولكن غاب عنه روح المسألة ، فلو علمها ، لعلم بمن التذ ، ومن التذ ؟ ^(٥) وكان كاملا ، وكما نزلت المرأة عن درجة الرجل بقوله : (٢ : ٢٨٨

(١) في الأصل : شهود

(٢) يعنى به : ماله من معنى في أذهان العامة ، لا الزواج

(٣) ص ٢١٧ فصوص الحكم

(٤) السكى هو ما لا يمنع نفس تصويره من وقوع الشركة فيه ، كالإنسان ، ويسمى كليا طبيعيا باعتبار وجوده في الخارج أى في الطبيعة ، والسكى الطبيعى جزء جزئيه ، فلا وجود له إلا في ضمن جزئياته ، أعنى ليس له وجود خاص به ، قائم بذاته ، وإنما يوجد بوجود أفراد . وهكذا الإله الصوفى .

(٥) يقول : لو تأمل الرجل الملتذ بالمرأة ، لعلم أنه ليس مع امرأة ، بل مع الإله الصوفى ، وأنه ليس هو الملتذ ، بل الإله الذى تعين فيه ، وأعتذر للقراء عن =

والرجال عليهن درجة) نزل المخلوق على الصورة عن درجة من أنشاء على صورته ، مع كونه على صورته ، فبتلك الدرجة التي تميز عنه بها كان غنياً عن العالمين ، وقاعلاً أولاً ، فإن الصورة فاعل ثان ، فإله الأولية التي للحق ، فتميزت الأعيان بالمراتب ، فأعطى كل ذي حق حقه كل عارف ، فلهذا كان حب النساء لمحمد صلى الله عليه وسلم عن تحبب إلهي [وأن الله أعطى كل شيء خلقه ، وهو عين حقه ، فما أعطاه إلا باستحقاق استحققه بسماء أي بذات ذلك المستحق] وإنما قدم النساء - أي في قوله صلى الله عليه وسلم - [حبيب إلى من الدنيا] النساء والطيب ، وجعلت قرّة عيني في الصلاة ^(١) . . . لأنهن محل الانفعال كما تقدمت الطبيعة على من وجد منها بالصورة ، وليست الطبيعة على الحقيقة إلا النفس الرحمانى ، فإن فيه انفتحت صورة العالم أعلاه وأسفله ^(٢) .

الأنوثة صفة الإله الصوفي

ثم قال : إنه عليه الصلاة والسلام غلب في هذا الخبر التأنيث على التذكير ، لأنه قصد التهميم بالنساء فقال : ثلاث ، ولم يقل : ثلاثة بالهاء الذي هو لعدد الذكران ؛ إذ فيها ذكر الطيب ، وهو منكر ، وعادة العرب أن تغلب التذكير

ذكر هذا المتن الإباضى الصوفى ، فإننا بصدد هتك القناع عن فاحشة آئمة تترأى في شف من القدسية والروحانية ، وتمزيق الستر عن خبيث يقترف الجريمة وهو ريان السجود في المحاريب ، وتبصير المسلمين بمجوسية التصوف ، وما تكيد به لهم ، حتى يعتصموا بحبل الله وحده

(١) أخرجه أحمد والنسائي والحاكم والطبراني والبرار وابن أبي شيبة ، وقد أعلاه ابن عدى والدارقطنى والعقلى ، وليس في شيء من طرقه لفظ ثلاث . انظر تفريج أحاديث الكشاف لابن حجر ، وتميز الطيب من الحبيث للشيخانى ، وبهذا ينهدم كل ما يند الزنديق ابن عربى من التثليث ، وما هول به من تأنيث الإله على لفظ « ثلاث » التي ليست في الحديث قط على ضعفه .

[على التأنيث] «^(١) - ثم قال : « ثم إنه جعل الخاتمة نظيرة الأولى في التأنيث وأدرج بينهما المذكر ، فبدأ^(٢) بالنساء ، وحُتمَّ بالصلاة ، وكلتاها تأنيث ، والطيب بينهما « كَمَوْ^(٣) » في وجوده ، فإن الرجل مُدرَج بين ذات ظهر عنها وبين امرأة ظهرت عنه ، فهو بين مؤنثين تأنيث ذات ، وتأنيث حقيقي ، كذلك النساء تأنيث حقيقي ، والصلاة تأنيث غير حقيقي ، والطيب مذكر بينهما ، كآدم بين الذات الموجود هو عنها ، وبين حواء الموجودة عنه ، وإن شئت ، قلت : القدرة ، فؤنثة أيضاً ، فكان على أى مذهب شئت ، فإنك لا تجد إلا التأنيث يتقدم ، حتى عند أصحاب العلة الذين جعلوا الحق علة في وجود العالم ، والعلة مؤنثة «^(٤)

الإله الصوفي بين التقييد والإطلاق

ثم قال : « وَثُمَّ رتبة يعود الضمير على العبد المسيح فيها في قوله : (١٧ : ٤٤) وإن من شيء إلا يسبح بحمده) أى محمد ذلك الشيء^(٥) ، فالضمير الذى في

(١) ص ٢١٩ فصوص وكل ما بين هذين [] ساقط من الأصل ، وأثبتته عن الفصوص .

(٢) فى الأصل : فبدأ . ويظهر أن الناسخ كان يرسم الهمزة التى من هذا القيل هكذا دائماً .

(٣) الهو عند الصوفية : هو اعتبار الذات بحسب الغيبة والفقد

(٤) ص ٢٢٠ فصوص

(٥) معنى الآية : ما من شيء إلا ويسبح بحمد الله رب العالمين ، ولكن ابن عربى يرجع الضمير فى قوله : بحمده ، على لفظة شيء ليتواءم هذا البهتان الرنديقى ، ومذهبه فى الوحدة ، فيكون معنى الآية عنده : ما من شيء إلا ويسبح بحمد نفسه لأن الله سبحانه عنده عين كل شيء ، فإذا سبح شيء ، فالمسبح عنده والمسبح له هو الله سبحانه عما يقول الصوفية

[قوله] : بحمده ، يعود على الشيء ، أى بالثناء الذى يكون عليه ، كما قلنا فى المعتقد أنه [إنما] يثنى على الإله الذى فى معتقده ، وربط به نفسه ، وما كان من عمله ، فهو راجع إليه ، فما أثنى إلا على نفسه ، فإنه من مدح الصنعة ، فإنما مدح الصانع بلا شك ، فإن حسنها وعدم حسنها راجع إلى صانعها ، وإله^(١) المعتقد مصنوع للناظر فيه ، فهو صنعه^(٢) ، فثناؤه على ما اعتقده ثناؤه على نفسه ولهذا يذم معتقد غيره ، ولو أنصف لم يكن له ذلك ، إلا أن صاحب هذا المعبود الخالص جاهل بلا شك^(٣) فى ذلك لاعتراضه [٤٠] على غيره فيما اعتقده فى الله ، إذ لو عرف ما قال الجنيد : لون الماء لون إنائه ، لسم لكل ذى اعتقاد ما اعتقده وعرف الله فى كل صورة ، وكل معتقد ، فهو ظان ليس بعالم ، ولذلك^(٤) قال : « أنا عند ظن عبدى بى »^(٥) . أى لا أظهر له إلا فى صورة معتقده ، فإن شاء أطلق ، وإن شاء قيد ، فإنه المعتقدات تأخذه الحدود ، وهو الإله الذى وسعه قلب عبده ، فإن الإله المطلق لا يسمه شيء لأنه عين الأشياء^(٦) ، وعين نفسه^(٧)

(١) فى الأصل : والإله

(٢) فى الأصل : صنعه

(٣) يحذر المؤمن أن يذم دين الكافر ، والوحيد أن يذم دين المشرك ، والمسلم أن يذم دين وثنى أو يهودى ، أو نصرانى ، أو مجوسى ، قدم أى دين — وإن كان سداه الأسطورة ، ولحمته الحرافة — جهل عميق بالحقيقة ، فهؤلاء جميعا دينهم واحد ، ومعبودهم فى الحقيقة — وإن اختلفت نسبة أو إضافاته ، أو أسماءه — واحد ، بل إنهم جميعا عين واحدة ، إذ كل واحد منهم أحد تعينات الذات الإلهية ، ومعبوداتهم فى حقيقتها الرب الواحد ، لأنها الحق تجلى فى صور هذه المعبودات ، ودينهم واحد لأن الحق التعين فى كل واحد منهم هو الذى شرع هذا الدين وارتضاه . ذلك البهتان هو دين الزنديق ابن عربى ، وهذا هو نص ما يريد

(٤) فى الأصل : فلذلك

(٥) متفق عليه عن أبى هريرة مرفوعا . بيد أن تفسير الزنديق له إفاك أنهم

(٦) باعتبارها تعيناته أو ظاهره

(٧) باعتبارها وجودا مطلقا ، أو حقا أو باطنا

والشيء ولا يقال فيه : يسمع نفسه ، لا يسمعها ، فافهم^(١)

قلت : وهذا أراد ابن الفارض بقوله :

فلو أنني وَحَّدْتُ ، أَلْهَدْتُ ، وانسلخ

تُ مِنْ آيِ جَمِي مُشْرِكَا بِي صَنَعَتِي

دعاء ومباهلة

هذا آخر الكتاب^(٢) ، المبادئ للصواب ، المراد للشك والارتياب ، لعنه^(٣)

الله على معتقده ، ورحمة الله : على منتقده ، قد نم - والله الحمد - ما أردت انتقاده منه ، مُتَرْجِمًا بسوء السيرة وقبح السريرة عنه ، وانتهى ما وقع انتقادي عليه ، وأذاني اجتهدى إليه : من واضح كفره ، ودقيق مكفره ، وَجَلِي شره ، أعاذنا الله بحوله وقوته من شكوكه ، وعصمنا من زيغ طريقه ، وباعدنا من سلوكه ، ورأيت أن أختم ذلك بحكاية طائما حدثنا بها شيخنا شيخ الإسلام حافظ العصر ، قاضي القضاة ، أبو الفضل شهاب الدين أحمد بن علي بن حجر الكنانى ، السقلاوى الأصل ، المصرى الشافعى . ثم رأيتها منقولة عن كتاب الحافظ تقي الدين القاسى^(٤) فى تكفير ابن عربى ، وقد أصلح شيخنا بعضها بخطه ، قال : « كان فى أيام الظاهر برقوق^(٥) شخص يقال له : ابن الأمين شديد التعصب لابن عربى صاحب هذا الفصوص ، وكنت أنا كثير البيان لعواره ، والإظهار لعاره وعثاره ،

(١) ص ٢٢٦ فصوص

(٢) يقصد فصوص الحكم

(٣) فى الأصل : لعنه

(٤) هو محمد بن أحمد بن على ولد بمكة سنة ٧٧٥ ، وتوفى سنة ٨٣٢ هـ

ولى قضاء المالكية بمكة

(٥) مؤسس دولة المماليك البرجية ، واستمر بحكم من سنة ٧٨٤ إلى أن

توفى عن ٦٠ عاما سنة ٨٠١ هـ

وكان بمصر شيخ يقال له : الشيخ صفا ، وكان مقربا عند الظاهر ، فهددني المذكور بأنه يعرفه بي ، ليذكر للسلطان أن بمصر جماعة أنا منهم ، يذكرون الصالحين بالسوء ، ونحو ذلك . وكانت تلك الأيام شديدة المظالم والمصائب والمغارم ، وكنت ذا مال^(١) ، فحقت عاقبته ، وخشيت غائلته ، فقلت إن هنا ما هو أقرب مما تريد ، وهو أن بعض الحفاظ قال : إنه وقع الاستقراء بأنه ما تباهل اثنان على شيء ، فحال الحول على المُبْطِل منهما ، فهُلِمَ ، فلنتباهل ، لِيَعْلَمَ الْمُحِقُّ منا من المُبْطِل ، فتباهلت أنا وهو ، فقلت له : قل : اللهم إن كان ابن عربي على ضلال ، فالعني بلعنتك ، فقال له ، فقلت أنا : اللهم إن كان ابن عربي على هدى فالعني بلعنتك وافترقنا ، وكان يسكن الروضة ، فاستضافه شخص من أبناء^(٢) الجند جميل الصورة ، ثم بدا له أن يتركهم ، فخرج في أول الليل ، فخرجوا يشيعونه فأحس بشيء مرّ على رجله^(٣) ، فقال لأصحابه : مرّ على رجله شيء ناعم ، فانظروا ما هو ؟ فنظروا [٤١] فلم يجدوا شيئا ، فذهب ، فما وصل إلى منزله إلا وقد عمى ، ولم يصبح إلا وهو ميت ، وكان ذلك في ذى القعدة سنة سبع وتسعين وسبعمائة ، وكانت المباهلة في رمضان منها ، قال : وكنت عند وقوع المباهلة عرفت من حضر أن من كان مُبْطِلا في المباهلة لا تمضي عليه السنة ، فكان والله الحمد ذلك ، واسترحت من شره ، وأمنت من عاقبة مكروه .

المكفرون لابن عربي

وقد صرح بكفر هذا الرجل^(٤) ، ومن نحأ نحوه في مثل هذه الأقوال الظاهرة

(١) كذا بالأصل ولعلها : مال

(٢) في الأصل : ابنا

(٣) لعلها رجلى ، إلا أن تكون على سبيل الحكاية

(٤) يقصد ابن عربي

في الضلال جماعة من العلماء الأعلام مشايخ الإسلام ، كما نقل عنهم الإمام شهاب الدين أحمد بن يحيى بن أبي حجلة التلساني الحنفي في كتابه الذي صنّفه في ذلك ، وكذا نقل بعض ذلك الإمام سيف الدين عبد اللطيف بن بلبان السعدي^(١) الصوفي في جزء نقله عنه أحمد بن أقش الحرّاني ، قال : « وقد كتب كل من راقب الله تعالى ، وخشيه ، وامتنع كل من التّبسه مخافة غيره ، وغشيه ، فالذي كتب قام لله تعالى بلوازم فرضه ، والذي امتنع^(٢) فهو المستول عن ذلك في يوم عَرْضِهِ ، فإن زعم أنه ترك خوف الفتنة من المخالفين ، فذلك محنة في الدين بما وجب على كل عالم من التّبيين » .

وكذلك نقل الفتاوى العلامة بدر الدين حسين بن الأهدل ، شيخ أبيات حسين ببلاد اليمن في تصنيفه المسمى : كشف الغطاء عن حقائق التوحيد ، فالمنكرون منهم سلطان العلماء عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام بن أبي القسم السلمي الشافعي ، كما نقل ذلك عنه شيخ الإسلام تقي الدين محمد بن دقيق العيد ، قال الحافظ شمس الدين محمد الذهبي في معجمه^(٣) : « حدثني محمد المفيد . حدثنا أبو الفتح اليعمرى ، سمعت أبا الفتح محمد بن علي القشيري ، سمعت شيخنا ابن عبد السلام يقول - وجرى ذكر ابن العربي الطائي - فقال : هو شيخ سوء كذاب^(٤) » وقال الصّلاح خليل الصفدي في تاريخه : « سمعت أبا الفتح ابن سيد الناس^(٥) يقول : سمعت ابن دقيق العيد يقول : سألت ابن عبد السلام

(١) ولد سنة ٦٥٠ تقريباً ، وتوفي سنة ٧٣٦

(٢) لعلها : امتنع

(٣) ذكر هذا في ميزان الاعتدال .

(٤) في الميزان : شيعي سوء كذاب

(٥) هو محمد بن محمد بن محمد بن سيد الناس أبو الفتح فتح الدين الحافظ

الأديب . ولد سنة ٦٧١ هـ وتوفي سنة ٧٣٤ هـ

عن ابن عربي ، فقال : هو شيخ سوء كذاب ، يقول بقدوم العالم ، ولا يحرم فرجا ،
وقال شيخنا العلامة محمد^(١) بن محمد بن محمد بن علي بن يوسف [ويعرف^(٢)]
بابن الجرزي الشافعي في جواب أجاب فيه بكفره ، كما حكاه عنه ابن الأهدل :
ولقد حدثنا شيخنا شيخ الإسلام الذي لم تر عيناي مثله عماد الدين إسماعيل بن عمر
ابن كثير من لفظه غير مرة ، حدثني شيخ الإسلام العلامة قاضي القضاة تقي الدين
أبو الحسن علي بن عبد الكافي السبكي^(٣) ، حدثنا الشيخ العلامة شيخ الشيوخ
قاضي القضاة تقي الدين أبو الفتح محمد بن علي القشيري المعروف بابن دقيق^(٤) المي
القائل في آخر عمره : لي أربعون [٤٢] سنة ما تكلمت بكلمة إلا أعددت لها
جواباً بين يدي الله تعالى ، قال : سألت شيخنا سلطان العلماء عز الدين أبا محمد
عبد العزيز بن عبد السلام الدمشقي عن ابن عربي ، فقال : شيخ سوء كذاب ،
يقول بقدوم العالم ، ولا يحرم فرجا انتهى . وقال ابن تيمية^(٥) في جواب السيف

(١) وله الجرزي بدمشق سنة ٧٥١ هـ وتوفي سنة ٨١٤ هـ

(٢) ساقطة من الأصل ، وأثبتها عن الضوء اللامع

(٣) ولد سنة ٦٨٣ ، وتوفي بالقاهرة سنة ٧٥٦ ولى قضاء دمشق والخطابة
بالجامع الأموي ، وكان من خصوم ابن تيمية ، غير أنه عاد فأثنى عليه ثناء مستطاباً

(٤) وله بناحية ينبع سنة ٦٢٥ وتوفي سنة ٧٠٢ هـ يقول عنه الذهبي : كان
إماماً متقناً مجوداً مديماً السنن والجمع وله اليد الطولى في الفروع والأصول

(٥) أحمد بن عبد الحلیم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم ابن تيمية
الحراني ثم الدمشقي علم الأعلام الإمام الصبار الشكور . يقول عنه خصمه تقي الدين
السبكي - وقد عاتبه الحافظ الذهبي على ما نال به من قدر ابن تيمية : « المملوك
يعني نفسه » يتحقق كبير قدره ، وزخارة بحره ، وتوسعه في العلوم النقلية
والعقلية « يعني بكل هذا ابن تيمية » وفرض ذكائه واجتهاده وبلوغه في كل من ذلك
البلغ الذي يتجاوز الوصف ، وقدره في نفس أكبر من ذلك وأجل ، مع ما جمعه
الله له من الزهادة والورع والديانة ونصرة الحق والقيام به ، لا لغرض سواء ، =

السعودي « فكفره الفقيه أبو محمد بذلك ، ولم يكن بعدُ ظَهَرَ من قوله : إن العالم هو الله ، والعالم صورة الله ، وهوية الله » قال السيف المذكور : ثم تابعه في الإنكار الشيخ الإمام بركة الإسلام قطب الدين ابن القسطلاني ، وحذر الناس من تصديقه ، وبين في مصنفاته فساد قَاعِدَتِهِ ^{تَحْقِيقِيَّةً} ، وضلال طريقه في كتاب سماه : بالارتباط . ذكر فيه جماعة من هؤلاء الأنماط . ومنهم قاضي القضاة قدوة أهل التصوف إمام الشافعية بدر الدين محمد بن جماعة قال : « وحاشا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يأذن في المنام فيما يخالف ، أو يضاد قواعد الإسلام ^(١) » ، بل ذلك من وسوس الشيطان ومحفته ، وتلاعبه برأيه وفتنته ، وأما إنكاره - يعني ابن عربي - ما ورد في الكتاب والسنة من الوعيد ، فهو كافر به عند علماء التوحيد ، وكذلك قوله في نوح وهود عليهما السلام قول لغو باطل مردود ^(٢) » ، والقدوة العارف عماد الدين أحمد بن إبراهيم الواسطي ^(٣) ، وقال إنه علق في ذم هذه الطائفة ^(٤) ثلاث كراريس ، الأول سماه : البيان المفيد في الفرق بين الإلحاد والتوحيد ، الثاني : لوامع الاسترشاد في الفرق بين التوحيد والإلحاد ، والثالث : أشعة النصوص في هتك أستار الفصوص . كل ذلك ليبقى المؤمنون منهم على بصيرة . يحذرون من طرقهم وزندقتهم . وحاصل ذلك كله بكلام وجيز مختصر :

= وجريه على سنن السلف ، وأخذه من ذلك بالمأخذ الأوفى ، وغرابة مثله في هذا الزمان ، بل من أزمان» انتهى نقلا عن الدرر الكامنة لابن حجر . ولد ابن تيمية سنة ٦٦١ هـ ، ومات سجين البغى بقلعة دمشق سنة ٧٢٨ هـ

(١) رد على ما زعمه ابن عربي في خطبة الفصوص أنه رأى الرسول صلى الله عليه وسلم في النوم ، وأنه قال له : هذا كتاب الفصوص خذها واخرج به إلى الناس ينتفعون به ، وعلى ما زعمه ابن الفارض من مثل هذا بالنسبة للنائية الكبرى

(٢) انظر نص هذه الفتوى في العلم الشامخ للمقبلي ص ٤٩٤

(٣) ولد سنة ٦٥٧ وتوفي سنة ٧١١ هـ

(٤) طائفة ابن عربي ومن دان دينه

« أن هؤلاء جميع ما يبدونه من الكلام الحسن في مصنفاتهم إنما هو ربط واستجلاب ، فإن الدعاة إلى البدعة إن لم يكونوا ذوي بصيرة يستدرجون الخلق في دعوتهم ، حتى يحلوم عن أديانهم لا يستجاب لهم . هذا ابن عربي عنده في أصوله : أنه يجعل المعدومات أشياء ثابتة - علويها وسفليها - قبل وجودها ، فهي عنده ثابتة في القدم ، لكن ليس لها وجود ، ثم أفاض الحق عليها من وجوده الذاتي فقبل كل موجود من وجود عين الحق بحسب استعدادها ، فظهر الكون بعين وجود الحق ، فكان الظاهر هو الحق ، فعنده : أنه لا وجود إلا للحق ، ويستحيل عنده أن يكون ثم وجود محدث ، كما يقوله أهل الحق ، فإنهم يقولون وجود قديم ، ووجود حادث ^(١) ، وهذا عنده ، وعند أصحابه : أنه ليس بوجود حادث ، وليس ثم إلا وجود الحق الذاتي ، وهو الذي فاض على الأعيان والممكنات

(١) ليس هذا التقسيم من صنع أهل الحق ، وإنما هو بدعة الفلسفة ومخانيثهم علماء الكلام ، والله العليم الحكيم الخبير لم يسم نفسه بالقديم ، ولا وصف وجوده أو ذاته بالقدم ، وما ورد أحدهما - الاسم والصفة - على لسان أحد من رسله ، ولا استعملت في كتاب الله فيما استعملتها فيه الفلسفة ، وإليك مواردها في القرآن : (قالوا : تالله إنك لفي ضلالك القديم) ، (والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم) ، (وإذ لم يهتدوا به فسيقولون : هذا إفك قديم) ، (قال : أفرأيتم ما كنتم تعبدون ، أنتم وآباؤكم الأقدمون) فهل تجد آية من هذه الآيات أعطت مفهوم القدم ، والقديم كما هو في الفلسفة والكلام ؟ وهل تجد بحيث يصح إطلاقه على الله ووجوده ؟ قارن بين القدم في الفلسفة والكلام ، وبينه في القرآن إذ يصف الإفك والعرجون والضلal بالقدم ، وستخرج من هذه المقارنة بأنه لا يجوز وصف الله به وفي اللغة تقول عن شيء سلف زمانه : إنه قديم ، وعن الثوب الرث : إنه قديم . هذا مدلول الكلمة في اللغة التي نزل بها كتاب الله ، والتي يجب أن تفسر بها وحدها القرآن . فليقولوا : خالق ومخلوق ، وليقولوا عن الله ما قاله عن نفسه « هو الأول والآخر والظاهر والباطن »

[٤٣] فهو موجود بعينه^(١)، ومن شك أن هذا اعتقاده ، فليراجع كتبه الفصوص وغيرها ، وعنده أنه لما فاض على الأكوان عين وجود الحق ، كان هو الظاهر فيها بحكم الوجود ، وكانت هي الظاهر فيه بحكم الأسماء ، فإنها كثيرة متعددة^(٢) ، وعنده أن الكون افتقر إلى الحق بسبب إفاضة الوجود ، وأن الحق أيضا افتقر إلى الكون لظهور أسمائه ، وكل منهما يعبد الآخر .

فتوى الجزرى

ومنهم العلامة شمس الدين محمد بن يوسف ابن الجزرى جد شيخنا العلامة شمس الدين ، قال: ^(٣) «وحكمه بصحة عبادة قوم نوح للأصنام كفر ، وقوله : إن الحق المنزه هو الخلق المشبه كلام باطل متناقض ، وهو كفر ، وقوله في قوم [هود^(٤)] : وحصلوا في عين القرب افتراء على الله تعالى ، ورد لقوله فيهم : وقوله زال البعد وصيرورة^(٥) جهنم في حقهم نعيما كذب ، وتكذيب للشرائع ، وأما من يصدقه فيما قال ، فحكمه كحكمه في التضييل والتكفير إن كان عالما ، وإن كان ممن لا علم له : فإن قال ذلك جهلا عرف بحقيقة ذلك ، ويجب تعليمه وردعه عنه ، معها أمكن » ومنهم الإمام القدوة برهان الدين إبراهيم بن معضاد الجعبرى^(٦) ، ومنهم العلامة زين الدين عمر بن أبى الحرم الكتباني^(٧) الشافعى

(١) لم يحسن التعبير ، وإليك نص الفصوص ص ٧٦ «وهو من حيث الوجود عين الموجودات» . وفى الأصل : فهى موجودة

(٢) قال القاشانى فى شرح الفصوص : « للذات بحسب كل عين اسم ، وتلك الأعيان أيضا أسام ، لكونها عين الذات مع التعيين » ويقول ابن عربى « فأسمائنا أسماء الله تعالى » .

(٣) انظر نص فتواه فى العلم الشامخ ص ٤٩٥

(٤) أثبتنا عن الفصوص

(٥) لعلها : صارت ، أو بصيرورة

(٦) توفى فى سنة ٦٨٧ هـ عن ثمانين سنة

(٧) كان شيخ الشافعية فى عصره . ولد سنة ٦٥٣ وتوفى سنة ٧٣٨ هـ وانظر =

ومن جوابه : « وقوله في قوم هود كفر » ، لأن الله تعالى أخبر في القرآن العظيم عن عاد : أنهم كفروا بربهم ، والكفار ليسوا على صراط مستقيم ، فالقول بأنهم كانوا عليه ، مكذب لصريح القرآن ، ويأتى من سمعه ، ولم يفكره إذا كان مكلفاً ، وإن رضى به كفر » .

رأى أبى حيان

والإمام أبو حيان محمد بن يوسف الأندلسي^(١) . ذكر ذلك في تفسير سورة المائدة عند قوله تعالى (١٧: ٥) لقد كفر الذين قالوا : إن الله هو المسيح ابن مريم الآية في أوائلها : « ومن بعض اعتقاد النصارى استنبط من أقر^(٢) بالإسلام ظاهراً ، واتمى إلى الصوفية حلول الله في الصور الجميلة ، ومن ذهب من ملاحدتهم إلى القول بالانحداد والوحدة : كالحلاج والشعوذى وابن أحلي وابن عربي المقيم بدمشق ، وابن الفارض ، وأتباع هؤلاء كابن سبعين - وعد جماعة^(٣) - ثم قال :

= نص فتواه في العلم الشامخ ص ٤٩٦ ، وفي الشذرات لقب بالسكتاني نسبة إلى السكتان

(١) ولد سنة ٦٥٤ هـ . قال عنه الذهبي : « حجة العرب وعالم الديار المصرية » كان من خلصاء ابن تيمية ، حتى لقد امتدحه بقصيدة منها :
قام ابن تيمية في نصر شرعتنا مقام سيد تيم إذ عصت مضر
وفي مناظرة بينهما خطأ ابن تيمية سيويه ، فلم يطقها منه أبو حيان ، فكان أن بهته أبو حيان في تفسيره البحر .

(٢) في البحر : تستر .

(٣) هم كما جاء في البحر : « والتستري تلميذه وابن مطرف المقيم بمرسية ، والصفار المقتول بفرنطة ، وابن اللباج ، وأبو الحسن النقيم كان بلورقة ، ومن رأيانه يرمى بهذا المذهب الملعون : الغفيف التلمساني ، وله في ذلك أشعار كثيرة ، وابن عياش المالقي الأسود الأقطع المقيم كان بدمشق . وعبد الواحد بن المؤخر المقيم كان بصعيد مصر ، والأبيكي العجمي الذي كان تولى المشيخة بخانقاه سعيد السعداء بالقاهرة من =

وإنما سردت هؤلاء نصحاء لدين الله ، يعلم الله ذلك ، وشفقة على ضعفاء المسلمين ، وليحذروا ، فهم شر من الفلاسفة الذين يكذبون الله ورسله ، ويقولون بقدوم العالم وينسكرون البعث ، وقد أولع جهلة ممن ينتمى إلى التصوف بتعظيم هؤلاء ، وادعائهم أنهم صفوة الله^(١) .

رأى التقي السبكي والفاسي والزواوى

والعلامة قاضى القضاة شيخ الإسلام تقي الدين على بن عبد الكافى السبكي الشافعى ، فقال : « ومن كان من هؤلاء الصوفية المتأخرين كابن عربى وغيره ، فهم ضلالٌ جهالٌ ، خارجون عن طريقة الإسلام ، فضلا عن العلماء » قال ذلك فى باب الوصية من شرح [٤٤] المهاج ونقله السكال الدميرى ، والتقى الحصنى ، وقال الحافظ تقي الدين الفاسى فى كتابه فيه : « وقد أحرقت كتب ابن عربى غير مرة » . ويؤمن صنع ذلك من العلماء المعبرين : الشيخ بهاء الدين السبكي ، والعلامة القاضى شرف الدين عيسى بن مسعود الزواوى^(٢) المالكي شارح صحيح مسلم ، فقال : « وأما ما تضمنه هذا التصنيف من الهذيان ، والكفر والبهتان ، فهو كله تليس وضلال ، وتحريف وتبديل ، فمن صدق بذلك أو اعتقد [صحته]^(٣) »

== ديار مصر ، وأبو يعقوب بن مبشر تلميذ التستري المقيم كان بحارة زويلة انتهى نقلا عن تفسير البحر لأبى حيان - وزاد فى تفسيره النهر : « والشريف عبد العزيز المنوفى ، وتلميذه عبد الغفار القوصى » .

(١) ورد بعد هذه فى البحر : « وأولياؤه ، والرد على النصارى والحلولية والقائلين بالوحدة هو من علم أصول الدين » انظر تفسير سورة المائدة من البحر لأبى حيان .

(٢) ولد سنة ٦٦٤ هـ ، وتوفى سنة ٧٤٣ هـ انتهت إليه رياسته الفتوى فى المذهب المالكي بمصر والشام ، وقد شرح صحيح مسلم فى اثنى عشر مجلداً وسماء : إكمال الإكمال .

(٣) ساقطة من الأصل ، وأثبتها عن العلم الشامخ ، فقد ورد فيه نص هذه

كان كافراً ملحداً ، صادداً عن سبيل الله ، مخالفاً لسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ملحداً في آيات الله ، مُبَدِّلاً لِكلماته ، فإن أظهر ذلك ، وناظر عليه ، كان كافراً يستتاب ، فإن تاب ، وإلا قُتِلَ ، وإن أخفى ذلك ، وأسرِه كان زنديقاً ، فيقتل متى ظهر عليه ، ولا تقبل توبته إن تاب ؛ لأن توبته لا تعرف ، فقد كان قبل أن يظهر عليه يقول بخلاف ما يبطن ، فعلم بالظهور عليه خبث باطنه ، وهؤلاء قوم يسمون الباطنية ، لم يزالوا من قديم الزمان ضلّالاً في الأمة ، معروفين بالخروج من الملة ، يُقْتَلُونَ متى ظهر عليهم ، وينفون من الأرض ، وعادتهم التّصّليح والتدين ، وادعاء التحقيق ، وهم على أسوأ طريق [فالحذر كل الحذر منهم فإنهم أعداء الله ، وشر من اليهود والنصارى ، لأنهم قوم لا دين لهم يتبعونه ، ولا رب يعبدونه ، وواجب على كل من ظهر على أحد منهم أن ينهى أمره إلى ولاية المسلمين ، ليحكموا فيه بحكم الله تعالى ^(١)] ويجب على [من ^(٢)] وَلِيّ الأمر ^(٣) إذا سمع بهذا التصنيف البحث عنه ، وجمع نسخه حيث وجدها وإحراقها ، وأدب من اتهم بهذا المذهب ، أو نسب إليه ، أو عرف به ، على قدر قوة التهمة عليه حتى يعرفه الناس ويحذروه .

رأى البكرى

ومنهم الشيخ الإمام المحقق الزاهد القدوة العارف نور الدين علي بن يعقوب البكرى الشافعى ، قال : « وأما تصنيف تذكر فيه هذه الأقوال ، ويكون المراد بها ظاهرها ، فصاحبها العن وأقبح من أن يُتَأَوَّلَ له ذلك ، بل [هو ^(٤)]

(١) ما بين هذين [ساقط من الأصل . وأثبتته عن العلم الشامخ ص ٤٩٨ .

(٢) أثبتها عن المصدر السابق .

(٣) في الأصل : الأمراء ، وهي كما أثبتها في العلم الشامخ .

(٤) أثبتها عن المصدر السابق .

كاذب فاجر ، كافر في القول والاعتقاد ، ظاهراً وباطناً ، وإن كان قائلها لم يرد ظاهرها ، فهو كافر بقوله ، ضال بجهله ، ولا يعذر في تأويله لتلك [الألفاظ] إلا أن يكون جاهلاً بالأحكام جهلاً تاماً عاماً ، ولا يُعذر في جهله لمعصيته ، لعدم مراجعة العلماء والتصانيف^(١) على الوجه الواجب من المعرفة في حق من يخوض في أمر الرسل ومتبعيهم ، أعنى معرفة الأدب في التعبيرات ، على أن في هذه الألفاظ ما يتعذر ، أو يتعسر تأويله ، بل كلها كذلك ، وبتقدير التأويل على وجه يصح في المراد ، فهو كافر بإطلاق اللفظ على الوجه الذي شرحناه . وأما دلائل ذلك فهي مذكورة في تصانيف العلماء ، وفيما ألفتها أيضاً في بعض المسائل وليست هذه الورقة مما تسع الكلام على أقوال هذا المصنف^(٢) لفضلة لفظة .

مسألة الوعيد

لكن مسألة الوعيد - يعنى التي قال فيها ابن عربى : وما لوعيد الحق عين تعين^(١) - لابد فيها من نبذة لطيفة للضرورة . اعلم [٤٥] أنه ثبت بالدلائل العقلية والسمعية ، وإجماع المسلمين أن قول الله حق ، وخبره صدق ، وذلك واجب له لذاته سبحانه وتعالى ، ومن أنكر أن خبر الله حق ، أو أن وعده ووعيده صدق فهو كافر بإجماع المسلمين ، وإما قال بعض الناس من الأصوليين : إنه لا يجب وقوع الوعيد بتأويل مقرر في الأصول ، وحقيقته ترجع إلى أن كلام الله تعالى مُنزل على عادة العرب في مخاطبتها ، وعادتها إذا أوعدت بالعقوبة - وإن كانت

(١) ما دام قادراً على مراجعة التصانيف ، فالواجب عليه قبل كل شيء : تدبر آيات الله سبحانه ، ففي قبس واحد من نوره ما يبدد باطل التصوف وضلاله ، أما أن ندعوه إلى مراجعة التصانيف دون الكتاب والسنة ، فهي دعوة إلى اتخاذ أرباب من دون الله ، وهى بعينها دعوة التصوف .

(٢) يقصد فصوص الحكم لابن عربى .

(٣) يعنى : إنكار ابن عربى وقوع العذاب على الشركين والكافرين يوم القيامة

صورتها الوعيد الجازم- فإنما تريد : إذا لم تعف ، وأصرت على الانتقام ، وأدعى أن ذلك مركز في طباعها ، وأن حقيقة اللفظ الحل عليه ، سواء أَرَادَهُ حالة التخاطب ، أو لم يردّه . وقال فيه آخرون : إن الرب سبحانه وتعالى علق الأشياء بمشيئته في غير موضع ، وأن الوعد المطلق مقيدٌ بالمشيئة ، فجوز أن يقع الوعيد بشيء ، فلا يحصل التوعد : إما لأن حقيقة اللفظ مقيدة بعدم العفو ، وإما لأن مطلق اللفظ مقيد بنصوص آخر مع أمور أخرى يحتملها اللفظ مطلقاً من غير دليل خاص : من تقييد المطلق ، وتخصيص العام ، واحتمال الإضمار والمجاز . وجوز أن يضع الله تعالى اللفظ وضعاً جديداً لمعنى آخر لانغمسه العرب عند بعض الناس إلى غير ذلك . ومع هذا كله ، فإنما هو كلام في أصل الوعيد من حيث الجملة . وأما خصوص مسألة وعيد الكافرين ، فلا خلاف أن المراد به قد علم ، وأن من ادعى أن الكفار لا يعذبون أصلاً ، فهو كافر ، إلا أن يكون ممن لم تبلغهم الدعوة ، أو في معناه . والمراد في وعيد الكافرين المعلوم : هو أنهم يُعَذَّبُونَ في النار العذاب الشديد ، ولا يغفر كفرهم المغفرة المزيله للعقوبة بعد بلوغ الدعوة ، على الوجه الذي تقوم به الحجة . والعلم بالمراد في هذه القضية مُتَلَقِّي بوجهين : أحدهما : أخبار التواتر . الثاني : فهم الصحابة لذلك عن المعصوم فهما قطعياً منقولاً إلينا بالتواتر المعنوي^(١) ، وإنما تكلموا في مسألة الخلود دون أصل

(١) ورد الخبر عن عذاب الله للكفار وغيرهم بصيغة الماضي في بعض الآيات ، ومثاله : (٧١ : ٢٤) مما خطيئاتهم أغرقوا ، فأدخلوا ناراً) والتعبير عما سيقع بصيغة تفيد أنه وقع ~~بغير تحقيق~~ تحقق الوقوع ، وأنه سيقع لا محالة ، ثم إن ابن عربى إنما ينكر العذاب ؛ لإيمانه بوحدة الوجود ، وبالتالي إلى وحدة الأديان . فالزنديق يدين بأن الله سبحانه عين كل شيء ، ويدين بأن كل دين هو عين الحق ، فكيف يعذب الله كافراً ، أو مشركاً ؟ والكافر عنده هو الله ، وكذلك المشرك . والكافر دين حق وكذلك الشرك . لا يمكن وقوع العذاب ، وإلا قلنا : إن الله يعذب نفسه . هذا سر إنكار ابن عربى وقوع العذاب ، فهو في واد ، وما ذكره المؤلف هنا عن الوعيد في واد آخر .

التعذيب ، فمن حاك^(١) الخلفاء عن السلف ، ومن^(٢) حاك الإجماع والمعتد غير^{ما يعتد به} نقدتها نظر . والله أعلم .

فتوى البالى وابن النقاش

ومنهم العلامة نجم الدين محمد بن عقيل البالى^(٣) الشافعى ، قال : « من صدق هذه المقالة الباطلة أو رضىها ، كان كافراً بالله تعالى يراق دمه ، ولا تنفعه التوبة عند مالك وبعض أصحاب الشافعى ، ومن سمع هذه المقالة القبيحة تعين عليه إنكارها بلسانه ، بل يجب عليه منع قائلها بالضرب ، إن لم ينزجر باللسان ، فإن عجز [٤٦] عن الإنكار بلسانه أو بيده ، وجب عليه إنكار ذلك بقلبه ، وذلك أضعف الإيمان » .. ومنهم نادرة زمانه العلامة أبوأمامة محمد بن على ابن النقاش^(٤) المصرى الشافعى فى تفسيره^(٥) ، وأجاد جداً فى تقرير مذهبهم ، وبيان عواره ، فقال : « وقد ظهرت أمة ضعيفة العقل ، نزرة العلم ، اشتغلوا بهذه الحروف ، وجعلوا لها دلالات ، واشتقوا منها ألفاظا ، واستدلوا منها على مددٍ وسموا أنفسهم بعلماء الحروف^(٦) ، ثم جاءهم شيخ وقح من جهة العالم يقال له :

(٢٠١) لعلها حكى .

(٣) ولد سنة ٦٦٠ هـ . ولى قضاء بلبيس ، ولازم ابن دقيق العيد . وتوفى سنة ٧٢٩ هـ .

(٤) ولد سنة ٥٧٢٠ هـ . وتوفى سنة ٥٧٦٣ هـ .

(٥) سماه السابق واللاحق ، والتزم أن لا يتقل فيه حرفاً من تفسير أحد ممن تقدموه .

(٦) يقول ابن خلدون فى مقدمته ص ٤٤٠ عن علم الحروف : « حدث هذا العلم فى الملة بعد صور منها ، وعند ظهور الغلاة من المتصوفة ، وزعموا أن الكمال الأسمائى مظاهره أرواح الأفلاك والكواكب ، وأن طبائع الحروف وأسرارها سارية فى الأسماء ، فهى سارية فى الأكوان على هذا النظام ، تعددت فيه تآليف =

البونى ، ألف فيها مؤلفات ، وأتى فيها بطامات ، ومن الحروف دخلوا للباطن ، وأن للقرآن باطنًا غير ظاهر ، بل وللشرائع باطنًا غير ظاهرها ، ومن ذلك تدرجوا إلى وحدة الوجود ، وهو مذهب الملحدين كابن عربي وابن سبعين وابن الفارض من يحمل الوجود الخالق هو الوجود المخلوق ، وقد لا يرضى هؤلاء بلفظ الاتحاد بل يقولون بالوحدة ؛ لأن الاتحاد يكون افتعالًا بين شيئين ، وهم يقولون : الوجود واحد لا تعدد فيه ، ولم يفرقوا بين الواحد بالعين ، والواحد بالنوع ، فإن الموجودات مشتركة في مُسَمَّى الوجود ، واسكن ليس وجودُ هذا وجودَ هذا . والقدر المشترك هو كُلِّيٌّ ، والسكلى المطلق لا يوجد كليًا مطلقًا إلا في الأذهان ، لافي الأعيان ، بل كل موجود ، من المخلوقات له وصف يختص [به] لا يشاركه فيه غيره في الخارج ، وأنقص المراتب عند هؤلاء مرتبة أهل الشريعة — ثم قال : وهم متأهلون للخيال ، معظومون له ، ولا سيما ابن عربي منهم ، ويسميه : أرض الحقيقة ، ولهذا يقولون بجواز الجمع بين النقيضين ^(١) ، وهو من الخيال الباطل ، وقد علم المعتنون بحالهم من علماء الإسلام كالشيخ عز الدين بن عبد السلام ،

= البونى وابن عربي وغيرهما» ويعرف طاش كبرى زادة هذا العلم في مفتاح السعادة ص ٤١٨ ج ٢ ط الهند : (هو علم باحث عن كيفية تمزيج الأعداد ، أو الحروف على التناسب والتعادل ، بحيث يتعلق بواسطة هذا التعديل أرواح متصرفة تؤثر في القوابل حسب ما يراد ويقصد من ترتيب الأعداد والحروف وكيفياتها » وانظر ص ٦٨ من كتاب نقض المنطق لابن تيمية . وما زال كثير منهم يهول بهذه الأساطير يمدونها شركًا لما لا يقيم يراد استلابه ، أو عرض يبتغى استلابه .

(١) قولهم بهذا الخبل راجع إلى إيمانهم بوحدة الوجود ، حتى زعموا أن ذات الإله : جامعة بين النقيضين ، وبين الضدين ، وأن هذا الجمع أول مقوماتها وأبين خصائصها ، قال الجيلي في كتابه الإنسبان الكامل ص ٦٩ ج ١ : « الألوهية في نفسها تقتضى شمول النقيضين ، وجمع الضدين بحكم الأحدية » هذا لإيمانهم بأنه سبحانه عين كل شيء وكل معلوم .

وابن الحاجب وغيرهما أن الجن والشياطين تمثلت لهم ، وألفت كلاما بسمونه ، وأنواراً يرونها^(١) ، فيظنون ذلك كرامات ، وإنما هي أحوال شيطانية ، لارحمانية وهي من جنس السحر . ولقد حكى سعيد القرطبي في شرح قصيدة ابن الفارض أن رجلاً نزل دجلة ، ليفتسل لصلاة الجمعة ، فخرج من النيل ، فأقام بمصر عدة سنين ، وتزوج ، وولد له هناك ، ثم نزل ليفتسل لصلاة الجمعة ، فخرج من دجلة فرأى غلامه ودابته والناس لم يصلوا بعد الجمعة ، ومن المعلوم لكل ذي حصن أن يوم الجمعة ببغداد ليس بينه وبين يوم الجمعة بمصر يومٌ فضلاً عن أكثر منه ولا الشمس توقفت عدة أعوام في السماء ، وإنما هو الخيال ، فيظنونه لجهلهم في

(١) جرى مثل هؤلاء الشيوخ على تصديق ما يهرف به خيال الصوفية من رؤية أنوار وسماع كلام ، ثم يحاولون تحليل هذا الباطل بغير علته الحققة ، فيزعمون أن ذلك النور والكلام تهاويل جن تجسدت لهم ، وخيالات شياطين تبدت في صور إنسية . هذا ليزدوا إفاك الصوفية فيما زعموه من رؤية نور الله وسماع كلامه . والحق أن الصوفية لم يروا نورا ، ولم يسمعوا كلاماً ، والحق أنهم كاذبون كاذبون مفترون ، يدعون هذا بغية استعباد الخبايل والمفاليك لشهوات الجريمة التي تلتظ على أنيابهم ، وينزو قبحها من صدورهم . وفي الكتاب والسنة ما يشهد بكذبهم ، ويدمغهم بأنهم أحلاس إفاك وبهتان ، فموسى عليه السلام خر صقاً حين تجلى الله للجيل ، وربنا سبحانه ، ما يكلم إلا رسلاً وحياً ، أو من وراء حجاب ، أو يرسل رسلاً فيوحى بإذنه ما يشاء ، أفهؤلاء الدعاة إلى الإثم والوثنية من رسل الله ؟ أترام أقوى روحاً من موسى عليه السلام ؟ ألا فلنقتص الكذب والزور نفسه ، أما تصديق دعاويهم ، ثم تحليلها بمنزل ما عطلها به هؤلاء الشيوخ ، فقيه مشايخة للباطل في بعض ما يفتره ، ومساندة له في أدناً بهتانه . فالله سبحانه يقول عن الشيطان : إنه يراكم هو وقيمه من حيث لا ترونهم ، والرسول الكريم ما رأى الجن وهم يستمعون القرآن ، وعذر الشيوخ أنهم كانوا يعيشون في عصر امتلاء بهذه المؤتفكت ، حتى صارت - وكأنها من معلمات البسيطة - فردوا الباطل بما مكن لهم عصرهم أن يردوه به .

الخارج^(١) . ثم قال^(٢) : وحقيقة قولهم : إن مائهم وجودا [٤٧] إلا هذا العالم ، لا غير ، كما قاله فرعون ، لسكن هم يقولون : إن العالم هو الله ، وفرعون أنكر وجود الله - ثم قال - : قيل لبعض أكابرهم : ما^(٣) الفرق بينكم وبين النصارى ؟ قال : النصارى خصصوا^(٤) ، وهذا موجود في كلام ابن عربى ، وغيره . ينكرون على المشركين تخصيصهم عبادة بعض ، والعارف عندهم يعبد كل شيء^(٥) - ثم قال : ومن المعتقدين الحلول الخاص طائفة من أتباع العبيدية^(٦) الباطنية الذين ادعوا أنهم علويون - ثم قال : وقد اعتقدت طائفة منهم الإلهية فى الحاكم^(٧) كالدريزية

(١) أى : يظنون ما تخيلوه حقيقة واقعة ، وما ظنهم هذا عن جهل ، وإنما هو عن خيال يحس الكلب فيخال نفسه أسدا ، والشيطان فيظن نفسه ملاكا .

(٢) أى : ابن النقاش .

(٣) فى الأصل : لما .

(٤) أى جعلوا عيسى وحده رباً وإلهاً ، وكان الواجب - هكذا يفترى الزنادقة -

أن يتخذوا من كل شيء رباً وإلهاً ، لأن الإله عين كل شيء !!

(٥) نص ابن عربى : « والعارف المكمل من رأى كل معبود مجلى للحق يعبد

فيه » ص ١٨٥ ط الحلبي .

(٦) نسبة إلى عبيد الله أبى محمد سعيد بن الحسين بن عبد الله القداح من سلالة

ميمون ، وعبيد . هو إمام الشيعة الإسماعيلية فى عصره ، ومؤسس الدولة الفاطمية

ولد سنة ٢٦٠هـ وآلت إليه زعامة الإسماعيلية سنة ٢٨٠هـ وتوفى وله من العمر نحو

ثلاث وستين سنة .

(٧) منصور بن عبد العزيز بن المعز الفاطمى ، ادعى الإلهية ، وكان غدورا

سفكا للدماء ، تثير تصرفاته المتناقضة دهشة بالغة ، تدفع إلى الظن بأنه كان

نهب لوثة عقلية جامحة . ولد سنة ٣٧٥هـ ولقى مصرعه سنة ٤١١هـ على يد عبيد بن

لابن دواس ، تنفيذاً لمؤامرة دبرتها له أخته ست الملك للخلاص منه ، وما زال أتباعه

الدروز حتى اليوم ينتظرون رجعه ؛ إذ يؤمنون بأنه لم يقتل ، وإنما اختفى وسيعود

مرة ثانية .

أتباع شهنكير^(١) الدرزي الذي كان من موالى الحاكم ، وأضل أقواما بالشام في وادي تيم الله بن ثعلبة « انتهى .

رأى ابن هشام ، وابن خلدون

ومنهم العلامة جمال الدين عبد الله بن يوسف بن هشام^(٢) صاحب المغني وغيره من المصنفات البديعة ، وكتب على نسخة من كتاب الفصوص .

هذا الذي بضلاله ضلّت أوائل مع أواخر

من ظن فيه غير ذا . فليناً غنى ، فهو كافر

هذا كتاب فصوص الظلم ، ونقيض الحكم ، وضلال الأمم ، كتاب يعجز

الدم عن وصفه ، قد اكتنفه الباطل من بين يديه ومن خلفه ، لقد ضل مؤلفه

ضلالاً بعيداً ، وخسر خسراً مبيناً : لأنه يخالف لما أرسل الله به رسله ، وأنزل

به كتبه وفطر عليه خليقته « انتهى . وقال العلامة قاضي القضاة أبو زيد عبد الرحمن

ابن خلدون^(٣) : « إن طريق المتصوفة منحصر في طريقتين^(٤) ، الأولى : وهي

(١) يعني محمد بن إسماعيل المعروف بأنوشتكين البخاري ، أقوى رسل حمزة

ابن علي بن أحمد الزوزني المؤسس الحقيقي لمذهب الدروز ، وقد شرح أنوشتكين أصول مذهبه القائم على أساس تأليه الحاكم في رسالة قدمها إلى هذا قهره واصطفاه

قوي واشتد نفوذه ، وقد سمي أنوشتكين نفسه بسند الهادي وحياء المستجيبين ،

وتذهب بعض الروايات إلى أنه قتل سنة ٤١٠ هـ . وأخيراً إلى أنه فر إلى الشام ،

وهناك نشر دعوته ، فكانت هي نخلة الدروز الضالة .

(٢) ولد سنة ٧٠٨ هـ وتوفي سنة ٧٦١ هـ . يقول عنه ابن خلدون : « ما زلنا

— ونحن بالمغرب — نسمع أنه ظهر بعصر عالم بالعربية يقال له : ابن هشام ، أنحى

من سيويه » .

(٣) ولد سنة ٧٣٢ هـ وتوفي سنة ٨٠٨ هـ تولى قضاء المالكية بعصر ، يقول

عنه المستشرق ديور في كتابه تاريخ الفلسفة في الإسلام : « مفكر متزن يحارب

صناعة النجوم بالأدلة العقلية ، وكثيراً ما يعارض النزعة الصوفية العقلية عند الفلاسفة

بمبادئ الدين »

(٤) صوابها : طريقتين . وهكذا ذكرت في العلم الشامخ الذي وردت فيه هذه الفتوى

طريقة السنة ، طريقة سلفهم الجارية على الكتاب والسنة ، والاقتداء بالسلف الصالح من الصحابة والتابعين^(١) - والطريقة الثانية : وهي مشوبة بالبدع ، وهي

(١) ما كان من الصحابة ، ولا من التابعين صوفي ، ولم يسم واحد منهم بهذا الاسم المرادف للزنديق ، والصوفية منذ نشأوا وحيث كانوا عصاة تناهذ الكتاب والسنة ، لا يفرق في هذا سلفهم عن خلفهم في هذا ، غير أن بعضهم كان أشد جرأة من بعض في البيان عن زندقته ، ودليلنا ما سجله التاريخ الحق ، وما خلفوه هم في كتبهم من تراث وثني طافح بالمجوسية الفاسدة ، فتقسم ابن خلدون هذا بحاف للصواب ، ولكنه خدع كثيره فيما يشقشق به الصوفية من زور النفاق ، إذ يزعمون كاذبين أن طريقهم طريق الكتاب والسنة !! وابن خلدون نفسه يقر بأنه بدعة ، إذ يقول في مقدمته عن التصوف : « هذا العلم من العلوم الشرعية الحادثة في الملة ! ثم هل في الكتاب والسنة أن قبر الكرخي يقسم به على الله فيستجيب ، ويستشفى به فينفو الشفاء ، وأن الصوفية هم غياث الخلق ؟ كما زعم القشيري في رسالته ، وهو من سلف الصوفية المتقدمين ، وأقلهم شناعة في إفك التصوف . أجاز في السنة أن العزوية تباح لهذه الأمة بعد المائتين من الهجرة ، وأن تربية الجرو أفضل من تربية الولد كما زعم أبو طالب المكي في قوته ، ونسب فريته المانوية إلى الرسول صلى الله عليه وسلم ؟ أفها أن الدين شريعة وحقيقة ، وأن هذه أفضل من تلك ؟ أفها أن المرید لا بد له من شيخ ، وأن من لاشيخ له فشيخه الشيطان ؟ أفها أن قلب المرید بيد شيخه يصرفه بهواه ؟ أفها أن غضب الشيخ من غضب الله ؟ أفها أن المرید يجب أن يكون بين يدي شيخه كجثة الميت بين يدي الغاسل ؟ أفها أن الولي أفضل من النبي ؟ أفها أن العارف يسمع كلام الله كما سمعه موسى ؟ أفها أن الدريبات تسبح بحمد الأولياء ، وأن هؤلاء يفقهون تسييحها ؟ كما زعم الغزالي ؟ تلك بعض مفتريات سلف الصوفية الأقدمين ، بهتوا بها الحق والهدى منذ سمي أول رجل منهم بالصوفي في منتصف القرن الثاني للهجرة وبعده ، وتلك بعض ضلالات أولئك الأول الذين يزعم لهم ابن خلدون - وغيره - أن طريقهم مؤيد بالكتاب والسنة !! أقتسم على روحك مما نقلته عنهم نجات حق ، أو غير هدى ؟ كلا بل إنه محموم كفرو بمجوسية ألا فلنقل الحق : ما من صوفي إلا وهو يسلك طريق الشيطان وحده من سلف ومن خلف والتقسيم الصحيح للصوفية أن يقال : إنه قسمان : عملي ونظري ، وأن =

طريقة قوم من المتأخرين ، يحملون الطريقة الأولى وسيلة إلى كشف حجاب الحس لأنها من نتائجها ، ومن هؤلاء المتصوفة ابن عربي وابن سبعين ، وابن برجان وأتباعهم ممن سلك سبيلهم ، ودان بنعلتهم^(١) ، ولهم تواليف كثيرة يتداولونها مشحونة بصريح [الكفر^(٢)] ومستهجن البدع ، وتأويل الظاهر لذلك على أبعد الوجوه ، وأقبحها مما يستغرب الناظر فيها من نسبتها إلى الملة ، أو عدها في الشريعة ، وليس ثناء أحد على هؤلاء حجة ، ولو بلغ المثني ما عسى أن يبلغ [من^(٣)] الفضل ؛ لأن الكتاب والسنة أبلغ فضلا ، أو شهادة من كل أحد^(٤) وأما حكم هذه الكتب المتضمنة لتلك العقائد المضلة ، وما يوجد من نسخها بأيدي الناس مثل الفصوص والفتوحات المكية لابن عربي والبد لابن سبعين وخلع النملين لابن قسي [وعين اليقين لابن برجان ، وما أجدر الكثير من شعر ابن الفارض والعفيف التلمساني^(٥) ، وأمثالهما أن يلحق بهذه الكتب ، وكذا شرح ابن الفرغاني للقصيدة النائية من نظم ابن الفارض^(٦)] فالحكم في هذه

== هذا وليد ذاك ، فالنظرية وليدة التطبيق ، ثم نبين خصائص كل من النوعين ، مقارنين بينهما وبين الحق من الكتاب والسنة ، وسترى بعد هذه القطرنة أن التصوف في نشأته وتطوره في سلفيته وخلفيته لا ينتسب إلى الإسلام برحم : دانية ، أو نائية .

(١) في الأصل بتخلقهم ، والتصويب من العلم الشامخ .

(٢، ٣) ساقطتان من الأصل ، وأثبتتهما عن العلم الشامخ .

(٤) قول محمد الحق لابن خلدون .

(٥) داعر من زنادقة الصوفية ، لا يحرم فرجاً ، ويبيح نكاح الأم والأخت ،

ويرى القرآن كله شركاً ، وما عنده غير ولا سوى بوجه من الوجوه . هلك سنة ٦٩٠

أما ابن سبعين فمن القائلين بالوحدة المطلقة ، ولد بمصر سنة ٦١٣ هـ . وهلك سنة

٦٦٧ هـ بمكة .

(٦) ما بين هذين [] لم يرد في الأصل ، وأثبتته عن ص ٥٠٠ من العلم الشامخ

إذ أورد فيه مؤلفه القبلي نص فتوى ابن خلدون .

الكتب وأمثالها إذهاب أعيانها متى وجدت بالتحريق بالنار ، والفعل بالماء حتى ينمحي^(١) أثر الكتاب ؛ لما في ذلك من المصلحة العامة [٤٨] في الدين بمحو العقائد المختلفة ، فيتعين على ولي الأمر إحراق هذه الكتب دفعا للفسدة العامة ، ويتعين على من كانت عنده التمكين منها للإحراق .

رأى الشمس العيزري

ومنهم العلامة شمس الدين محمد العيزري الشافعي في كتاب سماه : الفتاوى المنتشرة . قال عن الفصوص : « قال العلماء : جميع ما فيه كفر ؛ لأنه دائر مع عقيدة الاتحاد^(٢) ، وهو من غلاة الصوفية المحذّر من طرائقهم ، وهم شعبان^(٣) : شعب حلولية يعتقدون حلول الخالق في المخلوق ، وشعب اتحادية لا يعتقدون تعددا في الوجود في زعمهم أن العالم هو الله ، وكل فريق منهم يكفر الآخر ، وأهل الحق يكفرون الفريقين . ثم قال . ومنهم ابن الفارض صاحب الديوان - وعد جماعة معه - ثم قال : ذكّر هؤلاء بالحلول والاتحاد جماعة من علماء الشريعة المتأخرين ، كالشيخ عز الدين بن عبد السلام وأبي عمرو بن الصلاح ، وابن دقيق العيد ، وشيخ الفقهاء الزين الكتتاني ، وقاضى القضاة الشيخ تقي الدين السبكي ، وحكم بتكفيرهم القضاة الأربعة : البدر بن جماعة ، والزين الحنفى ، والشرف الزواوى ، والسعد الحنبلى^(٤) - ثم ذكر كلام الشيخ أبى حيان فيهم

(١) في الأصل : يمتحى . والتصويب من العلم الشاسح .

(٢) صوابها : الوحدة . فهذا هو دين ابن عربى .

(٣) الحق أنهم ثلاثة : حلوليون ، واتحاديون ، وأهل الوحدة ، ولعل العيزري يستعمل الاتحاد في الدلالة على الوحدة أيضا .

(٤) تقدم ذكر بعض هذه الفتاوى ، وقد أوردها صاحب العلم الشامخ فطالها فيه من ص ٤٩٥ وما بعدها .

من تفسيره البحر^(١) إلى أن قال : - وقد انتدب بعض المغالطين من أهل العلم ممن يحسن الظن ببعضهم ، ولا صواب معه ، وصنّف تأويلات لنظم السلوك^(٢) وتعسف بما لا يصح الأخذ به لقوة ظواهر الألفاظ الخارقة جزماً لسياج عصمة الديانة ، وانتهاك حرمة الربوبية - ثم قال : - ويحوم^(٣) بظاهر كلامه على أنه هو الله ، وأن الله هو ، وهذا بهتان قبيح ، وكفر صريح - ثم قال : - وكان ابن الفارض يقول : إنما قتل الحلاج لأنه باح بسرّه ، إذ شرط هذا التوحيد الكتم^(٤) .

رأى لسان الدين ابن الخطيب ، والموصلى

ومنهم العلامة لسان الدين محب بن الخطيب الأندلسى المالكي^(٥) في كتابه روضة التعريف بالحب الشريف ، وأجاد في تقرير مذهبهم ، ورد ما شاء ، فقال « الفرع الخامس في رأى أهل الوحدة المطلقة - ثم قال - : وحاصله : أن البارى - جل وعلا - هو مجموع ما ظهر ، وما بطن ، وأنه لا شىء خلاف ذلك ، وأن تعدد هذه الحقيقة المطلقة والآنية الجامعة التى هى عين كل آنية ، والهوية التى هى

(١) سبق ذكر قول أبى حيان .

(٢) هى التائبة الكبرى لابن الفارض .

(٣) لا ، بل يسف إسفاً ، ويصرح بهذا غير موارد ولا موارد .

(٤) يعنى توحيدهم القائم على أساس اعتقاد أن الحق عين الخلق ، ويجنب بعض الصوفية عن التصريح المبين بهذا مخافة القتل ، ولذا يقول الغزالى عن هذه المرتبة ، محذراً لإخوانه الصوفية : إنها سر الربوبية . وإفشاء سر الربوبية كفر ، ويقول السهروردى المقتول :

بالسر إن باحوا تباح دماؤهم وكذا دماء العاشقين تباح

(٥) هو ذو الوزارتين مضرب الثل في الكتابة والشعر والطب ومعرفة العلوم

ولد سنة ٧١٣ هـ بفرناطة ، وتوفى سنة ٧٦٦ هـ .

عين كل هوية^(١) إنما وقع بالأوهام من الزمان والمكان واختلاف والنية والظهور والألم واللذة والوجود والعدم . قالوا : وهذه إذا حُقِّقت إنما هي أوهام راجعة إلى أخبار الضمير ، وليس في الخارج شيء منها ، فإذا سقطت الأوهام صار مجموع العالم بأسره ، وما فيه واحداً ، وذلك الواحد هو الحق ، وإنما العبد مؤلف من طرفي حق وباطل ، فإذا سقط الباطل - وهو اللازم بالأوهام - لم يبق إلا الحق [٤٩] وصرحت بذلك أقوال شيوخهم ، فمنه قول ابن أحلي : حق أقام باطلا ببعض صفاته ، وقال الحلّاج وابن العربي : وقد تعرض لما به وقع التعدد ، وأنه وهم ، فالكل واحد وإن كان متفرقا . فسبحان من هو الكل ، ولا شيء سواه الواحد بنفسه ، المتعدد بنفسه .

ومنهم الحافظ الرحلة شمس الدين أبو عبد الله محمد الموصلي الشافعي ، نزيل دار الحديث بدمشق . قال . « وفي كلام ابن عربي من الكفر الصريح الذي لا يمكن تأويله شيء كثير يضيق هذا الوقت من وصفه ، ومنه تفسير اسمه : العليّ بأن قال : العليّ على من ؟ وما ثمّ إلا هو^(٢) ! ! وهو المسمى أباسعيد [الخراز] .

رأى البساطي

ومنهم شيخنا علامه زمانه قاضي القضاة شمس الدين محمد بن أحمد البساطي المالكي قاضي مصر . قال في أول كتاب له في أصول الدين في المسألة السادسة في حدوث العالم : « وخالفنا في ذلك طوائف . الأولى : الدهرية ، والثانية :

(١) يعني : أنهم يدينون بأن الله سبحانه عين كل ما بطن ، وعين كل ما ظهر . فالآية عندهم هي تحقق الوجود العيني من حيث مرتبته الذاتية ، وتدل مواردها على أنها تستعمل في مقابل الماهية : أي المرادفة لمجرد الوجود ، وقد سبق تعريف الهوية .
(٢) في الأصل : الملا علا عن من ، وليس ثم غيره ، والتصويب من الفصوص

متأخرو الفلاسفة كأرسطو^(١) ، ومن تبعهم من ضلال المسلمين كابن سينا والفارابي^(٢) ومن حلى كلامه ، وزخرفه بشعار الصالحين كابن عربي وابن سبعين ثم قال في الكتاب الثاني في المسألة السادسة في أنه سبحانه ليس متحداً بشيء : واعلم أن هذه الضلالة للمستحيلة في العقول سرت في جماعة المسلمين ، نشأوا في الابتداء على الزهد والخلو والعبادة ، فلما حصلوا من ذلك على شيء صفت أرواحهم ، وتجردت نفوسهم ، وتقدست أمرارهم ، وانكشف لهم ما كانت الشواغل الشهوانية مانعة من انكشافه^(٣) ، وقد كانت طرق أسماعهم من

(١) أعظم فلاسفة اليونان على الإطلاق ، ولد بمدينة استاجيرا سنة ٣٨٤ قبل الميلاد ، أستاذة إفلاطون ، ومن تلاميذه إسكندر المقدوني . توفي سنة ٣٢٣ قبل الميلاد .

(٢) الفارابي : هو محمد بن محمد بن طرخان بن أوزلغ أبو نصر ، يقول عنه ابن خلكان : « أكبر فلاسفة المسلمين ، ولم يكن فيهم من بلغ رتبته في فنونه » . ولد في وسيق قرية تقع في فاراب من بلاد الترك فيما وراء النهر ، حصل علومه في بغداد على يوحنا بن خيلان ، ومات في دمشق سنة ٣٣٩ هـ عن ثمانين عاماً . أما ابن سينا فولد في أفشنة على مقربة من بخارى سنة ٣٧٠ هـ . في بيت تسموده تقاليد فارسية معارضة للإسلام . تقلد الوزارة لشمس الدولة في همدان . وتوفي سنة ٤٢٨ هـ وهو أشهر وأكبر فلاسفة عصره .

(٣) ما هذا الذي انكشف لهم ؟ لعله صور ما في أذهانهم المخبولة من تهاويل الجنون . ثم إن الإسلام ليس دين رهبانية ، ولا زهادة تطوى اللذات على نفسها الوحى ، حتى تخمد فيها جذوة الحياة الشاعرة ، وتخجى وقدات الشعور والإحساس بواجب الدين والنفس والحياة ، وهى طريحة الوهم فى غيابة كهفها السامم المظلم الحزين ، إنما الإسلام دين العمل والجد ، مع الإيمان الشرق والتقوى ، وانطلاق النفس فى رحاب الوجود ومجاليه ، كادحة فى سبيل الله ، لتحقيق الغاية الكبرى ، هى أن يكون الناس أمة واحدة تتجاوب أرواحهم بالإيمان والمحبة ، وتتجه مشاعرهم فى كل هزة إلى الله وحده ، وتتوحد بواعثهم وغايلتهم فى عبادة الله رب العالمين ، معتصمة بالحق والهدى من الكتاب والسنة .

خرافات النصارى ، أنه إذا حل روح القدس فى شىء نطق بالحكمة ، وظهر له أسرار مافى هذا العالم ، مع تشوّف النفوس إلى المناصب العلية ، فذهبوا إلى هذه المقالة السخيفة ، فمنهم من صرح بالاتحاد على المعنى الذى قاله النصارى ^(١) ، وزادوا عليه أنهم لم يقصروه على المسيح ، كما ذهب إليه الغلاة من الروافض فى على رضى الله عنه ، وكذا ما ذهب إليه جماعة فى خاتم الأولياء ^(٢) عندهم من

(١) يرى اليعاقبة من النصارى أن اللاهوت والناسوت يؤلفان فى المسيح طبيعة واحدة ، ويزعمون أن الكلمة انقلبت لحما ودمًا ، فصار الإله هو المسيح ، وهو الظاهر بجسده ، بل هو هو ، بإرادة الله وفعله هما إرادة المسيح وفعله ، هذا على حين كان الملكانيون يميزون بين طبيعتين فى المسيح اللاهوت والناسوت ، ويزعمون أن مريم ولدت إلهاً أزلياً ، وأن القتل والصلب وقع على اللاهوت والناسوت ، وأطلقوا اسم الأبوة على الله ، والبنوة على المسيح ، أما النسطوريون ، فكان أكثر تدقيقاً من الملكانيين فى التمييز بين الطبيعتين ، فأثبتوا للمسيح خصائص الإنسان فى الوجود والإرادة والفعل ، يميزين بين هذا وبين ما للعنصر اللاهوتى ، زاعمين أن الله سبحانه ذو أقانيم ثلاثة : الوجود والعلم والحياة ، ويدعون أن هذه الأقانيم ليست هى زائدة على الذات ، ولا هى هو « قارن بين هذا وبين رأى الأشاعرة فى الصفات » وأن الكلمة اتحدت بجسد عيسى لا على طريق الامتزاج كالملكانية ، ولا الظهورية كاليعاقبة ، ولكن كإشراق الشمس على بللور أو النقش فى الخاتم .. هذا معتقد النصارى ، ولعلك موقن بعده أن الصوفية أشد إيماناً فى الكفر من هذا ، فكل مانسبته المسيحية المفسفة إلى المسيح من ربوبية وإلهية ونبوة نسبته الصوفية إلى كل شىء ، قالت المسيحية : إن الله هو المسيح ابن مريم ، وقالت الصوفية : إن الله هو عين كل شىء . قالت الأولى : إن الله ثالث ثلاثة ، وقالت الصوفية : إن الله هو ما لا يحصى ولا يتناهى من الأبدان والعناصر ، فأيهما أدخل فى الكفر الحبيث من الآخر ؟

(٢) يدين الصوفية بأن النبوة أعلى من الرسالة ، وبأن الولاية أعلى من النبوة ، فيكون الولى عندهم أسمى مقاماً من النبى والرسول ، ولذا يقول ابن عربى :
مقام النبوة فى برزخ فوق الرسول ، ودون الولى =

= واستدلوا على إفكهم بأساطير : أولا : الولي يعلم الشريعة والحقيقة ، خير بالظاهر والباطن ، والنبي والرسول لا يعلمان سوى الشريعة أو الظاهر بحسب . ثانياً : الرسالة والنبوة محددتان بالزمان والمكان ، ولذا تنقطعان ، وقد انقطعنا فعلاً ، أما الولاية فلا تحدّها مكانية ولا زمانية ، بل هي صنو الديومة والسرمدية والانطلاق . ثالثاً : الرسول لا يستمد معرفته عن الله مباشرة . بل بواسطة ملك يبلغه الوحي الإلهي ، أما الولي فيستمد الحقيقة فيضا مباشراً من باطن الحقيقة الحمديّة : أي ذات الله مع التعيين الأول . رابعاً : أفضل أسماء الله هو الولي ، وكل موجود هو إسم إلهي تعين في صورة هذا الموجود ، فيكون الموجود الذي تعين فيه الله باسمه الولي ، أفضل من الذي تعين فيه باسمه الرسول أو النبي ، ولما كان للنبيين خاتم ، فكذلك للأولياء خاتم ، وهو يستمد فيوضات علم الحقيقة مباشرة عن الروح الحمدي ، وهو أشبه ما يكون بالعقل الأول عند أفلوطين ، أو بالكلمة في المسيحية الفلسفة .

وإليك ما يذكره ابن عربي عن خصائص الولاية وخاتم الأولياء « واعلم أن الولاية هي الفلك المحيط العام ، ولهذا لم تنقطع ، وأما نبوة التشريع والرسالة ، فنقطة ، والرسول من حيث هو ولي أتم من حيث هو نبي ورسول ، فراجع الرسول والنبي إلى الولاية والعلم » ثم يقول عن علم الحقيقة « ما وراء أحد من الأولياء إلا من مشكاة الولي الخاتم ، حتى إن الرسل لا يرونه — متى رأوه — إلا من مشكاة خاتم الأولياء » ثم يقول عن الخاتم : « وخاتم الأولياء الولي الوارث الآخذ عن الأصل المشاهد للمراتب » . أنظر ص ١٣٤ ، ص ٦٢ ، ص ٦٤ من فصوص الحكم ط الحلبي ولعل أول من زمزم لهم بهذه الأسطورة الكهنوتية : هو محمد بن علي بن الحسن بن بشر المعروف بالحكيم الترمذي — وهو غير صاحب السنن — وألف فيها كتاباً سماه ختم الولاية زعم فيه أن خاتم الأولياء يكون في آخر الزمان ، وأنه أفضل ممن تقدمه من الأولياء ، ومن أبي بكر وعمر ، ومن خصائصه عند اشتغاله بالأعمال القلبية أكثر من اشتغاله بالعبادة ، ولذا زعم الحكيم الترمذي : أن الولاية أفضل من النبوة ، ووضوح الباطل في هذه الأساطير بين لا يحتاج إلى بيان . وقد رد الإمام ابن نيمية عليها في الجزء الرابع ص ٥٧ مجموعة الرسائل والمسائل . هذا دين الصوفية في الولاية والولي وخاتمهم ، ومنه توقن : لم يضيف الصوفية إلى أوليائهم قدرة الله وعلمه =

الحلول ، ولم في ذلك كلات يعسر تأويل كلها لمن يريد الاعتذار عنهم ، بل منها ما لا يقبل التأويل ، ولم في التأويل خلط وخبط ، كلما أرادوا أن يقربوا من المحقول ازدادوا بعداً ، حتى أنهم استنبطوا قضية حلت لهم الراحة ، وقصوا في مخالطة الضرورة بها بالمغيب ، وهي أن مام فيه ، ويزعمونه وراء العقل ، وأنه بالوجدان يحصل ، ومن نازعهم محجوب مطرود عن الأسرار الإلهية ، وفي هذا كفاية . والله أعلم » انتهى .

البساطى وشرحه للتائية

وقد قام في زماننا ناس حدثان الأسنان سفهاء الأحلام ، أرادوا [٥٠] إظهار هذا المذهب ، ثم أخزاهم الله تعالى ، فقلقلوا كل مُقلقل ، وكان مما قالوه : أن الشمس البساطى هذا منهم ، وأنه شرح تائية ابن الفارض ، فاستبعد هذا منه . وإن كان ما قالوه صحيحاً ، فقد قضى على نفسه في كلامه هذا ، بأنه خرج من دائرة العقل . ثم يسر الله - وله الحمد - الاطلاع على الشرح المنسوب إليه ، فإذا هو برىء مما فرقوه به كما كنت أظن ، فرأيت أنه قال في أوله : « أما بعد : فهذا كتاب شرح قصيدة ابن الفارض ، ولباب فتح ، وصيد الحن [ابن] الفارض على وجه أنا نبين مراده من كلامه بقدر فهمنا لمقصوده منه ، ولا يلزمنا صحة ما قاله في العربية لفظاً ، أو في الشريعة معنى ، أو استحساناً ، عقلاً أو شرعاً أو عرفاً . ثم تسكلم على الآيات على وجه يظهر منها حملها على موافقة الشرع ما أمكنه ، فإذا عجز صرح في ذلك الموضع بما يليق به من الحكم عليه من غير

= وحكته وربوبيته وإلهيته ؟ وتوقن : لم نحارب هذه الولاية المزعومة ؟ وسنظل بعون الله ندمر هذه الطواغيت والأصنام ، داعين الناس إلى أن يكونوا من أولياء الله الذين وصفهم رب العالمين : (ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون ، الذين آمنوا وكانوا يتقون » .

ثم قرر^(١) أمر للتسخير ، وأن منه ما هو بللّال ، ومنه ما هو بالحال ، وأن ما هو بالحال مثل تسخير الطفل لأبيه بالقيام في مصالحه ، وتسخير الرعايا للملك بقيامه في مصالحهم - قال . « وهذا كله تسخير بالحال من الرعايا يُسَخَّرُونَ [في ذلك] ملكهم ، ويسمى على الحقيقة تسخير للرتبة ، فالمرتبة حكمت عليه ملك ، فالعالم كله يُسَخَّر بالحال من لا يمكن أن يُطْلَق عليه اسم مُسَخَّر . قال الله تعالى : (٥٥ : ٢٩ كل يوم هو [في] شأن) فمكان عدم قوة لإرداع هرون بالفعل أن ينفذ في أصحاب العجل بالتسليط على العجل ، كما سُلِّط موسى [عليه] حكمة من الله ظاهرة في الوجود ؛ ليعيد في كل صورة^(٢) ، وإن ذهبت تلك الصورة بعد ذلك ، فما ذهبت إلا بعد ما تَلَبَّست عند عابدها بالألوهية ، ولهذا ما بقي نوع من الأنواع إلا وعُبد ، إما عبادة تَأَلُّه ، وإما عبادة تسخير ، فلا بد من ذلك لمن عقل ، وما عُبدَ شيء من العالم إلا بعد التلبس بالرفعة عند العابد ، والظهور بالدرجة في قلبه ، ولذلك تسمى الحق لنا برفع الدرجات ، ولم يقل : رفيع الدرجة ، فكثير الدرجات في عين واحدة ، فإنه قضى ، أن لا يُعْبَدَ إلا إياه في درجات كثيرة مختلفة ، أعطت كل درجة مجلى إلهيا عُبدَ فيها .

المهوى رب الصوفية الأعظم

وأعظم مجلى عُبدَ فيه ، وأعلاه المهوى ، كما قال : (٤٥ : ٢٣ أفرأيت من اتخذ إلهه هواه ١٩) وهو أعظم معبود ، فإنه لا يُعْبَدَ شيء إلا بالله ، ولا يُعْبَدَ هو إلا بذاته^(٣) ، ثم قال : « والعارف المكمل من رأى نكلاً معبود مجلى للحق يُعْبَدَ

(١) أي ابن عربي

(٢) يفترى على الله أنه يسخر الناس ليعبدوه في كل صورة ، أي ليعبد كل إنسان نفسه وغيره من جماد وحيوان فالله الصوفية عين كل كائن ، وعين كل شهوة وعين كل جريمة . وعين كل فاحشة

(٣) ص ١٩٤ فصوص . وبهذا يوقن القارىء أننا لم نتجن على الصوفية ، فبما =

وما قبله ، وما بعده مما ادعى فيه أن الله يتحد به ، ويتجلى بصورته من غير حلول ، مانعه^(١) : « ولكن دعوى تجلى الله بصورة ما مكفر^(٢) بها شرعاً بإجماع المسلمين والكافرين من آمن به^(٣) ، وإن لم يكن حلولاً »

رأى ابن حجر والبلقينى وغيرهما

ومنهم شيخنا شيخ الإسلام حافظ عصره قاضى القضاة أبو الفضل بن حجر ، وشيخه شيخ الإسلام سراج الدين عمر بن رسلان البلقينى^(٤) ، فقال فى ترجمة عمر بن الفارض فى لسان الميزان بعد أن ذكر ترجمة الذهبى له بأنه شيخ الاتحادية وأنه ينطق بالاتحاد الصريح فى شعره : « وقد كنت سألت شيخنا سراج الدين البلقينى عن ابن العربى ، فبادر بالجواب بأنه كافر ، فسألته عن ابن الفارض ، فقال : لا أحب التكلم فيه ، فقلت : فما الفرق بينهما ، والمهيح واحد ؟ ! وأنشدته من التائية [٥١] فقطع علىّ بعد إنشاد عدة أبيات بقوله : هذا كفر ، هذا كفر » .

ومنهم الشيخ ولى الدين العراقى وأبوه كما تقدم فى الفص الموسوى وغيره ، ومنهم العلامة برهان الدين السفاقينى صاحب الإعراب ، ونظم قصيدة طويلة يتحرق فيها ، ويندب أهل الإسلام لهؤلاء الضلال ، فقال فيها :
فشيخهم الطائى^(٥) فى ذاك^(٦) قدوة يرى كل شىء فى الوجود هو الحق^(٧)

(١) مقول قوله قبل : وقال فى شرح

(٢) فى الأصل : مكر . والتصويب من الأصل نفسه ، إذ ورد فيه هذا النص مرة أخرى .

(٣) أى : من آمن بتجلى الله فى صورة ما فى الدنيا

(٤) ولد سنة ٨٠٥ هـ ، ولى إفتاء دار العدل وقضاء دمشق ، ثم عاد إلى القاهرة توفى سنة ٨٠٥ هـ .

(٥) يعنى : ابن عربى .

(٦) فى الأصل : ذلك . وهو خطأ يخل به وزن البيت

(٧) أى الله سبحانه

وكم من غويّ كابن سبعين مثله وكُلُّهم بالكفر قد طُوقُوا طوقاً
وكالشترى القونوى ، وابن فارض فلا برّاد الله نرام ، ولا أبقى
ومن كفر ابن الفارض بصريح اسمه شيخنا محقق عصره ، قاضى القضاة
شيخ الإسلام محمد بن على الغاياتى الشافعى^(١) . أخبرنى عنه بذلك الثقة من غير
وجه ، وأخبرنى الثقة عن الشيخ مدين^(٢) أنه قال : الثائية هى الفصوص ،
لا فرق بينهما ، وقد كان المذكور رأس صوفية عصرنا .

مقتل الحلاج

ومنهم الحافظ عماد الدين إسماعيل بن كثير الدمشقى الشافعى ، وقال : « هؤلاء
كلهم يقتفون فى مسالكهم هذه طريقة الحسين بن الحلاج الذى أجمع الفقهاء
فى زمانه على كفره وقاتله ، قله الإمام أبو بكر المازرى الفقيه المالكى « قلت :
وما قاله القاضى عياض كما تقدم نقله عنه فى مقدمة هذا الكتاب . والله الموفق .
قال : « وقد بسطت سيرته فى التاريخ بعد الثلاثمائة ، وذكرت صفة قتله ،
واجتماع الكلمة على تكفيره من العلماء والصوفية العباد ، سوى ابن عطاء وابن
خفيف ، حتى أشدهما بعضهم من شعره قائلا : ماتقولان فى قول بعض الشعراء :
سبعان من أظهرنا شوته^(٣) سرّ سنا لاهوته القاقب
ثم بدا فى خلقه ظاهرا فى صورة الآكل والشارب

(١) ولد سنة ٧٨٥ تقريبا . وتوفى سنة ٨٥٠ هـ

(٢) هو مدين خليفة الأشمونى ، نسبة إلى أشمون جريس من أعمال المنوفية
ولد بها سنة ٧٨١ تقريبا ، وتوفى فى ربيع الأول سنة ٨٩٢ هـ يقول عنه السخاوى :
« وأما فى تحقيق مذهب القوم فهو حامل رأيه ، والمخصوص بصريحه وإشاراته
مع أنه لم يكن يتكلم فيه إلا بين خواصه »

(٣) تقرأ بالضم وبالفتح ، وهى بالضم أدق فى الدلالة على دين الحلاج

حتى لقد عاينه خلقه^(١) الحاجب بالحاجب
فقالا : هذا شعر الزنادقة^(٢) ، فقال : هذا شعر الحسين بن منصور الحلاج ،
فلعنا الحلاج ، ورجعا عنه « انتهى .

رأى الذهبي

وَمَنْ صرح بكفره ، وأحسن في بيان أمره حافظ عصره شمس الدين محمد بن
أحمد بن عثمان الذهبي ، فقال في كتابه تاريخ الإسلام بعد خط الحافظ سيف الدين
ابن الجند على الحريري المتصوف : « فكيف لو رأى الشيخ كلام ابن عربي
الذي هو محض الكفر والزندقة ، لقال : هذا الدجال المنتظر ، ولكن كان
ابن العربي^(٣) منقطعاً عن الناس ، إنما يجتمع به آحاد الاتحادية^(٤) ، ولا يصرح
بأمره لكل أحد ، ولم تشتهر كتبه إلا بعد موته ، ولهذا تمادى أمره ، فلما كان
على رأس السبعائة جدد الله لهذه [الأمة] دينها بهتكه وفضيحتة ، ودار بين
العلماء كتابه الفصوص ، وقد خط عليه الشيخ القدوة الصالح إبراهيم بن معضاد
الجبيري فيما حدثني به شيخنا ابن تيمية عن التاج [٥٢] البارنباري أنه سمع الشيخ
إبراهيم يذكر ابن عربي : كان يقول بقدم العالم ، ولا يحرم فرجا ، وحكى عنه
ابن تيمية أنه قال لما اجتمع^(٥) بابن عربي : رأيت شيخاً نجساً يكذب بكل كتاب
أنزله الله ، وبكل نبي أرسله الله^(٦) . »

(١) في الأصل : كخطة ، وهو خطأ ، صوابه ما أثبتته

(٢) أي من أنشدهما من شعر الحلاج

(٣) اصطلاح أهل المشرق على تسميته بابن عربي ، أي من غير آل ، تمييزاً له من

أبي بكر بن العربي القاضي الفقيه المالكي

(٤) ابن عربي زعيم وحدة الوجود لا الاتحاد

(٥) أي ابن معضاد

(٦) انظر مجموعة الرسائل والمسائل ج ٤ ص ٧٦ ، فيها نص ما ذكر هنا

رأى ابن تيمية وغيره من العلماء

وقال الإمام أبو العباس أحمد ابن تيمية في كتابه الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان : « وقد صنف بعضهم - أى أهل الاتحاد - كتباً وقصائد على مذهبه ، مثل قصيدة ابن الفارض المسماة : بنظم السلوك ، يقول فيها - وذكر منها عدة أبيات ^(١) - ثم قال : إلى مثل هذا الكلام - أى الدال على الاتحاد - ، ولهذا كان عند الموت ينشد ^(٢) :

إن كان منزلى فى الحب عندكم ما قد رأيتُ فقد ضيّعت أياي
أُمْنِيَّة ظفرت روحى بها زمنا واليوم أحسبها أضغاث أحلام
فإنه كان يظن أنه هو الله ، فلما حضرت ملائكة الله لقبض روحه ، تبين له بطلان ما كان يظنه ^(٣) » وقال فى إفتائه الذى استفقاه فيه الشيخ سيف الدين عبد اللطيف بن بلبان السعودى ، بعد أن حكى جملة من أقوال ابن عربى صريحة فى الكفر : « فإن صاحب هذا الكتاب المذكور الذى هو فصوص الحكم ، وأمثاله مثل صاحبه القونوى ^(٤) - يعنى صدر الدين - والتلمسانى وابن سبعين ، والششتري وابن الفارض وأتباعهم ، مذهبهم الذى هم عليه أن الوجود واحد ، ويسمون أهل وحدة الوجود ، ويدعون التحقيق والعرفان ، وهم يحملون وجود

(١) مما استشهد به ابن تيمية قول ابن الفارض :

لها صلواتى بالمقام أقيمها وأشد فيها أنها لى صلت
كلانا مصل واحد ساجد إلى حقيقته بالجمع فى كل سجدة
وما كان لى صلى سواى ولم تكن صلاتى لغيرى فى أدا كل ركعة

(٢) أى ابن الفارض

(٣) انظر ص ٨٣ وما بعدها من الفرقان ط ١٣٦٦ هـ ، ص ٧٦ ج ٤

مجموعة الرسائل والمسائل

(٤) محمد بن إسحاق من أهل الوحدة . هلك سنة ٦٧٣ هـ

الخالق عين وجود المخلوقات ، فكل ما تتصف به المخلوقات من حسن وقبح ومدح وذم إنما المتصف به عندهم عين الخالق^(١) ، وليس للخالق عندهم وجود مَبَيِّن لوجود المخلوقات منفصل عنها ، بل عندهم ما شَمَّ غير أصلا للخالق ولا سواء فَعَبَاد الأصنام لم يعبدوا غيره عندهم ، لأنه ما عندهم له غير وأما العلامة ابن دقيق العيد ، فذكر أنه سمع عز الدين بن عبد السلام يقول في ابن عربي : شيخ سوء كذاب هـ ومن حط عليه ، وحذر منه الشيخ القدوة إبراهيم الرقي^(٢) - ثم ذكر جماعة ممن تقدم ذكرهم في إفتائهم بأن كتابه الفصوص فيه الكفر الأكبر ، وقد ذكر ابن أبي حجلة أيضاً عن غير هؤلاء ممن كفر هذه الطائفة من علماء الإسلام وذكر في كلام كل منهم في إبطال هذا المذهب ما لا لبس فيه ، وفيما ذكرته مقنع ، وذكر الحافظ تقي الدين الفاسي^(٣) في كتابه فيه : « مَن كفره الإمام أبو زيد عبد الرحمن بن محمد الحضري ابن خلدون قاضي المالكية بمصر ، وقال في فتوى ذكرها^(٤) فيه ، وفي أضرابه ، فيتعين على ولي الأمر إحراق هذه الكتب دفعاً للمفسدة العامة^(٥) .

(١) قال ابن عربي في الفصوص : « فالعلي لنفسه هو الذي يكون له الكمال الذي يستغرق به جميع الأمور الوجودية والنسب العدمية ، بحيث لا يمكن أن يفوته نعت منها ، وسواء كانت محمودة عرفاً وعقلاً وشرعاً ، أو مذمومة عرفاً وعقلاً وشرعاً ، وليس ذلك إلا لمسمى الله تعالى خاصة » ص ٧٩ فصوص . فما ينسبه ابن تيمية إليهم صدق وحق في شأنهم

(٢) ولد سنة ٨١٢ هـ وتوفي سنة ٨٨٤ قال عنه السخاوي : ونعم الرجل كان رحمه الله وإيانا

(٣) محمد بن أحمد بن علي . ولد سنة ٧٧٥ هـ بمكة . وتوفي سنة ٨٣٢

(٤) سبق ذكر هذه الفتوى

(٥) في هامش الأصل جاء ما يأتي : « قلت : رأيت مصرحاً به في كتابه

« يعني ابن خلدون » عيون العبر ، وديوان المبتدأ [والخبر] ، وفصل هناك تفصيلاً زائداً ، وهو كتاب لا نظير له »

ومما ذكره الفاسي أيضاً من مكفريه : الإمامان رضي الدين أبو بكر بن محمد بن صالح [٥٣] الجبلي المعروف : بابن الخياط^(١) الشافعي مدرس الميمنية بقمز ، ومفتي تلك النواحي ، والقاضي شهاب الدين أحمد بن علي النفاثري^(٢) الشافعي مفتي زبيد ، وفاضل اليمن شرف الدين إسماعيل بن أبي بكر المقرئ^(٣) الشافعي ، قال : « ويَبْن من حال ابن عربي ما لم يبينه غيره » وقال : وأما من أثنى على ابن عربي ، فافضله وزهده ، وإيثاره ، واجتهاده^(٤) في العبادة ، ولم يعرفوا ما في كلامه من المنكرات ، لاشتغالهم عنها بالعبادات . وقال الفاسي أيضاً « وبعض المثنيين عليه يعرفون ما في كلامه من المنكرات ، ولكنهم يزعمون أن

(١) من كبار علماء اليمن ولد سنة ٧٧٢ هـ يقول عنه السخاوي « انتهت إليه رئاسة الفقه ، وجرى بينه وبين المجد الشيرازي مراجعات ، بسبب إنكاره على المشتغلين بكتب ابن عربي » توفي سنة ٨١١ هـ

(٢) ولد سنة ٧٨٩ هـ ، وهو من كبار علماء اليمن ، ولي قضاء زبيد نيابة عن والده . توفي سنة ٨٥٤ هـ

(٣) ولد سنة ٨٠٨ هـ وتوفي سنة ٨٧٥ هـ له قصيدة طويلة يذم فيها الصوفية ويحذر منهم ، منها :

حوتن كتب حارب الله ربها	وغربها من غرب بين الحواضر
تجاسر فيه ابن العربي واجترا	على الله فيما قال كل المتجاسر
فقال بأن الرب والعبد واحد	فربي مربوب بغير تفسير
وأنكر تكليفا ، إذ العبد عنده	إله وعبد ، فهو إنكار فاجر
وقال : تجلي الحق في كل صورة	تجلي عليها ، فهي إحدى المظاهر
فسبحان رب العرش عما يقوله	أعادي من أمثال هذي الكبار
فكذبه يا هذا تكن خير مؤمن	وإلا فصدقه تكن شر كافر

وتقع هذه القصيدة في سنة وسبعين بيتا ، نقلها القبلي في كتابه العلم الشامخ ص ٥٠٤

(٤) أي فضل لابن عربي ؟ إيمانه بأن فرعون هو الله ؟ أم عشقه بمسكة امرأة زعم لها بعد أنها هي الله ؟

لها تأويلات ، وحملهم على ذلك كونهم تابعين لابن عربى فى طريقته ، فنبأؤهم على ابن عربى مطروح لتزكيتهم معتقدهم .

رأى علاء الدين البخارى

ومن كُفّر أهل هذا المذهب شيخ مشايخنا نادرة زمانه علاء الدين محمد بن محمد بن محمد البخارى الحنفى ، وصنف فيهم رسالة سماها : « فاضحة الملحدين ، وناصحة الموحدين » ويّين أن وحدتهم الوحدة التى قرر أصلها بعضُ الفلاسفة ، لا التى يسميها أهل الله : الفناء^(١) ، ونقل عن القاضى عضد الدين تكفيرهم ، فإنه قال فى وصفه لابن عربى : « يحكى عنه أنه كان كذاباً حشاشاً كأوغاد الأوباش » فقد صح عن صاحب كتاب المواقف عضد الملة والدين ، أعلى الله درجته فى عليين ، أنه لما سئل عن كتاب الفتوحات لصاحب الفصوص حين وصل هنالك قال : « أفتطمعون من مغربى يابس المزاج بحر^(٢) مكة ، ويأكل الحشيش شيئاً غير ذلك ؟ وقد تبعه - أى ابن عربى - فى ذلك ابن الفارض حيث يقول : أمرنى النبى صلى الله عليه وسلم بتسمية التائبة : نظم السلوك !! إذ لا يخفى على العاقل أن ذلك من الخيالات المتناقضة الحاصلة من الحشيش ؛ إذ عندهم أن وجود الكائنات هو الله تعالى ، فإذا الكل هو الله ، لا غير ، فلا نبى ، ولا رسول ، ولا مرسل إليه ، ولا خفاء فى امتناع النوم على الواجب ، وفى امتناع افتقار الواجب إلى أن يأمره النبى بشىء فى المنام ، لكن لما كان لكل ساقطة لاقطة ، ترى طائفة من الجهال ذلت أعناقهم لها ، خاضعين أفراداً وأزواجا ،

(١) هذا اصطلاح صوفى ابتدعه الضالون تمهيدا لتقرير وحدة الوجود ، وظنى أن أول من تكلم به هو طيفور بن عيسى البسطامى ، فكيف يكون هذا من تسمية أهل الله ؟ وما قرره فى مفهومه الصوفى الكتاب ولا السنة ، ولا تكلم به صحابى ولا تابعى

(٢) كذا بالأصل : ولعلها : حرم مكة

وشرخمة من الضلال يدخلون في فسوق الكفر بعد الإيمان ، زمراً وأفواجا مع أنهم يرون أنه اتخذ آيات الله ، وما أنذروا به هزواً ، وأشرك جميع المكفات - حتى الخبائث والقاذورات - بمن لم يكن له كفواً أحد .

تحقيق معنى الكافر والملحد والزنديق والمنافق

وقال في آخر رسالته : « إنهم يسمون كفرة وملاحدة وزنادقة ، وذلك أن الكافر اسم لمن لا إيمان له ، فإن أظهر الإيمان من غير اعتراف بنبوة النبي صلى الله عليه وسلم خص باسم المنافق ، دون الزنديق ؛ لأن الله تعالى لم يسم الذين فاقوا [٥٤] في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم زنادقة ، فدروز^(١) الشام - على ما تشهد به كتبهم الملعونة - إنما يظهرون الإيمان ، ولا يعترفون بنبوة النبي عليه الصلاة والسلام ، فهم مباحيون منافقون ، لازنادقة على ما يتوهم ذلك ؛ لعدم التفرقة بين المنافق والزنديق ، وإن طراً كفره بعد الإيمان خص باسم المرتد ؛ لرجوعه عن الإيمان ، وإن قال يلهين أو أكثر خص باسم المشرك ؛ لإثباته الشريك في الألوهية ، وإن كان متديناً ببعض الأديان والكتب المنسوخة خص باسم الكتابي ، كاليهود والنصراني ، وإن كان يقول بقدم الدهر ، واستناد الحوادث ، خص باسم الدهري ، وإن كان لا يثبت الصانع خص باسم المعطل ، وإن كان مع اعترافه بنبوة النبي صلى الله عليه وسلم ، وإظهار شعائر الإسلام ، يتبطن عقائده ككفر بالاتفاق خص باسم الزنديق ، وهو في الأصل منسوب

(١) واضع نحلته محمد بن إسماعيل الدرزي ، وقد تقدمت ترجمته ، والدروز لا يضيفون الألوهية إلا إلى الحاكم ، ويدعون برجعه آخر الزمان ، وينكرون الأنبياء والرسل جميعاً ، وينكرون أصول الإسلام والنصرانية واليهودية ، ويغضون في الباطن جميع أبناء الأديان الأخرى ، ولا سيما المسلمين ، ويستبيحون دماءهم وأموالهم ، ويفترون أن القرآن من صنع سلمان الفارسي ، وهم الآن بالجيل المسمى باسمهم في سوريا ، انظر كتاب الحاكم بأمر الله للأستاذ محمد عبد الله عنان

إلى زند^(١) اسم كتاب أظهره مزدك^(٢) في أيام قباد ، وزعم أنه تأويل كتاب المجوسى الذى جاء به زرادشت^(٣) الذى يزعم أنه نبىهم ، وإن كان مع تبطن تلك العقائد الباطلة يستحل الفروج ، وسائر المحرمات بتأويلات فاسدة ، كما يزعم الباطنة والوجودية^(٤) خص باسم الملحد . والزنديق فى عرف الشرع : اسم لما عرفت^(٥) ، لا لـكل من صدر عنه فعل ، أو قول يوجب التكفر على ما هو

(١) ليس من وضع مزدك ، وإنما هو شرح زرادشت لكتابه هو المسمى أفستا
(٢) ظهر مزدك بفارس سنة ٤٨٧ م ، وهو ثنوى يدين بالنور والظلمة . أما دعوته الاجتماعية فيتحدث عنها الشهرستانى بقوله : « أحل النساء ، وأباح الأموال وجعل الناس شركة فيها » وحين اشتدت وطأة بعض الخلفاء العباسيين على المزدكيين فرزعاؤهم إلى أوروبا . وتستطيع بهذا إدراك ما بين المزدكية والشيوعية من صلة ، وتعرف المصدر القديم لهذه

(٣) يزعم الفرس أنه نبى ، ولد حوالى سنة ٦٦٠ قبل الميلاد ، وقد وضع دينا ليس بجديد كل الجدة ، بل أرسى أصوله على أسس من الديانة الفارسية القديمة ، ومات حوالى سنة ٥٨٣ ق م . وكتابه الذى يزعم أنه أوحى إليه به يسمى : أفستا ، أو أبستاق كما يسميه المسعودى فى مروج ، وزرادشت بمن يدينون بأصليين ، أحدهما : أصل الخير ، ويسميه « أهورا مزدا » والآخر : أصل الشر ، ويسميه « أهرمن » ويزعم زرادشت أن بين الأصليين نزاعا دائما ، بيد أن الخير سيهزم الشر فى النهاية ، لذا كانت نزعته تفاؤلية ، غير مبالغ فى دعوته إلى الزهد ، بل أباح التمتع بالطيبات ، وفى ديانته ما يوحى بأنه كان يؤمن بالبعث والجزاء على تصور وتصوير خرافيين ، ويرى بعض الباحثين أن زرادشت كان موحدا يؤمن بأن ما فى العالم من خير وشر أثران للاله الواحد . انظر الملل والنحل ، ومروج الذهب ج ١ ، والكامل لابن الأثير ج ١ ، وتاريخ ابن خلدون ج ١ .

(٤) القائلون بوحدة الوجود

(٥) ذكر الشهاب الحفاجى فى شفاء الغليل أن لفظ الزنديق ليس عربيا ، وذكر عن أبى حاتم أنه فارسى معرب « زندکرد » أى عمل الحياة ، ثم ذكر كلاما طويلا يظهرنا على مدى ما بين أئمة اللغة وغيرهم من اختلاف بين فى تحديد مفهوم =

متعارف أهل عصرنا ، وقد يتوهم بناء على عدم الشعور بمعنى الحلول والاتحاد ، أن الوجودية حلولية ، أو اتحادية ، وليس كذلك ؛ إذ الحلول والاتحاد إنما يكون بين موجودين متغايرين في الأصل ، والوجودية يجعلون الله تعالى عين وجود الممكنات ، فلا مغايرة بينهما ، ولا اثنية ، فلا يتصور ههنا الاتحاد والحلول ،

= هذه الكلمة .. والحق أنه ليس في الشرع ولا في اللغة تحديد جامع مانع لمفهومها والحق أن الزنديق لفظ غامض مشترك ، لم يطلق بمعنى واحد في كل عصر ، ولا على قوم بخصوصهم ، بل تعددت معانيه ، واختلفت إطلاقاته ، فنراه أطلق على كل من اعتنق ديناً فارسياً كالمانويين والزرادشتيين والمزدكيين والديصانيين ، أعنى على كل تنوى فارسى ، ونراه أطلق على كل ملحد ، وكل مبتدع ، وكل ماجن من الشعراء وغيرهم . قال بشار يهجو ابن أبي العوجاء

لا تصلي ، ولا تصوم ، فإن صمت ، فبعض النهار صوماً دقيقاً

لا تبالي إذا أصبت من الخمر رعتيها ألا تكون عتيقاً

ليت شعري غداة حليت في الجنـد حنيفاً حليت ، أم زنديقاً

وقال أبو نواس : تيه مغن ، وظرف زنديق . قال الصولي « وإنما قال ذلك لأن الزنديق لا يدع شيئاً ، ولا يمتنع عما يدعى إليه ، فنسبه إلى الظرف لمساعدته على كل شيء . وقلة خلافه » والتأمل في تاريخ الكلمة يلحظ أنها أطلقت أول ما أطلقت على تنوية الفرس ، وعلى من أعدام الفرس بتنويتهم من العرب . وهذا يجعلنا نؤمن بالتطور في تاريخ هذه الكلمة ، نؤمن بأنه قصد بها أولاً كل تنوى فارس ، ثم توسع بعد هذا في مفهومها ، فتعددت تبعاً لهذا التوسع إطلاقاتها ، فإنك لتجد صلة قوية بين كل من أطلق عليهم هذا اللفظ بعد ، وبين الثنويين : إما في دين ، وإما في خلق ، وإما في نزعات الشاعر والأحاسيس . والتصوف - بدراسة دقيقة لتاريخه - ماهو إلا امتداد لهذه المؤامرات التي قام بها الزنادقة الأول ، لإفساد العقائد ، فيفسد المسلمون ، فلا تكون لهم دولة ولا جامعة ، بيد أن الشيطان أوحى إلى أوليائه تسميتها صوفية !! يا للمجوسية تراءى للمسلمين في وشاح من الربانية ، وشفوف من الروحانية العليا في الإسلام ، ويا للمسلمين بينهم كتاب الله ، ويخضعهم هذا الزيف المجوسى !! انظر أمالى المرتضى ج ١ ، شفاء الغليل للخفاجى ، ضحى الإسلام ، من تاريخ الإلحاد للدكتور بدوي

بل زندقة أخرى أنجس منها باطلة ببدية العقل ؛ إذ القائلون بها يحملون الله تعالى أسراً اعتبارياً لا وجود له في الخارج .

بعض مصطلحات الصوفية

وقال ^(١) « إن الملاحدة عبروا عن ضلالتهم بعبارات العارفين بالله ^(٢) ، يتسترون بها في زندقتهم ، فينبغي الحذر من ذلك ، فأرادوا بالفناء نفى حقائق الأشياء ، وجعلوها خيالا وسرابا على ما هو مذهب السوفسطائية ^(٣) ، وبالبقاء ملاحظة الوجود المطلق ، وبالوحدة المطلقة كون ماسوى الوجود من الأشياء خيالا وسرابا ، وكون وجود جميع الأشياء - حتى وجود الخبائث والقاذورات ^(٤) - إلها ، وذلك

(١) أى علاء الدين البخارى

(٢) التسمية بالعارف بدعة صوفية ، تحفى وراءها كيدا خفيا للشريعة ، إذ الغاية عندهم المعرفة وحدها لا العبادة ؛ معرفة أن الحق عين الخلق . أما الغاية الحقة لكل مسلم ، فهي الإيمان الصحيح مع التوحيد الخالص ، مع التقوى ، وكم من عارف صوفى دينه أساطير ، ودعوته مجوسية

(٣) مشتق من الكلمة اليونانية « سوفيا » أى الحكمة ، والسوفيست هو الحكيم ، وبه لقب رجال هذه المدرسة أنفسهم ، ولكنها تطورت معهم ، وتغير مدلولها بهم ، حتى صارت تدل على المغالطة والتشكيك والممارسة . والصيغة العامة لمذهبهم الفكرى إنكار الحقيقة المطلقة ، والجزم باستحالة الحكم العام ، فالحقائق عندهم اعتبارية كلها ، ومقياس الحقيقة هو الإحساس الفردى ، فما يراه شخص ما حقا ، فهو حق ، وإن كان غيره يراه موغلا في تيه الباطل . وأشهر زعماء هذه المدرسة التى عاشت قبل سقراط « پروتاجوراس » وجورجياس « أما عقيدتهم فى الإلهية فيوضحها قول الأول « لا أستطيع أن أعلم إذا كان الآلهة موجودين ، أم غير موجودين » ونرى شها واضحا بين السفسطائية والصوفية فى النهج وفى النتائج فالأولون يرون الإحساس الفردى مصدر المعرفة ومقياسها ، والآخرون يرون الذوق الفردى ، وكلاهما يدين بأن الحقائق اعتبارية

(٤) نسبة هذا إلى الصوفية ثابتة صادقة

غير ما أراد العارفون ، فإنهم أرادوا بها معاني يصدقها الشرع^(١) ، وهم مصرحون بأن كل حقيقة يردّها الشرع فهي زندقة ، وأنه ليس في أسرار المعرفة شيء يناقض ظاهر الشرع ، بل باطن الشريعة يتم بظاهرها ، وسره يكمل صريحه [٥٥] ولهذا إذا انكشفت على أهل الحقيقة أسرار الأمور على ما هي عليه^(٢) ، نظروا إلى الألفاظ الواردة في الشرع ، فما وافق ما شاهدوه قرروه ، وما خالف أولوه بما يطابق الشرع ، كآيات التشابه^(٣) ، ولا يستبعد وقوع التشابه في الكشف ابتلاء

(١) مافي الشرع تلك الزمزمات الكهنوتية التي يزعم البخاري أنها من حقائق العارفين ، فما في القرآن ، ولا في السنة ، ولا في قول صحابي ، أو تابعي ، أو مؤمن ما يسمى : الفناء ، البقاء ، الوحدة المطلقة ، فناء الفناء . مافي الشرع مطلقا أثارة من هذه بدلائلها الصوفية ، اللهم إلا إذا شاءوا وصف القرآن بأنه خلى من المعارف الإيمانية الحقة ، أو الرسول والصحابة والتابعين بأنهم غير عارفين . هنالك في الإسلام مرتبة عليا هي الإحسان : وهي « أن تعبد الله كأنك تراه ، فإن لم تكن تراه ، فإنه يراك » فلم يبغض الصوفية هذه المرتبة ؟ !

(٢) هذا بهتان صوفي ، فالذي يعلم ويدرك أسرار الأمور على ما هي عليه هو الله رب العالمين وحده ، بيد أن المس الصوفي يجري على لسان العلّاء البخاري تهويل الخرافة والأسطورة

(٣) في قوله بما يطابق الشرع تلبيس ، فالتأويل إنما ابتدعه أصحابه ، ليجعلوا النقل مطابقا للعقل ، إذ القاعدة عندهم : العقل أصل النقل ، والعقل حاكم على النقل ، فما لم يرتض واحد من المؤولة بعضا من الكتاب والسنة ، أول هذا الذي لم يرتضه ، أو بتعبير أدق : جرده من معانيه الأصلية الصحيحة ، ووضع له معاني من عنده ، حتى يطابق — في زعمه — ما يحكم به العقل !! ولكن عقل من ؟ ! هذا ما نطلب الجواب عنه من المؤولة ، وستظل علامة الاستفهام هذه أمام العقل دون أن يحير عنها جوابا ، ثم إنه لم يذن بالتأويل سوى من سموهم خلفا ، أما الصحابة والتابعون والسلف الصالحون ، فلم يروا أحد منهم في آيات الصفات وأحاديثها ما برعش طمأنينة الإيمان واليقين الثابت في الأعماق المشرقة من قلبه ، ولم يصفها أحد منهم بأنها من التشابه ، ولم يؤول أحد منهم شيئا منها مطلقا ، =

لقلوب العارفين^(١) ، كما أن وقوع التشابه في الشرع ابتلاء لقلوب الراسخين ، فأراد ببقاء التخلق بالأخلاق الإلهية ، والتَنَصُّل عن كدورات الصفات البشرية والفناء عندهم عبارة عن اظمحلال الكائنات في نظرهم مع وجودها ، وعن الغيبة عن نسبة أفعالهم إليهم ، وكذا الوحدة المطلقة عبارة عن مشاهدة الله — لا غير — صميين الموجودات لاظمحلالها مع تحققها ووجودها عند ظهور أنوار التجليات ، كاظمحلال الكواكب مع وجودها عند ظهور نور الشمس في النهار ، فإن كان العارف في هذه الحال يرى نفسه ، فذلك هو الفناء في التوحيد — وهو مرتبة الخواص ، وهو مشوب بكدورة وقصور ، وإن غاب مع ذلك عن مشاهدة نفسه

— وأمشاج من الزور ما زعمه البخارى هنا ، ألا تراه يدين بأن الشريعة ، لا يحكم عليها حق بالعقل ، بل بما يقيم على النفس من خواطر الأوهام ، ويدين على الفكر من غيوم الأهواء ؟ ! يدين بأن الكشف — وهو ألين أسطورة ابتدعها الصوفية لمحاربة الكتاب والسنة — هو مقياس حقائق الشرع ، تقاس بأوهامه يقين الوحي الإلهي ، وقيمه السماوية المقدسة . وأن الكشف هو الذي يحدد لكل حقيقة شرعية مفهومها وغايتها ، أو ما أراده الله منها وبها ؟ ! وهكذا يأبى الحبل الصوفي إلا أن ينطق علاء الدين بهوسه وخرافاته

(١) يعرف الصوفية الكشف بأنه الاطلاع على ما وراء الحجاب من المعاني الغيبية ، والأمور الحقيقية وجودا وشهودا ، والله سبحانه هو القائل « قل : لا يعلم من في السموات والأرض الغيب إلا الله » ، والبخارى — وهو يرد على الصوفية ، ليطلع ما يدينون به من الوحدة — يتهاوى في نفس الحماة ، هذا لأنه صوفي ، لا يحب أن ينسى — وهو يرد على غيره من الصوفية — تصوفه هو ، لا ينسى طريقته التي يود أن يصرف الناس إليها وحدها . ولكن حسبنا منه — وهو أكبر صوفي في عصره — اعترافه الصريح ، وحكمه البين على ابن عربي وابن الفارض بأنهما خارجان عن حقيقة الإسلام ، والأول شيخهم الأكبر ، وكبريتهم الأحمر ، والآخر سلطان عاقبهم ! !

وعن أحواله الظاهرة والباطنة وعن ذلك الفناء - بحيث لا يشاهد شيئاً غير الله^(١) كما لا يشاهد في النهار من السكوا كب غير الشمس - فذلك هو فناء الفناء في التوحيد ، وهو درجة خواص الخواص ، فيصير لهم معنى قوله تعالى (٢٧: ٨٨ كل شيء هالك إلا وجهه) ذوقاً وحالاً ، كما أن حظ غيرهم من المؤمنين منه يكون علماً وإيماناً ، فالذوق نَيْلُ عين تلك الحال بالحصول الانصافي ، والعلم معرفة ذلك بالبرهان ، ومأخذه القياس بأن ينظر إلى اظمحلال تلك السكوا كب عند إشراق الشمس ، فيقاس به اظمحلال وجود الكائنات عند إشراق أنوار التجليات ، والإيمانُ قبولُهُ بالتسامع والإذعان له ، ولا يخالف هذا قولهم : إن الطريق إلى المعلوم بالكشف ، إنما هو العيان ، دون البرهان ، لأن المراد منا إقامة البرهان ، على تحقق الكشف ، لا على إثبات المعلوم ، فقد عرفت أن معنى الوحدة المطلقة عند العارفين^(٢) بعيد عما يريد به الكفرة الوجودية من الفلاسفة ، ومن تبعهم ممن يدعى الإسلام ؛ ايتمكن من هذمه عند الضعفاء .

(١) هذه هي وحدة الشهود ، وهي النبذة الأولى من وحدة الوجود ، بل هي المدخل إليها ، وسترى البخارى - رغم تكفيره للقائلين بوحدة الوجود - يدور حولها ، ويتسرب في خفية إليها . ولكنه جبان الشطح ، مكبر الخيال والتصوير .

(٢) مافي الرسل جميعاً ، ولا في الأنبياء عامتهم ، ولا في الأولياء الصادقين من هو أعرف بحق الربوبية والإلهية من محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وما فيهم من أحد أدى هذا الحق كما أداه ، فما جاءنا عنه صلى الله عليه وسلم خرافة الوحدة المطلقة الصوفية ، أو أنه وصل إلى حال لم يشاهد فيها شيئاً غير الذات الإلهية . والصوفية يعنون بالشهود معاينة الذات ، وفناء الكائنات جميعها في هذا الشهود حتى في الليلة التي تجلّى الله فيها على عبده بأعظم نعمه ، وأراه فيها من آياته الكبرى ليلة الإسراء والمعراج ، قال صلى الله عليه وسلم لما سئل : هل رأى ربه : نور . أنى أراه ؟ ! ، وفيها كان يشهد غير الله : الأنبياء ، وجبريل ، والجنة ، والبيت المعمور وسدرة المنتهى ، وغير ذلك ، ومضى لنا كل شيء باسمه ، فأين منه البيان عن شهود =

أسطورة الكشف

ويروجون تلك السفسة بإحالتها على الكشف ، ويتفهمون بأن مرتبة

== الذات فنيت فيها الكائنات؟! ولكن لعل البخارى وأضرابه يفترون أنهم يصلون إلى ما لم يستطع أن يصل إليه خير البشرية وخاتم النبيين ! ثم إنه صلى الله عليه وسلم أخبرنا خبر صدق وحق أن أحدا لن يرى ربه حتى يموت . وكان صلى الله عليه وسلم يتجاوب قلبه الظهور المشرق بنور الإيمان الأسمى مع كل حق عليه ، فيؤديه أتم وأكمل وأوفى أداء ، حق الله سبحانه ، حق النفس ، حق الحياة ، حق الأهل والولد ، فيأترى هل لم يبلغ الرسول الأعظم فى الدين والمعرفة مرتبة البخارى وأحلاس الصوفية ؟ فما أبان لنا عن البقاء ، والفناء وفناء الفناء والوحدة وما فى عمله ولا قوله ما يحدد مفاهيم هذه الأساطير الصوفية . والله سبحانه يذكر لنا أن خليله إبراهيم رأى — منة من الله — ملكوت السموات والأرض ، فأين البيان من الخليل عن الفناء وفناء الفناء والوحدة المطلقة ؟ وداود عليه السلام فى تسايحه كانت الطير تؤوب معه ، والجبال سخرها الله له يسبحن معه بالعشى والإشراق فما جاءنا عنه أنه كان فى فناء ، أو فناء فناء ، أو شهود ذات فنيت فيها الكائنات ، بل كان مع ذلك فى الحديد يعمل . وربنا العليم بذات الصدور يثنى على خير رسله فى أسمى مقاماتهم بأنهم عباده المخلصون المتقون المؤمنون الأوابون ، لا الذين يشهدون الذات فنيت فيها الكائنات ! ويثنى على الملائكة بأنهم عباد مكرمون ، لا الذائقون حال الوحدة المطلقة ، والرسول صلى الله عليه وسلم يقول عن الإحسان — أسمى مراتب الإخلاص فى العبودية » أن تعبد الله كأنك تراه ، فإن لم تكن تراه ، فإنه يراك » والبخارى وأضرابه يقولون أسمى مرتبة : أن تشهد الذات فنيت فيها الكائنات ! ! وحقيقة التوحيد أن تعبد الله وحده ، وأن لا تعبد إلا بما شرعه ، ولكن البخارى يقول : أن تشهد الذات فنيت فيها الكائنات ، وقد أجهد الصوفى البخارى نفسه فى الرد على باطل الصوفية حتى هُتئت أنفاسه . فما بلغ إلا تأييد باطل كان يتمنى الصوفية مثل قلم البخارى للدفاع عنه ، ولو أنه لجأ إلى الكتاب والسنة لاستطاع بحجة واحدة منهما أن يأتى ببيانهم من القواعد ، بل لو لجأ إلى العقل مؤمنا لدك على الطاغوت هيكله ، ولدمر أصنامهم . ولكنه صوفى ! !

الكشف وراء طور العقل ، وأنت خير بأن مرتبة الكشف نيل ما ليس له العقل ينال ، لا نيل ما هو ببديهة العقل محال ، وذلك أن الله تعالى خلق العباد وبين لهم سبيل الرشاد ، وزينهم بالعقل نوراً يهتدون به إلى معرفته ، وحبّة توصلهم إلى محبته بالاستدلال على وجود الصانع بالمصنوعات^(١) ، والنظر فيما يجوز ويستحيل [٥٦] عليه من الأفعال والصفات ، وأن إرسال الرسل من أفعاله الجائزة ، وأنه قادر على تعريف صدقهم بالمعجزة ، وعند ذلك ينتهى بصرف العقل^(٢) ؛ لعدم استقلاله بمعرفة المعاد ، وبما يحصل السعادة والشقاوة هنالك للعباد ، وإما يستقل بمعرفة الله تعالى^(٣) ، وصدق الرسول ، ثم يعزل نفسه ، ويتلقى من النبي صلى الله عليه وسلم ما يقول ، فى أحكام الدنيا والآخرة بالقبول^(٤) ، إذ لا ينطق

(١) لم لا يقال : الخالق بالخلوقات ؟

(٢) الله سبحانه هو العليم الخبير حقاً بما يجب لربوبيته وإلهيته . وقد بين لنا عز شأنه تفضلاً منه ورحمة هذا فى كتابه الحكيم أجلى وأتم وأكمل بيان . فما يجوز لا مرى الزعم بأن للعقل التصرف فى إثبات ما يجب وما يجوز وما يستحيل على الله سبحانه ، والمؤمن الحق هو من يؤمن صادقاً بكل ما وصف الله به نفسه إثباتاً ونفىاً . فيثبت خاشعاً ما أثبت الله سبحانه لنفسه . وينفى منزهاً ما نفاه عنها جل وعلا . هو من يوحد الله توحيداً قولياً . وعملياً وعلمياً واعتقادياً فى الربوبية والإلهية بما ورد فى الكتاب والسنة .

(٣) فرية فلسفية ، وإفك صوفى ، فالعقل حينما استقل بمعرفة الله سبحانه ووصفه بما لا يجب الله أن يسمى أو أن يوصف به ، أثبت له ما أوجب الله نفيه ، ونفى عنه ما أوجب الله إثباته ، نفى عنه كونه خالقاً مدبراً يعلم كل خافية ، وأثبت له ما عرّب من الشهوة ، وما ضل من العاطفة ، فساء عاشقاً ولاذا وملذذاً ، ألا فليؤمن العقل دائماً بأنه دائماً فى قبضة من خلقه ، وأنه الفقير دائماً إلى النقى الخلاق العليم الخبير

(٤) بل يجب عليه قبل هذا أن يتلقى مؤمناً مخلصاً ما جاء فى الكتاب والسنة عن صفات الله وأسمائه ، دون لمسة من ريب تدفعه إلى التأويل ، أو همسة من فكر تلوذ به إلى التعطيل ، أو تجاوب مع الحس يهيم به فى التجسيم أو التمثيل

بما يحيل العقل بالبدية والبرهان ؛ لا متناع ثبوت ما تحكم حجة الله عليه بالبطلان فلا مجال في مورد الشرع ، ولا في طور الولاية والكشف لما يحكم العقل عليه بأنه محال ، بل يجب أن يكون كل منهما في حيز الإمكان والاحتمال ، غير أن الشرع يَرِدُ بما لا يدركه العقل بالاستقلال ، وبالكشف يظهر ما ليس له العقل ينال^(١) لأن الطريق إليه الكشف والعيان ؛ دون بدية العقل والبرهان ، لكن إذا عُرِض عليه لا يحكم عليه بالبطلان ، لسكونه في حيز الإمكان ، ولا ينبغي متوهم أن ما يتستر به الوجودية من دعوى الكشف من قبيل ما ليس له العقل ينال ، بل هو مستحيل وللعقل في إبطاله تمكن ومجال ؛ إذ الطريق إليه التصور ثم التصديق بالبطلان ، وذلك وظيفة العقل بالبدية أو البرهان ، وأما الأمور الممكنة الكسبية ، فيجعلها العقل في حظيرة الإمكان ، ولا يحكم عليها بالبطلان ثم إن ما يناله الكشف ، ولا يناله العقل الممكن الذي الطريق إليه العيان^(٢) ، دون البرهان ، لا المحال الممتنع الوجود في الأعيان ؛ إذ الكشف لا يجعل الممتنع متصفا بالإمكان ، موجوداً في الأعيان ؛ لأن قلب الحقائق يَبَيِّن الامتناع والبطلان فلو تخايل حصول المحال بالكشف ككون الوجود المطلق واحداً شخصياً ، وموجوداً خارجياً ، وكون الواحد الشخصي منبسطاً في المظاهر ، متكرراً عليها

(١) جعل من الشرع قسماً لا يناله العقل ، بل الكشف ، فمن قال هذا ؟ وسيزعم أن الطريق إليه كذلك معاينة الذات ؟ فمن أين جاء بهذا ؟ وهل في مقدور كل مسلم الكشف والمعاينة ؟ يحییون هم بأن هذا الخواص الخواص ! ! وهذا يستلزم أن الخواص والموام لا يمكن أن يصلوا إلى معرفة أهم حقائق الشرع ! ! ثم ما هذا الذي لا يظهر إلا بالكشف ؟ إن كان هو عين مافى الشريعة ، فما للكشف فائدة إذا . وإن كان غير ما فيها ، قالوا بجواز عبادة الله بغير ما شرعه الله ، وتلك هي الطاعة الكبرى ، فما صنع البخارى شيئاً سوى أن فر إلى ما فر منه ، وحارب ما يحارب هو من أجله ! !

(٢) يريد الصوفية بها معاينة الذات الإلهية ، ومشاهدة أسرار الربوبية والإلهية

بلا مغلطته، متكثرًا مع النواظر بلا انقسام، فذلك شعوذة الخيال، وخديعة الشيطان وقال بعد ذلك : « إنهم صرّحوا بأن التّكثّر في الموجودات ليس بتكثّر وجوداتها ، بل تكثّر الإضافات والتّعيينات » ثم قال : « فقلوا : معنى قولنا : الواجب موجود ، أنه ^(١) وجود ، ومعنى قولنا : الإنسان ، أو الفرس موجود ، أنه ذو وجود ، بمعنى أن له نسبة إلى الوجود ، لا أنه متصف بالوجود ، على ما هو معنى الوجود لغة وعرفًا وشرعًا ؛ احترازًا عن شفاعة التصريح بكون الواجب صفة الممكن ، وأنت خير بأن جواز الإطلاق فرع صحة الاشتقاق ، ولو سلم فما ذكروا في بيان معناه في الواجب والممكن ليس معناه ، لا لغة ، ولا عرفًا ، ولا شرعًا ومنشأ الغلط فيما يكشفه الشرع بما يقصر عنه العقل ، وما يدعيه هؤلاء مما يُحيله [٥٧] عدم التفرقة بين ما أحاله العقل كهذه المذكورات ، وبين ما لا يناله العقل كاطمحلال وجود الكائنات عند سطوع أنوار التجليات ، وإنما ينال ذلك بجذبة الإلهية ^(٢) ، أو رياضة في متابعة الحضرة النبوية في الوظائف العلمية والعملية

(١) في الأصل : موجوداته ، بدل : موجود أنه .

(٢) عجيب أن يجعل البخارى هذا مما لا ينال إلا بجذبة ، فالمؤمن الحق يدرك باللمحة الهافية من الفكر والوجدان والشعور ، أن بين وجود الله ، ووجود العالم فرق ما بين رب السموات والأرض ، وبين عبد خلق من طين ، بيد أن البخارى يريد بالاطمحلال عند التجلى فناء وجود سوى ، فلا يشهد العارف ثم إلا وجوداً واحداً هو الواجب ، أو المطلق ، يعنى يرى الكثير واحداً ، والظاهر عين المظاهر فإن يك هذا ، فقد هوى في غيابة صوفية ، إذ ينشئ الوحدة من جهة ، ويثبتها من جهة أخرى ، فالصوفية يريدون بالتجلى ما ينكشف للقلب من أنوار الغيوب ، أو ظهور الذات في عين المظاهر ، وفي الأول ادعاء معرفة الغيب وقول على الله بغير علم وفي الآخر الإقرار بوحدة الوجود ، فأيهما يريد البخارى ؟! ثم ما هذه الجذبة ؟ ما سبيلها ؟ ما دليلها ؟ ما مثلها في الماضى المؤمن ؟ لا يقال : سبيلها العبادة ، فإنه جعل العبادة قسماً آخر غير الجذبة ، وليس في الكتاب ولا في السنة عليها دليل ، وما ممعنا عن صحابى أو تابعى ، أو مؤمن صادق أنه نال هذه الجذبة !!

والنبيل هو الحصول الانصافى ، والعلم هو الحصول الإدراكى ، ثم إن كلاً مما لا يدركه العقل بالاستقلال ، وما ليس له العقل ينال ، لما كان مستوقفاً على الإعلام والإرشاد من رب العالمين ، بعث الأنبياء والمرسلين ، صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ؛ لبيان الأول ، وهو علم الشريعة صريحاً ، والإشارة إلى الثانى ، وهو علم الحقيقة رمزاً وتلويحاً^(١) ، كما يلوح من القرآن المجيد (٢٨ : ٨٨ كل شيء هالك إلا وجهه) إلى درجة الفناء فى الفناء فى التوحيد .

(١) يدين البخارى كثيره من الصوفية أن الدين حقيقة وشريعة ، وأن الأولى غير الأخرى ، بل أسمى منها وأفضل ، وأن الشريعة لا تتضمن الحقيقة ، وأن البيان عنها فى القرآن جلى صريح . أما عن الحقيقة ، فرمز وتلويح !! وبذا أركس البخارى فيما أركس فيه الصوفية . الله سبحانه يصف كتابه بأنه بيان للناس ، ويعن علينا بأنه بعث فى الأميين رسولا يتلو عليهم آياته ويزكيهم ، ويعلمهم الكتاب والحكمة ، والبخارى يزعم أن القرآن أشار إلى علم الحقيقة عن طريق الرمز والتلويح ، وما كل الناس يفهمون الدلالة الرمزية ، أو التلويحية ، وما كل أمى يفهمها ، وهذا يستلزم طامتين ، الأولى : اتهام القرآن بالعجز فى البيان عن الحقيقة ، فلم يستطع الإفصاح عنها إلا عن طريق الرمز والتلويح ، وهما أغمض وأعجز أنواع الدلالات ، الأخرى : اتهام الأكثرية الغالبة من هذه الأمة بأنها لا تعلم الحقيقة من دينها الحق ، ولا يعبدون الله على بصيرة من الحق ، بل ينسحب هذا الاتهام على الصحابة أجمعين ، وإذا كانوا فلاسفة لا صوفيين ، فإن قيل : كانوا يعرفون علم الحقيقة فى زعم الصوفية ، قلت : أين الدليل ؟ أجاؤ عن أحد منهم اقتراء أن الدين حقيقة وشريعة مقارناً بين القسمين ؟ . أتكلم واحد منهم عن الفناء ، وفناء الفناء ، والوحدة المطلقة ، وهذه هى معارف علم الحقيقة عند الصوفية ؟ بل أقول : إن فى قول البخارى ومن دان دينه من الصوفية اتهاماً للرسول بهتانين ، أولهما : كتمان علم الحقيقة فى الدين ، أو الجانب الأسمى منه ، إذ لم يرد فيما بلغ إلينا عن الله هذا العلم الذى يدعيه البخارى : علم الفناء ، وفناء الفناء ، ومعاينة الذات !! وآخرها : أنه كان صلى الله عليه وسلم لا يعلم الحقيقة ، ولم يهتد إلى ما اهتدى إليه البخارى وغيره . واتهام الرسول صلى الله عليه وسلم بوهم من هذا =

انتهى ما نقلناه من رسالة الشيخ علاء الدين البخارى ، لكنى تصرفت فيه بالتقديم والتأخير ، وقد وضح بذلك محالهم ، وتبين به ضلالهم^(١) والله الموفق .

عَوْدٌ إِلَى مَنْ كَفَرُوا ابْنِ عَرَبِي

وعن الحافظ تقي الدين محمد بن أحمد الفاسى المسكى فى كتابه : تحذير النبیه والنبي من الافتتان بابن عربى ، أنه قال — وقد سئل عنه وعن شىء من كلامه — :

== كفر خبيث ، وقد اتهمه الصوفية فعلا بالأول : أى الكتمان ، اسمع لابن عجيبة فى شرحه لحكم ابن عطاء الله السكندرى يقول : « وأما واضح هذا العلم — يعنى التصوف — فهو النبى صلى الله عليه وسلم علمه الله له بالوحى والإلهام ، فنزل جبريل أولاً بالشریعة ، فلما تقررت نزل ثانياً بالحقیقة ، فخص بها بعضاً دون بعض » ص ٥ ج ١ ط ١٣٣١ هـ . وفى هذا حجة على دين الصوفية مقت للشریعة ، واتهام صريح للرسول بأنه لم يبلغ بعض ما أنزل إليه ، وبأنه هوى مع الهوى فخص به بعضاً ، ونحاشا الرسول الكريم .

(١) علاء الدين البخارى رجل أشرب قلبه وفكره التصوف ، وقد خدع البقاعى بهذره الصوفى ، فكل ماهول به البخارى فى الرد على الصوفية لا يتأذى لهم باطلا . بل يواله ويمالكه . نعم صرح الرجل فى قوة وشجاعة وجلاء بتكفير ابن عربى وأحلامه ، بيد أن ما حاسبه أدلة تدمغهم بالزندقة هى فى حقيقتها أساطير صوفية ، أو هى بالذات عناكبهم التى يصيدون بها العقول الذبانية . وهذا يثبت ما قلته من قبل ، وهو أن كل من به مس من الصوفية إنما يطوى النفس على أمشاج وثنية . وإن تراءى بتكفير غيره من لدانه وأقرانه . قارن بين مارد به البخارى الصوفى ، وبين مارد به الإمام ابن تيمية ، لتدرك البون الشاسع بين الرجلين ، فى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، فالبخارى صوفى يرد بتصوفه على تصوف غيره ؛ كى يؤمن الناس به هو ، وبما يدعو إليه من التصوف ، وابن تيمية يدمغ الباطل بما دمه به الحق من الكتاب والسنة ، بل ويبراهين العقل الذى جعل هدى القرآن مناره ، ولم يلونه دنس صوفى ، ابتغاء مرضاة الله ، والجلاد المستلثم فى الجهاد فى سبيل الله . وهذا هو دائماً فرق ما بين المؤمن والصوفى .

شيخنا العلامة أبو عبد الله محمد بن عرفة الورغمي التونسي عالم إفريقية ، فقال ما معناه : إن من نُسب إليه هذا الكلام لا يشك مسلم منصف في فسقه وضلاله يرزئذقه » انتهى . ومنهم شيخنا العلامة إمام القراء شمس الدين محمد بن محمد بن محمد بن علي بن يوسف الجزري الدمشقي نزيل بلاد الروم ثم العجم ، قال : « وما يجب على ملوك الإسلام ، ومن قدر على الأمر بالمعروف [والنهي عن المنكر] أن يعدموا الكتب المخالفة لظاهر الشرع المطهر من كتب المذكور^(١) وغيره ، ولا يلتفت إلى قول من قال : هذا الكلام المخالف للظاهر ينبغي أن يؤول ، فإنه^(٢) غلط من قائله . إنما يؤول كلام المعصوم ، ولو فتَح باب تأويل كل كلام ظاهره الكفر ، لم يكن في الأرض كافر » ومنهم العلامة نادرة زمانه علما وعملا بدر الدين حسين بن عبد الرحمن الأهدل^(٣) اليميني الحسيني نسبا وبلدا ، وصنف في ابن عربي وابن الفارض كتابا كبيرا^(٤) نافعا جدا ، وذكر فيه أنه كان في اليمين شخص من أكابر أتباعه ، يقال له الكرماني ، حصلت به في اليمين فتن كبيرة ، وحصل بينه وبين ابن المقرئ خطوب ، وصنف في الرد على ابن المقرئ كتابا قال فيه عن نفسه ، وأهل مذهبه ما لفظه : « إنا حيث قلنا : المخلوق ، فرادنا الخالق ، وحيث قلنا : الحجر ، فرادنا الله » انتهى .

(١) يعني : ابن عربي ، وأقرأ نص فتوى الجزري في ص ٤٩٥ من العلم الشامخ للعلامة المقبلي .

(٢) أي : القول بالتأويل لكلام الصوفية .

(٣) ولد سنة ٧٧٩ هـ تقريبا ، وتوفي سنة ٨٥٥ هـ . وهو من كبار علماء اليمين في عصره .

(٤) سماه : كشف الغطا عن حقائق التوحيد وعقائد الموحدين ، وله كتاب آخر سماه : بيان حكم الشلح والنص على مروق ابن عربي وابن الفارض وأتباعهما من الملحدين . انظر الضوء اللامع للسخاوي .

من مكر الصوفية

ومن مكر هذه الطائفة ، كما شرعه لهم شيخهم ^(١) من أن الدعوة إلى الله مكر أن يُخَيَّلُوا ^(٢) كلَّ من ظنوا أنه مال عنهم بأنه يصاب في نفسه ، أو ماله ^(٣) ، ويقولون : ما تكلم أحد فيهم إلا أصيب ، ويباهتون [٥٨] بأشياء هي كذب ظاهر . ولا عليهم . وأكث الناس صبيان العقول ، مَرْضَى الأفكار ، تجد أحدهم إذا سمع هذا نَفَرَ منك نفرة النعام الشارد ، ثم يكون أحسنهم خلا لا الذي يقول : التسليم أسلم !! ولا يتأمل أن الشك في الكفر بعد البيان كفرٌ ، وهو مع كونه ^(٤) كذباً بمن أنكر عليهم من أكابر العلماء الذين لا يحصون كثرة ، وماتوا على أحسن الأحوال - تشبَّه باليهود في قولهم في الإسلام لما مات أبو أمامة أسعد

(١) يعني : ابن عربي .

(٢) صوابها : إلى كل ، أو لكل . ففي الذكر (يُخَيَّلُ إليه من سحرهم أنها تسعى)

(٣) كاد لي لثيم فضيع لي ما يسمى : « مسوغات التعيين في وزارة المعارف » فتنادى بعض الصوفية : باللكرامة ، ويال انتقام أوليائنا الرهيب !! قلت : يا سبحان الله !! لا يتورع القوم حق من اتهام أوليائهم أنهم لصوص بغاة ، يحاربون الناس في أرزاقهم !!

(٤) لعلها : كذب ، ولو أن الأمر كان تكذيباً للعلماء فحسب لها انت الجريمة ، ولكنه تكذيب لله ولرسوله ، وتقوى لغير الله ، ورهب من زنادقة ، فما يطبق أمثال هؤلاء — رغم إخراج الكفر لهم لسانه من كتب الصوفية — النطق بكلمة حق يرضون بها الله سبحانه . سل اليوم كبار الأخبار ، عبيد المتن والحاشية ، عن فصوص ابن عربي ، وتائية ابن الفارض ، وطبقات الشعراني . سلمهم ثم أنصت للجواب الدليل . ستسمع من يقول عن ابن عربي : الشيخ الأكبر ، وعن ابن الفارض : سلطان العاشقين ، وعن الشعراني : الهيكل الصمداني . وستسمع من يقول — بمن يزول الرب يقينهم ، وتنشئ الوثنية معتقداتهم : يسلم لهم حالهم ، فالتسليم أسلم ! . هذا ما يجيده الأخبار من أساليب الدفاع عن دين الله .

ابن زرار^(١) الأنصاري رضى الله عنه فإنهم شرعوا يقولون تخيلاً لبعض الضعفاء :
لو كان نبيا ما مات صاحبه . فكان النبي صلى الله عليه وسلم [يقول] : « بئس
الميت أبو أمة ليهود ! ! يقولون : كذا ، والله ما أملك لنفسى ولا لصاحبي
شيئاً^(٢) » وَتَسَنُّ^(٣) بالكفرة في قولهم . (١١ : ٧٧ وما نراك اتبعك إلا الذين
[هم] أراؤنا) ، (١٩ : ٧٣ - ٧٥ قال الذين كفروا للذين آمنوا : أى الفريقين
خير مقاماً وأحسن ندياً . وكم أهلكنا قبلهم من قرن هم أحسن أثاثاً ورثيا .
قل : من كان فى الضلالة ، فليمدد له الرحمن مداً) ومحو ذلك من الآيات ، ومتى
مال الإنسان نحو تخييلهم ، كان كمن قال الله تعالى فيه : (١١ : ٣٢) ومن الناس
من يعبد الله على حرف ، فإن أصابه خير اطمأن به [وإن أصابته فتنة انقلب على
وجهه ، خسر الدنيا والآخرة ، ذلك هو الخسران المبين] .

من آيات ثبات الإيمان فى القلب

مع أن الكتاب والسنة ناطقان بأن علامة صحة الإسلام فى القلب المصائب^(٤)
قال الله تعالى : (٢٩ : ١ ، ٢ ألم . أحسب الناس أن يُترَكوا ، أن يقولوا : آمنا ،
وهم لا يفتنون) الآيتين ، وقال الله تعالى : (١٢ : ٢١٤ أم حسبتم أن تدخلوا
الجنة ، ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم . مَسَّهم البأساء والضراء ،

(١) من أول الأنصار إسلاماً ، ويقال : إنه أول من بايع ليلة العقبة ، وكان
تقيب قبيلته بنى النجار ، وأول من صلى الجمعة بالمدينة فى هزيمة من حرة بنى يياض ،
يقال له : تقيع الحضامات ، وكانوا أربعين رجلاً . مات أسعد رضى الله عنه والمجد
يبنى - فى السنة الأولى من الهجرة فى شوال قبل بدر « أسد الغابة ، والإصابة »

(٢) هذا لفظه فى سيرة ابن هشام . أما فى أسد الغابة « بئس الميت ليهود ! !
يقولون : أفلا دفع عن صاحبه ؟ وما أملك له ، ولا لنفسى شيئاً »

(٣) معطوفة على قوله قبل : تشبه باليهود .

(٤) يعنى الصبر عليها .

وزُلِّزُوا) الآية . إلى غير ذلك من آيات الكتاب الناطق بالصواب . وقال شخص
لنبي : « إني أحبك ، قال : فأعد للبلاء تجعفاً^(١) » وقال صلى الله عليه وسلم :
« من يُرد الله به خيراً يُصِبْ منه^(٢) » ، « أشد الناس بلاء الأنبياء ، ثم الأئمة^(٣) »
فالأئمة ، يبتلى المرء على قدر دينه^(٤) » إلى أمثال ذلك ، وهو كثير جداً ، وأعجب
من ذلك أن البيعة على الإسلام كانت - ليلة العقبة - على الصبر على المصائب ، فإن
العباس بن نضلة^(٥) رضى الله عنه قال لقومه قبل المبايعة يثبتهم على البيعة :
« إن كنتم ترون أنه إذا نهكت^(٦) أموالكم مصيبة ، وأشرافكم فتلاً أسلتموه
فمن الآن ، فهو والله - إن فعلتم خِزْي الدنيا والآخرة ، قالوا : فإننا نأخذ على
مصيبة الأموال ، وقتل الأشراف ، فما لنا بذلك يا رسول الله إن نحن وفينا ؟
قال : الجنة ، قالوا : أبسط يدك ، فبسط يده ، فبايعوه^(٧) » على هذا كانت

(١) التجفاف : آلة للحرب يلبسه الفرس والإنسان ليقية الحرب ، وجفف
الفرس : ألبسه إياه « القاموس والنهاية » .

(٢) رواه البخارى ومالك .

(٣) من حديث رواه الترمذى وابن ماجه والحاكم وابن أبى الدنيا . ولم لانهم
في الحديث معنى آخر ، هو أن أفضل الناس أشدهم بلاء في سبيل الله ، من قولهم :
أبلى فلان في الحرب بلاء حسناً ، إذا أظهر بأسه حتى بلاء الناس وخبروه ! أو يراد
بما يصيبهم من الناس من بلاء لاستلامهم في الدعوة إلى الله ، والجهاد في سبيله .
أقول : هذا لأنه ثبت في أذهان الناس أن الإيمان الصحيح صنو المصائب ، وأن
الله يدخر الرزايا للمخلصين من عباده .

(٤) أنصارى خزرجى ، شهد العقبة ، وقيل : العقبتين ، بل قيل : كان مع
النفر الستة الذين لقوا رسول الله ، فأسلموا قبل جميع الأنصار ، خرج عباس رضى الله
عنه إلى مكة ، وأقام مع الرسول صلى الله عليه وسلم حتى هاجر إلى المدينة ، فكان
أنصارياً مهاجرياً . قتل في أحد ، ولم يشهد بدر « أسد الغابة ، الإصابة »

(٥) يقال : نهكت الحمى ، أضنته وهزلته ، وجهده ، ونهكت الناقة حلباً : إذا
لم تبقى في ضرعها لبناً « القاموس والنهاية » .

(٦) ص ٢٧٧ ج ١ سيرة ابن هشام على هامش الروض الأنف ط ١٩١٤

المبايعة ، وعلى السمع والطاعة في العسر واليسر ، والمنشط والمكره ^(١) . ولقد شرع لنا [٥٩] رسول الله صلى الله عليه وسلم سنن الهدى ، وتركنا على البيضاء نقية ، ليلها كنهارها ^(٢) ، ولم يتغير دينه بعده ، ولم يتبدل ، ولم يزد إلا شدة . وأخبرنا صلى الله عليه وسلم أن الدين بدأ غريباً ، وأنه سيعود كما بدأ ، وقال : « فيأطوبى للغرباء » ^(٣) فلا يهتم الإنسان بقلة الموافق ، فإن الله معه ، ومن كان الله معه ، كان كثيراً ، ولا بكثرة الخالف المشاقيق ، فإنهم أعداء الله ، فليس معهم ومن لم يكن الله معه ، كان قليلاً (٣٩ : ٣٦ ، ٣٧ أليس الله بكاف عبده ؟) ويخوفونك بالذين من دونه ، ومن يضل الله ، فإله من هاد ، ومن يهد الله فإله من مضل ، أليس الله بعزيز ذي انتقام ؟) .

هوان الدين عند الأكثرية

ومما ينبغي أن يكون نصب العين معياراً يعرف به هوان الدين عند أكثر الناس ، وهو أن أحدهم لو كان مُشْرِقاً على الموت من الجوع ، ووجد

(١) من حديث نسه : عن عبادة بن الصامت « بايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم على السمع والطاعة في العسر واليسر والمنشط والمكره ، وعلى أثرة علينا ، وأن لا نتنازع الأمر أهله ، وعلى أن نقول بالحق أينما كنا ، لا نخاف في الله لومة لائم » الصحيحان ، الموطأ ، النسائي . المنشط : الأمر الذي ينشط له ، ويخفف إليه ، الأثرة : الاستيثار بالشئ والافتراء به .

(٢) من حديث رواه ابن ماجه : « وإيم الله ، لقد تركتكم على مثل البيضاء ، ليلها كنهارها » .

(٣) نص الحديث : « بدأ الإسلام غريباً ، وسيعود كما بدأ ، فيأطوبى للغرباء » . مسلم عن أبي هريرة ، والنسائي عن ابن مسعود ، وابن ماجه عنهما وعن أنس ، وطوبى : فرح وقررة عين كما فسرهما ابن عباس .

ملعاما شهياً ، فقال له أحد : إنه مسموم لم يقربه بعد ذلك ، ثم لا يزال يقول هؤلاء العلماء ^(١) الذين هم القدوة في الدين ^(٢) أن كلام هؤلاء الاتحادية سم حاسم للدين من أصله ، ذابح للإيمان بسيفه ونصله ، فإننا لله ، وإنا إليه راجعون .

من هم الأولياء ؟

هذه نبذة من ذم أهل الحق له ^(٣) ، وهم الأولياء حقيقة ؛ لما شاع لهم من الأنوار التي ملأت الأقطار بمصنفاتهم التي أحيوا بها الدين ، وأيدوا سنة سيد المرسلين ، فقد قال الشيخ محي الدين النوى ^(٤) في مقدمة شرح المذهب « فصل في النهي الأكيد ، والوعيد الشديد لمن يؤدي ، أو يبغض الفقهاء ، والمتفقهين » . وروى الخطيب البغدادي ^(٥) عن الشافعي وأبي حنيفة رضي الله عنهما أنهما قالوا : « إن لم يكن الفقهاء ^(٦) أولياء لله ، فليس لله ولي » وعن ابن عباس رضي الله

(١) بل لا يزال بالقرآن والسنة ، وفيهما الفصيل الحق بين الحق والباطل ، والإيمان والكفر ، والهدى والضلال .

(٢) القدوة والاسوة : رسول الله صلى الله عليه وسلم .

(٣) لابن عربي .

(٤) يحيى بن شرف . ولد سنة ٦٣١ هـ . ومات سنة ٦٧٦ هـ . وكان واسع المعرفة بالحديث والفقه واللغة .

(٥) أحمد بن علي بن أبي ثابت أبو بكر الإمام الحافظ المصنف المؤرخ . ولد سنة ٣٩٢ هـ . وتوفي سنة ٤٦٣ هـ ، وقد ترك قرابة مائة مصنف .

(٦) هم الذين يعتصمون في قههم بالكتاب والسنة ، ويدعون الناس إلى الاعتصام بهما والعمل بما فيهما ، لا أولئك الذين يصنع لهم قههم الرأي المفتون ، أو يدعون الناس إلى اتخاذ كتبهم أرباباً من دون الله ، ويدعون بذهب فلان . فمثل هؤلاء أولياء الشيطان ، ثم الله سبحانه بين خصائص الولى في قوله : « الذين آمنوا ، وكانوا يتقون » وبينها رسوله الكريم بقوله : « إن أولياء الله الصالحون ، ومن يقم الصلوات الخمس التي كتبها الله على عباده ، ومن يؤدي زكاة ماله طيبة بها »

عنهما^(١) : « من آذى قريبا ، فقد آذى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومن آذى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقد آذى الله عز وجل » انتهى . ومن نابذ كلامهم ، فقد عاداهم . وقال النبي صلى الله عليه وسلم : قال الله « من عادى لى وليا فقد آذنته بالحرب »^(٢) ومن رد أقوالهم^(٣) لأجل توهم أن من حكموا بكفره ولى لشبهة باطلة ، وكلام مُزَوَّق يراد به الإضلال والغرور ، فَمَنْ كَمَنَّ^(٤) أصابه داء ، فوصف له الأطباء العارفون دواء ، فقال له عامى : لا تسمع منهم وخذ هذا فقد قال لى فلان وفلان - وعد جماعة مثله - : أنه نافع ، فاعتمد على مُجَرَّب ، ولا تعتمد على طيب . وأمثال هذا من الخرافات ، فقبل كلامه ، لكونه قريب الطبع من طبعه ، فأعطاه سُمًّا ، فتَحَسَّاه ، فهلك إلى لعنة الله ، فإنه لا عبرة بشبهة أصلا إلا شهرة كانت بين أهل العلم [٦٠] الموثوق بهم ، لأن الاستفاضة والشهرة من العامة ، لا يوثق بها ، وقد يكون أصلها التلبيس ، وأما التواتر فلا يفيد العلم ، إذا لم ينتبه إلى معلوم محسوس ، وأما من مدحه ، فهو أحد رجلين كما مضى عن القاسى وغيره : رجل بلغه زهده وانقطاعه عن الناس ، ولم يبلغه مافى كلامه من المصائب فالجرح^(٥) مُقَدَّم على ثنائه ، أو رجل كان يعتقد فى الباطن ، فهو يناضل

نفسه ، ومن يصوم رمضان ، ويحتسب صومه ، ويحتجب الكبار ... » الحديث .
رواه أبو داود والنسائي وابن جرير وابن أبي حاتم والطبرانى والحاكم وابن مردويه
كلهم عن عبيد بن عمير اللبثى

(١) فى الأصل : عنه

(٢) البخارى وأحمد والطبرانى وأبو يعلى

(٣) هذا إذا كانت حقا مشرقا من الورين : الكتاب والسنة : لا كأقوال علاء

الدين البخارى ، فقد رد أساطيرهم بأساطيره

(٤) أى من فعل هذا فهو كمن أصابه داء الخ

(٥) فى الأصل : فالجرح

من نفسه ، فلا عبرة به ^(١) .

رأى ابن أيوب في الحلاج وابن عربي

وحدثني الفاضل جمال الدين عبد الله بن الشيخ القدوة زاهد زمانه ، والمشار إليه بالصلاح والمعارف والورع ، وحفظ اللسان في أوانه بدمشق الشيخ علي بن أيوب ^(٢) : أن أباه - الشيخ عليا المذكور - كان يجلس في الجامع مطرقا يقيم إحدى رجله هيئة المستوفز ، ويضع ذقنه على ركبته ، فلا يكلم لهيئته ، فإذا رفع رأسه ، علم أنه أذن في الكلام ، فسأله من أراد عما شاء ، ففعل ذلك يوما ، فلما رفع رأسه ، سأله شخص عن ابن عربي هذا ، فأطرق زمانا طويلا ، ثم رفع رأسه ، فقال : إنه كفر كفرا ، ما وافق فيه كفر ملة من الملل ، بل خرق بكفره إجماع الملل ^(٣) ، وزاد عليهم . قال الشيخ جمال الدين : فحكيت ذلك لبعض من يشار إليه بالعلم والميل إلى ابن عربي ، فقال : والله لو سمع ابن عربي هذا الكلام لقال : ما عرفني أحد غير هذا الرجل . قال : ومثل والذي أيضا عن الحلاج ، فقال : لاشك أن الحجاج قتل من العلماء خلائق يتعسر حصرهم ، وشئت شملهم

(١) الحكم على ابن عربي بما حكم الله به على من ألخوا عيسى ، وعبدوا الأوثان وغيرهم ليس في حاجة إلى كل هذا ، فكتابه الفصوص ثابت النسبة إليه ثبوت لعن الله لأبي لهب ، والفصوص - ردغة كفر ، وحمأة زندقة . وما ينفع ابن عربي أن يشهد له ملايين الصوفية بأنه الرباني الأعظم ، وشهادة كتبه عليه شهادة الحق والصدق ، فليشهد الصوفية له بأنه وأنه ، فكذلك الصديق ، لا يشهد له بأنه طعام طيب سوى الميكروب الذي يحيا به وفيه !!

(٢) الإمام الفقيه البارع المتقن المحدث بقية السلف - كما يقول الذهبي . وله

سنة ٦٦٦ هـ وتوفي سنة ٧٤٨ هـ

(٣) هذا يدل على فهم دقيق غاية الدقة لمعتقد ابن عربي ، فإنه كفر بكل كفر ثم أضاف إليه كفره ، ثم جعل من هذا كله دينا للصوفية

وأبادهم ، وقتل سعيد بن جبير^(١) ، وأهل الأرض محتاجون إلى علمه ، وخلصه العلماء وخرجوا عليه ، وقتلوه ، ومع هذا كله لم يقل أحد منهم : إنه كافر ، بل قالوا : إنه من عصاة المسلمين ، لا تحمل امرأته لذلك . والحلاج ما تعرض لأحد من أهل العلم بأذى في دنياه ، وأجمع جميع أهل زمانه منهم على كفره ، واستباحة دمه ، فلو كان العلماء يقولون بالهوى ، لقالوا في الحجاج الذي ما ترك نوعاً من الأذى حتى رماهم به ، فثبت أنهم لا يقولون بالهوى ، فوجب على الناس اتباعهم^(٢) وقبول كلامهم ، وهذا غاية في البيان ، والله المستعان ، وعليه التكلان ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

...

قال الشيخ الإمام العالم العلامة الحافظ الضابط المتقن المتفنن أستاذ المفسرين نادرة المحدثين ، برهان دين العالمين ، أبو الحسن إبراهيم بن عمر بن حسن الرُّباط ابن علي بن أبي بكر البقاعي الشافعي ، نزيل القاهرة المحروسة : فرغت من مسودة هذا الكتاب بحمد الهادي للصواب في شوال سنة أربع وستين وثمانمائة . والحمد لله وحده .

...

وفُرِّغ من نسخ هذه النسخة المباركة في وقت العصر من يوم الأربعاء من شهر ربيع الآخر من شهور سنة سبع وأربعين وتسعمائة .

(١) أحد أعلام التابعين ، كان مع عبد الرحمن بن الأشعث لما خرج على عبد الملك بن مروان ، فلما قتل ابن الأشعث ، فر سعيد إلى مكة ، فظفر به الحجاج ، فقتله في شعبان سنة ٩٥ هـ كما في الوفيات ، أو ٩٤ سنة كما في مروج الذهب والكامل لابن الأثير

(٢) إنما الواجب اتباع الكتاب والسنة ، وتأيد كل داع إلى الله بالحق . وما أركس الناس في فتنه الضلالة سوى اتخاذهم القرآن مهجوراً ، وكتب الناس أرباباً من دون الله !!

تحذير العباد من أهل العناد ببدعة الاتحاد

للشيخ الإمام العالم العلامة ، الحافظ المحقق الرحلة ، ناصر السنة
قاص البدعة ، محيي العدل ، برهان الملة والدين

إبراهيم بن عمر بن مسن بن علي بن أبي بكر البقاعي الشافعي

لطف الله بهم أجمعين

آمين

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه نستعين

الحمد لله الهادى ، لأركان الجبابة الشُّداد ، القامع لأهل الإلحاد ، بسيف الشُّنةِ
الحِداد . وأشهد أن لا إله إلا الله المفضل ^(١) الهادى ، وأشهد أن سيدنا محمدا عبده
[ورسوله ^(٢)] الداعى لسائر العباد ، إلى سبيل الرشاد . صلى الله عليه ، وعلى آله
الخير الأجمع ، وصحباؤه الأبطال الأتجاد ، وسلم تسليما يغلب التعداد ، ويبقى
على مر الأباد .

وبعد : فهذه رسالة سميتها : « تحذير العباد من أهل العناد ، بيدعة الاتحاد
أخذتها إلى العباد فى جميع البلاد ، الراغبين فى الاستعداد ليوم المعاد ، بملاوة
أهل الهدى ، وملاوة ^(٣) الأشقياء الأضداد ، الضالين بنحلة الاتحاد ، أرجو أن
تكون ضامنة للإسعاد يوم التناد ، فقلت : اعلموا أيها الإخوان الذين هم على البر
أعوان ، حفظكم الله ، ورعاكم ، وصانكم من كل سوء ، وحماكم - أنه لا يقدم
على الأمر بالمعروف [والنهي عن المنكر ^(٤)] إلا من جعل نفسه هدفا للحقوف ^(٥)
وتجبر من مر الكلام ما هو أمرٌ من السهام ، فإن الناهى عن المنكر ، يعانى
الموان الأكبر ، بمعادة كل شيطان من الإنس والجان ، يقوم عليه الجيلان ،
ويرشقه بسهام الأذى القبيحان ، شياطين الإنس ظاهراً بالمقال والفعال ، وشياطين
[الجن ^(٦)] باطناً بما يوحون إليهم من الضلال .

(١) لعلها المضل ، فهكذا وردت فى أول رسالته الأولى

(٢) ٢ ، ٤ ، ٦ كلها ساقطة من الأصل ، والسياق يوجبها

(٣) يقال : لاوت الحية الحية ملاوة : إذا التوت عليها

(٤) جمع حنف وهو الملاك ، وقيل : هى مصدر بمعنى الحنف ، وهو قضاء

للوت « أساس البلاغة للزمخشري »

آيات سَلَّى الله بها نبيه

ولصعوبة المقام ، وما فيه من الأخطار والآلام ، سَلَّى الله نبيه صلى الله عليه وسلم ، فقال تعالى : (٩٧: ١٥-٩٩) ولقد نعلم أنك يضيق صدرك بما يقولون . فسبح بحمد ربك ، وكن من الساجدين واعبد ربك حتى يأتيك اليقين) وقال الله تعالى : (٣٣: ٦) قد نعلم إنه ليحزنك الذي يقولون ، فإنهم لا يكذبونك ، ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون) وقال تعالى : (١٠٨: ٦) كذلك زيننا لكل أمة عملهم ، ثم إلى ربهم مرجعهم ، فينبئهم بما كانوا يعملون) وقال تعالى : (١١١: ٦-١١٣) ولو أننا نزلنا إليهم الملائكة ، وكلمهم بالوحي ، وحشرنا عليهم كل شيء قبلاً ما كانوا ليؤمنوا إلا أن يشاء الله ، ولكن أكثرهم يجهلون . وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا شياطين الإنس والجن ، يوحي بعضهم إلى بعض زخرف القول غرورا ، ولو شاء ربك ما فعلوه ، فذرهم ، وما يفترون . ولتصني إليه أفئدة الذين لا يؤمنون بالآخرة ، وليرضوه وليقتربوا ما هم مقتربون) وقال تعالى : (١٢١: ٦-١٢٣) وإن الشياطين ليوحون إلى أوليائهم ليجادلوك ، وإن أطعتوهم إنكم لمشركون . أو من كان ميتاً فأحييناه ، وجعلنا له نوراً يمشي به في الناس كمن مثله في الظلمات ليس بخارج منها ؟ كذلك [٦٣] زين للكافرين ما كانوا يعملون . وكذلك جعلنا في كل قرية أكابر مجرميها ؛ ليمكروا فيها ، وما يذكرون إلا بأنفسهم وما يشعرون) إلى غير ذلك من الآيات والدلالات الواضحات ، ففي الأنبياء الذين هم أشرف الخلق عليهم أفضل الصلاة والسلام مَسَلَّةٌ لأتباعهم ، واعتبار بأحوالهم ، واعتصام ، وما أتى أحدٌ قط أحداً^(١) بمخالفة هواه إلا ساءه^(٢) وأذاه ، إلا من عصم الله : (٨٧: ٢) أفكلما حاكم

(١) في الأصل : أحد بالرفع . وهو خطأ

(٢) في الأصل : ساء

رسول بما لا تهوى أنفسكم استكبرتم ، ففريقا كذبتم ، وفريقا تقتلون) وهؤلاء الذين اتسموا بسمَةِ الاتحاد ، وقد ألفهم الطغام^(١) من الأنام ؛ لما غرّروهم به من إظهار التصوف ، ليأخذوهم من المأمن ، وما دروا أن الصوفية أشد الناس تحذيرا منهم ، وتنفيرا للعباد عنهم .

الرأى فى سلف الصوفية

فإن المحققين منهم والمحققين^(٢) بنوا طريقهم على الاقتداء بالكتاب والسنة^(٣) ، كما نقل القاضى عياض فى أوائل القسم الثانى من الشفاء فيما يجب من حقوق المصطفى صلى الله عليه وسلم عن الحسن^(٤) رحمه الله أنه قال : « إن أقواما قالوا : يا رسول الله^(٥) ، إنا نحب الله ، فأنزل الله تعالى : (٣ : ٣١ قل : إن كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله) وعنه أنه قال : « عمل قليل فى سُنّة خيرٌ من عمل كثير فى بدعة » وعن أبى عثمان الخيرى^(٦) أنه قال : « من أُمّر على نفسه السنة قولاً وفعلاً نطق بالحكمة ، ومن أُمّر الهوى على نفسه نطق بالبدعة » ، وقال سهل بن عبد الله التسترى^(٧) : « أصول مذهبنا ثلاثة : الاقتداء بالنبي صلى الله عليه وسلم فى الأخلاق والأفعال ، والأكل من الحلال ، وإخلاص النية فى جميع

(١) الأوغاد من الناس ، مفردة طغامة ، وهو يتظن على الناس : يتجاهل عليهم « أساس البلاغة »

(٢) كذا بالأصل : ولعل الثانية زائدة ، أو لعلها : المتحققين

(٣) كتب الصوفية سلفهم وخلفهم تشهد عليهم بنقيض هذه الدعوى الكذوب

وقد سبق بيان هذا

(٤) يعنى : البصرى . ولم يك صوفيا

(٥) فى الأصل : رسول . وهى كما أثبتتها فى الشفاء

(٦) هو سعيد بن إسماعيل بن منصور . توفى سنة ٢٩٨ هـ

(٧) توفى سنة ٢٧٣ هـ

الأعمال^(١) ، وفي كتب القوم كالرسالة والموارف^(٢) من ذلك شيء كثير ،
والشهادة على من قال : الحقيقة خلاف الشريعة بالزندقة^(٣) ، وأن الطرق كلها
مسدودة إلا على من اقتفى أثر الرسول صلى الله عليه وسلم^(٤) ، قاله الجنيد^(٥) ،
وقال أبو عثمان الخيري : خلاف السنة في الظاهر علامة رياء في الباطن ، وقال
النوري^(٦) : من ادعى حالا يخرج من حد العلم الشرعي ، فلا تقرب منه ، وقال
الخراساني : كل باطن يخالفه ظاهر ، فهو باطل ، وقال القشيري : حكم الوقت فيما ليس
لله فيه أمر ، إذ التضييع لما أمرت به ، والإحالة على التقدير ، وعدم المبالاة بما
يحصل من التقصير - خروج عن الدين^(٧) ، وقال السهروردي في قوم تسبوا

(١) انظر ص ٧ ج ٢ الشفاء ، وإذا كان هذا صحيحا ، فلم يوجبون الاقتداء
بالشيوخ وحدهم ؟ ولم يأكلون السحت من صناديق نذور الأصنام ؟ ولم يقصدون
بالصلاة في مساجد وجوه الهامدين في الأضرحة ؟ !

(٢) الرسالة لعبد الكريم بن هوازن القشيري . ولد سنة ٣٧٦ وتوفي سنة
٤٦٥ هـ . والموارف لأبي حفص شهاب الدين عمر بن محمد بن عبد الله السهروردي
ولد سنة ٥٣٩ وتوفي سنة ٦٣٢ هـ

(٣) إن من يقسم الدين إلى حقيقة وشريعة لا يقترف هذا إلا وهو يتصور
المغايرة بين الإثنين ، ويؤمن بهذه الغيرية ، وكتب القوم جميعها طائفة بهذا مفضلة
الحقيقة على الشريعة ، وإلا . فما فائدة التقسيم عندهم ؟

(٤) انظر ص ١٩ من الرسالة للقشيري

(٥) يسمونه سيد الطائفة . توفي سنة ٢٩٧ هـ وكما نقل عنه القشيري هذا ،
فقد نقل عنه أنه سئل عن العارف فقال : من نطق عن شرك وأنت ساكت ! !
والله وحده هو الذي يعلم ما تكن الصدور

(٦) أحمد بن محمد أبو الحسين . مات سنة ٢٩٥ هـ

(٧) ولكن اسمع للقشيري يقول في رسالته ص ٣١ : « الكيس من كان
بحكم وقته . إن كان وقته الصحو فقيامه بالشريعة وإن كان وقته المحو فالغالب عليه
أحكام الحقيقة » ألا ترى القشيري هنا يؤكد المغايرة بين الشريعة والحقيقة ، وأن
العارف في المحو ترفع عنه تكاليف الشريعة ؟

باللامتية^(١) : «إنهم - في غرور - يزعمون أن الارتسام بالشريعة رتبة العوام ، وهذا عين الإلحاد ، وكل حقيقة ردتها الشريعة فهي زندقة^(٢) » وكذا قال الشيخ [٦٤] عبد القادر الكيلاني ، وقال القشيري : « من كان سكره بحظ مشوبا كان صحوه بحظ [صحيح^(٣)] مصحوبا ، ومن كان مُحِقًا في حاله ، كان محفوظا في سكره ، والعبد^(٤) في [حال^(٥)] سكره يشاهد الحال ، وفي حال صحوه يشاهد^(٦) العلم ، إلا أنه في حال سكره محفوظ ، لا بتكلفه ، وفي حال صحوه متحفظ بتصرفه ، ومن شرط الولي أن يكون محفوظا ، كما أن من شرط النبي أن يكون معصوما » . وإنما نقلت هذه النبذة الماضية من الشفاء^(٧) ، ليعلم أن طريق

(١) اقرأ عنهم كتاب الدكتور عفيفي : اللامتية

(٢) ص ٥٧ عوارف المعارف للسهروردي

(٣) ، (٥) ساقطتان من الأصل ، وأثبتهما عن الرسالة للقشيري

(٤) في الأصل : وهو . والتصحيح من رسالة القشيري

(٦) في الأصل : بشرط . والتصحيح من رسالة القشيري

(٧) نقل المؤلف هذه النصوص ليقم الحجة على الصوفية بشهادة أئمتهم ، ولكن

ما ينبغي أن نفرنا بالحق هذه النصوص ، فإنما هي وجه إسلامي لقلب مجوسى ،

يحتدم حنقا على الكتاب والسنة ، فالقشيري الذى يترأى بتمجيد السنة هو الذى زعم

فى رسالته أن قبر معروف الكرخي يستشفى به ، ونقل قول الكرخي للسرى

للسقطى : « يا سرى . إذا كانت لك حاجة إلى الله فأقم عليه بي » ويكفى هذا

لإخراج الرء من زمرة المسلمين . ويقول السهروردي فى عوارفه ص ١٥٨

« وقد تقرر أن الوحدة والعزلة ملاك الأمر ، متمسك أرباب الصدق » فأين

الجمعة والجماعة والجهاد فى سبيل الله ؟ ثم يدعو السهروردي دعوة ما نوبة صرفة

فينسب إلى الرسول زورا أنه أباح العزوبة لأئمة بعد المائتين ، ويقول : سمعنا عن

الجليلى أن بعض الصالحين قال له : لم تزوجت ؟ فقال : ما تزوجت حتى قال لى

رسول الله ، فقال له : الرسول يأمر بالرخص ، وطريق القوم : التزم بالعزيمة »

يلتزم طريق القوم ، ولا يلتزم أمر الرسول !! فهل تشم نفحة من السنة ؟ لا بل =

الفقهاء هي طريق الصوفية^(١) ، هذا ما بنى عليه الصوفية أمرهم ، وأما هؤلاء الذين تشبهوا بهم ، ونبه العلماء - حتى الصوفية - على أنهم ليسوا منهم ، ودلّوا على الناس ، ولبسوا أحوالهم ، ليقطعوا الطريق على أهل الله ، وهم يظهرون أنهم منهم .

منابذة الصوفية للعقل والشرع

فأول ما بنوا عليه أمرهم ترك العقل^(٢) الذي بنى الله أمر هذا الوجود على حكمه بشرط استناده إلى النقل الذي أنزل به كتبه : وأرسل به رساله عليهم الصلاة والسلام ، لئلا يزل العقل بما يغلبه من الفتور والشهوات والحفظ ، وجعل العقل حاكماً^(٣) لا يعزل بوجه من الوجوه في وقت من الأوقات في ملة من الملل وضموا إلى ذلك^(٤) الداهية الدهياء ، وهي ترك ما عطر الله ورسوله صلى الله عليه وسلم الكون بمدحه ، وملأ الوجود بذكر مناقبه وفضائله ، وهو العلم والشرع

= يحموم المانوية الصرفة الداعية إلى القضاء على النوع الإنساني ، وإبادة الجنس البشري كله . وهذا يؤكد لك قوة الصلة ، بين مجوسية ماني وبين التصوف

(١) شتان شتان ما طريق الصوفية ، وطريق الفقهاء ، والصوفية أنفسهم يقرون بهذا ، ويزعمون أن طريقهم هو الحقيقة لا الشريعة ، وتمسك الفقهاء هي الشريعة ، والصوفية يرون المستمسك بالشريعة محجوباً عن الحقيقة ، ثم ما لابن حنبل يأبى أن يسير في جنازة الحارث المحاسبي !؟ إنه اشم من كلامه تن رائحة التصوف !؟
(٢) مقياس الحقيقة ومصدر المعرفة عند الصوفية هو الذوق ، وهذا سر ترديدهم لأسطورتهم : من ذاق عرف ، أما العقل فيكفرون به ، ويرونه حجاباً يستر الحقيقة ، كل هذا ليغفروا من حكم العقل عليهم بالآفن والضلال

(٣) ما للعقل أن يحكم على الحقائق الشرعية ، والقيم الدينية إلا بحكم الكتاب والسنة ، لا كما يزعم الفلاسفة وغيرهم من علماء الكلام والأصول : وهو أن العقل أصل النقل وحاكم عليه

(٤) أي إلى تركهم للعقل

وحذروا من اتباع شيء من ذلك غاية التحذير ، فكانوا كالأنعام ، بل هم أضل سبيلا ، وذلك بين جداً في فصوص ابن عربي ، ونظم ثائية ابن الفارض اللذين قصد بهما هدم الشريعة ، وكل منهما^(١) نابت عن نسب إليه عند أهله ثبوتاً رافعاً للريب والثائية متصلة بابن الفارض بالآحاد والتواتر .

موقف العلماء من ابن عربي وابن الفارض

وقد كفرهما العلماء بسبب ما نُقل من حالهما ، وما صدّق ذلك من كلامهما . أما ابن عربي ، فالتسكّمون فيه كثير جداً ، وكان له علم كثير في فنون كثيرة ، وله خداع كبير غرّ به خلقاً ، فأثنى عليه لأجل ذلك ناس من المؤرخين^(٢) ممن

(١) يعني : الفصوص والثائية الكبرى

(٢) كم سجل الهوى في التاريخ البطولة للرعديد ، والقدسية للداعر ، والعدالة للطاغية ، والجماعة الإنسانية التي تعدد ، وتباين فيها المقاييس الدينية والحلقية والاجتماعية تختلف على نفسها في تقدير قيم الحقائق والأشياء ، وبالتالي فيمن تنسب إليهم هذه القيم إثباتاً أو نفيًا ، لذا أمر الله سبحانه أن يحمل المسلمون كتاب الله وسنة نبيه حكماً بينهم ، يحتكمون إليها كما شجر بينهم خلاف ، حتى يقوموا بحقائق الأشياء بالحق والعدل ، ويحكموا في أقضيتهم بالحق والعدل ، فلا يبدد الخلاف وحدتهم ، ولا يذهب بهم الهوى شيعاً وأحزاباً . وقد حدد الكتاب والسنة مفهوم التوحيد والشرك ، ومفهوم الإيمان والكفر ، بل والخير والشر ، وضرب الله سبحانه لنا أمثالا ممن حكم عليهم بواحد منها . فبجانب نوح عليه السلام ذكر ابنه وبجانب إبراهيم عليه السلام ذكر أباه آزر ، وبجانب موسى وهرون عليهما السلام ذكر الله فرعون وهامان وقارون ، وبجانب محمد صلى الله عليه وسلم ذكر أبا لهب بالاسم ، وغيره بالصفة ، وبجانب مريم وامرأة فرعون ذكر امرأة نوح وامرأة لوط . ذكر الأولون في مقام الثناء عليهم ، وإسباغ الرضى والرحمة ، وذكر الآخرون في مقام الدم وصب الغضب واللعنة عليهم ، مع ذكر أسباب الثناء وأسباب الدم ، لتكون لنا بالصالحين نعم القدوة ، فنسعى سعيهم ما استطعنا ، وفي الطالحين العظة =

خفى عليهم أسره، أطبق العلماء على تكفيره وصار أسراً إجماعياً. وأما ابن الفارض فأسره أسهل، وذلك أنه لم يوجد لأحد من أهل عصره الخبيرين بحاله ثناء عليه بعدالة، ولا ولاية، ولا ظهر عنه علم من العلوم الدينية، ولا مدح النبي صلى الله عليه وسلم بقصيدة واحدة على كثرة شعره، فدل ذلك على سوء طويته، ونقل القدح فيه نقلاً قطعياً عن محبيه ومبغضيه، فقد قال شراح تائية التابعون لطريقته والمنتقدون عليه من أهل السنة: إن أهل زمانه كلهم من أهل الشريعة، وأر باب الطريقة رموه بالفسق والإباحة والزندقة [٦٥] على الإجمال.

المكفرون لابن الفارض

وأما التفصيل والتعيين، فقد رماه بالزندقة بشهادة الكتب الموثوق بها نحو من أربعين عالماً، هم دعائم الدين من عصره إلى عصرنا، فمن أهل عصره سلطان العلماء عز الدين [ابن] عبد السلام الشافعى، والحافظ الفقيه الأصول تقي الدين ابن الصلاح الشافعى، والإمام الفقيه المحدث الصوفى قطب الدين القسطلانى الشافعى، والإمام نجم الدين أحمد بن حمدان الحنبلى^(١) وشرح التائية، وبين

والعبرة، فنحذر مما أركسوا فيه، وبسببه لعنهم الله وطردهم من رحمة. وبهذه المقاييس القرآنية يجب أن تؤمن، وبها يجب أن نقيس كل ما يعرض علينا من أمور الدين والحياة، فلا نفهم فى التوحيد إلا ما بينه الله سبحانه به، وكذلك الشرك وغيرها. ولا نخدعنا عن الحق الجلى من كتاب الله كهان ولا أخبار، ولا رهبان، وعلى هداية الحق تنقد التصوف، دون أن نغير التفان إلى ثناء المثنيين، أو ذم الداميين، ما دمتا نحمل المشعل الوهاج من القرآن يكشف لنا ما خفى من أمر التصوف. فما بهم بعده ثناء الملايين على ابن عربى وابن الفارض، وكيف، ونحن نعرف قصة فرعون وقصة الوثنية، ونعرف بمحكم الله على الجميع؟! فكل من نجده فى دينه منتسباً إلى الفرعونية أو الوثنية. حكنا عليه بحكم الله، وإن ضج الملايين من الصوفية!!

(١) من أئمة الفقه والأصول، ولى نيابة القضاء بالقاهرة. ولد سنة ٦٠٣ وتوفى

عواره فيها بيتاً بيتاً - وأبو علي عمر بن خليل السكوني المالكي ، والشيخ جمال الدين بن الحاجب المالكي .

ومن يليهم قاضي القضاة تقي الدين ابن دقيق العيد الصوفي الشافعي ، وقاضي القضاة تقي الدين عبد الرحمن ابن بنت الأعز الشافعي ، وقاضي القضاة بدر الدين ابن جماعة الشافعي ، والشرف عيسى الزواوي المالكي ، والسعد الحارثي الحنبلي ، والإمام أبو حيان الشافعي ، وأبو أمانة ابن النقاش الشافعي ، والحافظ شمس الدين الموصل الشافعي ، وشيخ الإسلام تقي الدين السبكي الشافعي ، وشيخ الفقهاء الزين ^(١) الكتفاني الشافعي ، والشيخ تقي الدين ابن تيمية الحنبلي .

ومن يليهم السكّال جعفر الأديوي ^(٢) الشافعي - ونقل ذم الثائية عن العلماء - والبرهان إبراهيم السفاقي المالكي ، والشهاب أحمد بن أبي حجلة الحنفي ، والحافظ شمس الدين الذهبي الشافعي ، والحافظ عماد الدين ابن كثير الشافعي .

ومن يليهم العلامة شمس الدين محمد العيزري ^(٣) الشافعي ، وشيخ الإسلام سراج الدين عمر الباقيني الشافعي ، وعلامة زمانه علاء الدين محمد البخاري الحنفي الصوفي - وكفر بعض من قال بحضرته : إن ذلك يُؤَوَّل ^(٤) ، وما أنكر عليه أحد ممن كان حاضره من العلماء تكفيره له ، ولا غيرهم من أهل زمانه من مذهب من المذاهب ، وما وسع المكفر إلا البراءة من الاتحادية ، ومذهبهم .

ومن يليهم قاضي القضاة ولي الدين العراقي ، وقاضي القضاة حافظ عصره

(١) في الأصل : الدين

(٢) ولد سنة ٦٨٥ ، أو سنة ٦٧٥ هـ ، وتوفي سنة ٧٤٨ هـ

(٣) ولد بالقدس سنة ٧٢٤ ، وتوفي سنة ٨٠٨ هـ ومن شيوخه ابن قيم

(٤) من قال بهذا هو شمس الدين البساطي كما ذكر المؤلف من قبل

شهاب الدين أحمد بن حجر الشافعى ، وقاضى القضاة بدر الدين محمود العيني الحنفى
وقاضى القضاة شمس الدين البساطى المالكى ، وعلامة اليمن بدر الدين حسين
ابن الأهدل الشريف الشافعى الصوفى ، كما شهد بهذا النقل عنهم نحو عشرين
كتاباً من مصنفاتهم ، ومصنفات غيرهم من العلماء ، وهى شرح التائية لابن
حمدان ، وديباجة ديوان ابن الفارض ، ولحن العوام لابن خليل ، وتفسير أبى حيان
البحر والنهر والفرقان لابن تيمية^(١) ، وقصيدة السفاقسى التى يقول فيها :

وكالشترى القونوى ابن فارض

فلا برّد الله نراهم ، ولا أسقى

والقونوى الذى ذكره . صدر الدين [٦٦] صاحب ابن عربى ، وكتاب
ابن أبى حجلة ، والميزان ولسانه لابن حجر ، والتاريخ لابن كثير بخطه ، وناصحة
الموحدين للعلاء البخارى ، والفتاوى المكية للعراقى ، وتاريخ العيني وشرح
التائية للبساطى ، وكشف النطاء لابن الأهدل . فهذه ستة عشر كتاباً وقصيدة
شهدت بكفره من بضع وعشرين عالماً ، هم أعيان كل عصر .

موقف شيوخ المذاهب من ابن الفارض

ومن كفره قاضى القضاة سعد الدين الديرى الحنفى ، وقاضى القضاة محقق
زمانه شمس الدين القاياتى ، ونادرة وقته عز الدين بن عبد السلام القدسى الشافعى
والعلامة علاء الدين القلقشندى الشافعى ، والشيخ يحيى العجيسى المالكى والعلامة

(١) لا يكاد يخلو كتاب من كتب ابن تيمية من نقد الصوفية ، وبيان عوارهم
ويلاحظ أن البقاعى لم ينقل عن ابن تيمية سوى النذر اليسير ، بل الذى لا يكشف
تمام الكشف عن العبقرية المحلقة للامام الجليل فى نقده للتصوف بالعقل والنقل ،
وهذا يثير الدهشة من جانب البقاعى ، أما نحن فيسرنا هذا حتى لا توضع خصومة
ابن تيمية للتصوف موضع التهمة من الصوفية فى هذا الكتاب

شمس الدين البلاطيسى الشافعى شيخ الشاميين فى وقته ، وشيخ الإسلام عبد الأول السمرقندى الحنفى ابن صاحب الهداية ، والعلامة الصوفى كمال الدين ابن إمام السكاملية الشافعى ، والعلامة شهاب الدين ابن قر الشافعى ، والعلامة أبو القاسم النويرى المالكى ، كما شهد بذلك الثقات من أصحابهم .

فهؤلاء أعيان العلماء فى عصر ابن الفارض ، وفى كل عصر أتى بعده طبقة بعد طبقة إلى وقتنا هذا ؛ وقد اجتمع فيهم أهل المذاهب الأربعة التى هى عمدة الإسلام^(١) ، فشهادة هؤلاء العلماء الموثوق بهم حجة على من قال بكفره ، أما من لم ندركه فشهادة الكتب الموثوق بصحة نسبتها إلى قائلها . وأما من أدركناه فشهادة الكتب فى بعضهم ، وشهادة الثقات فى باقىهم^(٢) ، هذا إلى ما شهدت به شروح التالفة كما يأتى .

تواتر نسبة ابن الفارض إلى الكفر

فقد صارت نسبة العلماء له إلى الكفر متواترة تواتراً معنوياً . وقد علم بهذا عذر من كفره ، لو لم يكن له سند غير هذا ، فكيف وقد تأيد هذا بما فى كلامه وكلام ابن عربى من الطامات التى منها منابذة العقل والشرع كما مضى ؟ .

(١) يسير المؤلف مع القافلة الشرود فى المذاهب الأربعة عمدة الإسلام ، وينسب الكتاب والسنة للذين أمرنا الله سبحانه أن نرد إليهما كل شيء ، ولو رددنا أمر الصوفية إلى بعض شيوخ هذه المذاهب — لا الأئمة الأربعة رضوان الله عليهم — لوجدناهم يصححون له زندقته ، أما الكتاب الكريم فقد حكم الله فيه بالكفر على القائل : الله هو المسيح ، وابن عربى يقول : الله عين كل شيء .

(٢) إن من يقرأ نصف بيت من تائية ابن الفارض ، كقوله مثلاً : فى دارت الأفلاك . أو : وفى الصحو بعد المحو لم أك غيرها . أو : وما زلت إياها . من يقرأ شيئاً من هذا لا يتردد فى الحكم على ابن الفارض أنه رجل انسلخ عن الإسلام . يحكم بهذا المسلم ، بل غير المسلم ممن يقارنون بين التوحيد فى القرآن ، وبين الوحدة عند ابن الفارض . فما بالك ، وقد حكم عليه كل أولئك العلماء ؟ !

الضلال عند الصوفية خير من الهدى

أما ما في الفصوص من ذلك ، فقد قال في الفص النوحى في أثناء تحريفه لسورة نوح عليه السلام ، التحريف الذى يكفر الإنسان بأذى شئ فيه ^(١) : « (٧١ : ٢٤) وقد ضلوا كثيراً) أى حَيَّرُوهم في تعداد الواحد (ولا تزد الظالمين) المصطفين الذين أورثوا الكتاب ، فهم أول الثلاثة (إلا ضللاً) إلا حيرة ، فالخائر له الدور والحركة الدورية حول القطب ، فلا يبرح منه ، وصاحب الطريق المستطيل مائل خارج عن المقصود طالب ما هو فيه ، صاحب خيال إليه غايته ، وله « من » و « إلى » وما بينهما ، وصاحب الحركة الدورية لا بدء له ، فيلزمه « من » ولا غاية له ، فيحكم عليه « إلى » فله الوجود الأتم ، وهو المؤتى جوامع الكَلَم والحكم » وقال : (٧١ : ٢٢) ومكروا مكرراً كباراً) لأن الدعوة إلى الله مَكْرٌ بالمدْعُو ، لأنه ما عدم من البداية ، فيُدعى إلى الغاية ، ادعوا إلى الله ، فهذا [٦٧] عين المكر ^(٢) . »

رب ابن الفارض أنثى

وأما ما في التائية من ذلك فقال فيها مخاطباً لله تعالى - كما أجمع عليه شراحه - بضير المؤنث من أولها إلى آخرها وهى نحو سبعمائة ^(٣) بيت ، ولو خاطب أحد من أهل الزمان غيره مثل ذلك ^(٤) قاتله ، لكن الناس لا يحملون إلا عند حقوق مولاهم سبحانه ، وأما في حقوقهم ، فهم في غاية الحدة والمشاحنة ^(٥) ، والله الهادى .

(١) في هامش الأصل : لعله : منه

(٢) سبق نقل هذا عن ابن عربى وتعليق عليه

(٣) بل تقارب الثمانمائة

(٤) أى : يمثل غزله الماجن في الذات الإلهية

(٥) مثال ذلك حنق الصوفية على كل من يزود عن الكتاب والسنة ، ومن =

تفضيل الزنديق نفسه على الرمل

قال :

وحزنى ما يعقوبُ بثَّ أقـلـه

وكلُّ بلا أيوب بعضُ بليـتى

فضله الشارع على من ذكر في البيت كما هو ظاهر العبارة وعلل ذلك بقوله « لقوة استعداده ، فسار في خطوة واحدة مالا يستطيعه غيره إلا في أزمنة طوال » وقال القاضى عياض فى أواخر الشفاء : « من قال : صبرت كصبر أيوب ، إن درى عنه القتل لم يسلم من عظيم النكال » وأقول : فكيف إذا فضل نفسه ، وكذب نحو قوله صلى الله عليه وسلم : « أشد الناس بلاه الأنبياء ^(١) » ؟ !

الحلاعة سنة ابن الفارض

قال :

وخلع عذارى فيك قرضى وإن أئى اقترأ

بى قوى ، والحلاعة سنـتى

وليسوا بقوى ما استعابوا تهتكى

فأبدوا قلى واستحسنوا فيك جفوتى

وأهلى فى دين الهوى أهله ، وقد

رضوا لى عارى واستطابوا فضيحتى

فمن شاء ، فليغضب سواك ، فلا أذى

إذا رضيت عنى كرام عـشـيرتى

== يحكم على طواغيتهم بحكم الله ، ثم تمجيدهم لما يشتم به ابن عربى الله رب العالمين ،

وهتافهم الساجد لوثنيته الباغية

(١) سبق ذكره ، وتخرجه ومعناه

ذلتُ بها في الحى حتى وجدتني
وأدنى منالٍ عندهم فوق همى
وأخلى وهنا خضوعى لهم ، فلم
يرونى — هواناً^(١) بى — محلاً لخدمتى
ومن درجاتِ العز أمستُ مُخلداً
إلى دركاتِ الذل من بعد نخوتى
فلا باب لى يُفتش ، ولا جاء يُرتجى
ولا جار لى يُحمى لفقد حميتى
كان لم أكن فيهم خطيراً ، ولم أزل
لديهم حقيراً فى رخائى وشدتى
فخالى بها حال^(٢) بعقلٍ مُدله^(٣)
وصحفةٍ مجهود ، وعز مدلة
أسرت تُمنى وصلها النفسُ حيث لا
رقيب حجباً يبرأ ليرى وخصت
يفالط بعض عنه بعضى صيانة^(٤)
وميتنى فى إخفائه صدق لهجتى

أجمع شراح التائية على أن المراد بالأبيات التسعة الأولى : أن طريقه هتك
أستار الحرمه ، والخرق فى بعض النواميس الإلهية ، وتخليته الناس مع ربهم من غير
أمرٍ بمعروف ، ولا نهى عن منكر ، ورضاه بكل ما يقع منهم لشهوده الأفعال

(١) فى الأصل : هو انانى

(٢) أى : متزين

(٣) فى الأصل : لعقل مدلة ، والتصويب من الديوان

(٤) فى الأصل : صباية ، ويقصد ببعضه الأول : نفسه ، وبالأخر : عقله

كلها الواحد^(١) الحقيقى الظاهر فى صور الكثرات ، وعدم الالتفات إلى المتترسمين من النزهة والعباد ، وكسر نواميسهم^(٢) ، والرد عليهم وعدم التقييد بظواهر العلوم والاعتقادات ، فحملهم ذلك على أن رموه بالفسق والبدعة والكفر والإباحة والزندقة والخروج عن طريقهم ، فذل بين حى أهل الشريعة والطريقة وأجمعوا^(٣) على أن المراد من الثلاثة [٦٨] الأخرى أن نفسه أسرت تمنى الوصول ، وتحتقنها بحقيقته حتى غاب عنها رقيب العقل ؛ خوفاً من اطلاعه على ذلك ، فيغلب عليه حكم التنزيه ، فيقوم بالمنع والتشنيع ، فيقول^(٤) : ما للرب ورب الأرباب ، وأنه بالغ فى الإخفاء خوفاً من أن يتنبه العقل^(٥) ، فيقوم يشنع وينكر ، فصار كل واحد من الصفات يغالط الآخر ، وكذبه فى هذا صدق لمجته .

وقال بعد ذلك بكثير :

ولا استيقظت عين الرقيب ، ولم تزل

على بها فى الحب عيني رقيبتي

قال التلمسانى : « يعنى لما سكرت روحى ، ونامت عين الرقيب - وهو الشرع والعقل - أقمت عيني رقية على ، لرعاية آداب حضرة المحبوبة » .

ذمه للرسل وللشرع

وقال فى ذم الشرع أيضاً .

(١) لعله سقط قبلها : من ، أو : فعل ، أو : صادرة عن

(٢) فى الأصل : نواميس

(٣) أى : شراح التائبة

(٤) أى : العقل

(٥) هذا إقرار صريح بأن نتائج التصوف تجافى العقل ، فإذا كان دينهم

يجانب الشرع والعقل . فماذا بقى ؟

منحتك علما إن ترذ كشفه فرد
سبيل ، واشرع في اتباع شريعتي
فتبع صداء^(١) من شراب نقيته^(٢)
لدى ، فدعى من شراب بقيعة
ودونك بحرا خضته ، وقف الأولى

بساحله صونا لموضع حرمتي
قال الشراح : « إن معنى ذلك أنه منع أتباعه علما كما صداء ، وهو ماء
يضرَب به النمل في الغزارة والعدوبة ، ونهى عن متابعة غيره من علماء الظاهر
من الأصوليين والفلاسفة والفقهاء ، وغيرهم من أهل العلوم الفكرية ، فإنها تفر
السامع ، وهي كسرَاب بقيعة ليست شيئا ، وأنه خاض بحر التوحيد ، وأخرج
منه ما لم ينله أحد من السابقين من الأنبياء والأولياء لوقوفهم في ساحل ذلك
البحر لأجل حفظ حرمة^(٣) » ثم خادعوا^(٤) بأن قالوا : « قال هذا على لسان
الحضرة المحمدية^(٥) ؛ إذ كمال التوحيد مختص بمقام جمعه ، والكل والتابعين
إياه » انتهى .

وقد وقع من شرحه بذلك - مع الحميدة عما لا يحيد عنه - في السكفر من

(١) في الديوان : صدا بالقصر لضرورة الشعر ، وهي صداء بالمد وتشديد الدال

(٢) في الأصل : نقيعة

(٣) أى : حرمة ابن الفارض

(٤) أى : شراح التائية

(٥) ظن المؤلف أنهم يقصدون بالحضرة المحمدية محمدا صلى الله عليه وسلم ،
وهذا غير صحيح ، فالصوفية يريدون بالحضرة المحمدية الذات الإلهية مع التعيين
الأول ، ومن باطنها يزعمون أنهم يستمدون الفيوضات الإلهية مباشرة ، فمعنى قول
الشراح إذاً : إنه قال هذا على لسان الله سبحانه . والدليل قولهم : مختص بكمال
جمعه : أى أنه هو الذات الكاملة التي جمعت بين الحق والخلق في أكل ماهية

جهة أخرى ، وهي أنه يلزم منه تفضيل أتباع النبي صلى الله عليه وسلم على الأنبياء
الماضين عليهم السلام^(١)

يفضل أتباعه على الرسل ، وزندقته على شرعة الله

ومن نعطه — لكونه لا ينفك عن كفر — قوله عَقِبَهُ :

وأصغرُ أتباعي على عين قلبه

عرانسُ أبكارِ المصارفِ زُفَّتْ

فإن سِـبِيلَ^(٢) عن معنى أتى بفرائب

من الفهم جَلَّتْ ، أو عن الوهم دَقَّتْ

فإنه لا يصح على لسانه ، ولا لسان غيره^(٣) .

ثم قال في ذم الشرع والعلم :

ولاتك ممن طيشته دروسه بحيث استقلَّت عقله واستفرت

فم وراء النقل علم يدق عن مدارك غايات العقول السليمة

تلقيته مني ، وعنى أخذته ونفسي كانت من عطائي^(٤) ممدتي

(١) بل تفضيل نفسه على خاتم الأنبياء والمرسلين وعلى فرض صحة زعمهم أنه
يتكلم بلسان محمد صلى الله عليه وسلم ، فإنه يكون بهذا قد تعمد الكذب على
رسول الله ، فهو صلى الله عليه وسلم ما قال هذا الشعر الصوفي ، وجزاء متعمد
الكذب على الرسول الكريم معروف

(٢) أى : سئل

(٣) أى . ولا لسان محمد صلى الله عليه وسلم ، ردا على زعمهم أنه يتكلم بلسان
الحضرة المحمدية

(٤) فى الأصل : بالعطاء . والتصويب من الديوان . وابن الفارض يختار كلتى
الإعطاء والإمداد عن عمد آثم يدل على مبلغ اعتقاده فى أنه هو الله . إذ الله
مبجانه هو الذى يقول عن نفسه تعالى « كلا نعد هؤلاء وهؤلاء من عطاء ربك »

قالوا في معناه : « لا يستخفّنك كثرة دروس العلوم النقلية ، فوراها علم
مكتون أخذتُ ظاهره من حسي ، وباطنه من عقلي ، وسِرّه من روحي ،
ومكتونه من سري من حيث أن كل واحد منها عيني وذاتي . ولا وصف ،
ولا نعت زائد علىّ حاكم بمغايرتي ، وغيريتي إياها ، فكنتُ المعطى ، وكنتُ
المعطى ، وكنتُ الممدّ ، وكنتُ المُستمدّ ، والفاعل والقابل ^(١) » .

هذا أمرهم [٦٩] في الانسلاح من العقل .

الصلة بين التصوف والنصرانية

وقد شهد عليهم العلماء بذلك . قال العلامة قاضي القضاة شمس الدين البساطي
في أول كتاب له في أصول الدين في المسألة السادسة من الكتاب الثاني في أبه
سبحانه ليس متحداً بشيء : « واعلم أن هذه الضلالة المستحيلة في العقول سرت
في جماعة من المسلمين ، نشأوا في الابتداء على الزهد والعبادة - إلى أن قال - ولم
في ذلك - أي الاتحاد بالمعنى الذي قالته النصارى - كلمات يعسر تأويلها ، بل
منها ما لا يقبل التأويل ، ولم في التأويل خلطٌ وخَبْطٌ كلما أرادوا أن يقربوا من
المعقول ، ازدادوا بُعداً ، حتى أنهم استنبطوا قضية حلّت لهم الراحة ، وقنعوا في
مخالطة الضرورة بها بالغيب ، وهي أن ما هم فيه ، ويزعمونه وراء طَوْرِ العقل ،
وأنه بالوجدان يحصل ، ومن نازعهم محبوبٌ مطرود عن الأسرار الإلهية » وهكذا
قال الشيخ سعد الدين في شرح المقاصد ، والشريف في شرح المواقف ^(٢)

ادعاؤه الربوبية

ولما تمهد له في زعمه ^(٣) ادعى أنه الله ؛ عناداً لقوله تعالى : (١٧ : ٥) لقد كفر

(١) لو قرأت بإزاء هذا قول الله (إياك نعبد ، وإياك نستعين) لحكمت

على هذا الرجل بآية واحدة بأنه خارج عن الإسلام

(٢) سبق ذكر نصي العضد والسعد

(٣) أي : في زعم ابن الفارض

الذين قالوا : إن الله هو المسيح ابن مريم) وقوله تعالى : (٣١ : ٩) اتخذوا أحبارهم
ورهبانهم أرباباً من دون الله ، والمسيح ابن مريم) وقوله تعالى : (٦٥ : ١٩) هل
تعلم له سميّاً) ولأمر^(١) رسول الله صلى الله عليه وسلم في قتاله لكل من سمي
شيئاً غير الله إلهاً ، فقال شعر :

فبي دارت الأفلاكُ فاعجب لقطبها أَلْ مُحيطِ بها ، والقطب^(٢) مركز نقطتي

(١) معطوفة على قوله قبل . لقوله تعالى

(٢) زيادة على ما ذكرته قبل عن القطب عند الصوفية أقول هنا : القطب
عندهم نوعان . قطب قديم أو معنوي ، وقطب حادث أو حسي . فإن كان بالنسبة
إلى مافي عالم الشهادة من الخلق ، فهو القطب الحادث أو الحسي ، وهذا يستخلف
بدلاً منه عند موته أقرب الأبدال منه ، إذ كان هو قبل القطبية بدلاً ، ثم استخلفه
القطب الذي كان قبله عند موته ، وإن كان بالنسبة إلى مافي عالم الغيب والشهادة من
تعينات الوجود المطلق ، فهو القطب القديم ، أو المعنوي . لا يستخلف عنه بدلاً ،
ولا يقوم أحد من الخلائق مقامه ، إذ هو قطب الأقطاب المتعاقبة في عالم الشهادة ،
فلا يسبقه قطب ولا يخلفه آخر ، أي ليس قبله قبل ، ولا بعده بعد . والقطب القديم
هذا هو الروح المصطفوي ، أو الحقيقة المحمدية ، أو هو الله — وسبحان رب
العالمين — حين عرف نفسه في أول صورة تعين فيها ، وسماها الحقيقة المحمدية ،
ومن خصائص هذا القطب القديم وجود كل الأفلاك بوجوده ، ودورانها به ،
وحوله ، وإحاطة علمه وقدرته بأقطارها ، وسمو رتبته وشرفه عن ذرى رتبها
وسنام شرفها . وهنا يزعم ابن الفارض أنه هو هذا القطب القديم ، يعني قطب
الأقطاب ، يعني أنه الله سبحانه ١١ يزعم أن علمه محيط بكل شيء ، وأن قدرته
تصرف لمشيئته كل شيء ، وأنه فوق كل شيء بالشرف والرتبة ، وأنت — ولا ريب —
على ذكر من أن الله سبحانه هو وحده الذي يحيط علمه بكل مافي عالم الغيب والشهادة
وغير هذا مما لا يوصف به إلا الله سبحانه وتعالى وحده . وأنت — ولا ريب —
مدرك من قول ابن الفارض أنه ينسب كل هذه الصفات الإلهية لنفسه ، فهل يجوز
أن يعتربك وهم في أن ابن الفارض يقرر أنه هو الله ذاتاً وصفة وعلماً وقدرة ،
أعني له الربوبية والإلهية « انظر ص ١٠٣ ج ٢ كشف الوجوه الغر ، لعبد الرزاق =

فمن قال ، أو من طال ، أو صال إنما
وما سار فوق الماء ، أو طار في هوا
وعني من أمدته برقية
ومني لو قامت بميت لطيفة
ولا تخسبن الأمر عني خارجا
فلا حي إلا عن حياتي حياته
[ولولا لم يوجد وجود ، ولم يكن
ولا قائل إلا بلفظي محدث
هذا لا يصح كونه عنه ، ولا عن الله ^(٤) !!

زعمه أن صفات الله عين صفاته

ويقول أيضا أن الله يتحد به ، بحيث يصير الذاتان ذاتا واحدة ، فمن
ذلك قوله :

ولا منصت إرسمي في سامع
ولا ناطق غيري ، ولا ناظر ، ولا
ولا باطش إلا بأزلي وشدتي
سميع سواي ^(٥) من جميع الخليفة

القاشاني المطبوع على هامش شرح ديوان ابن الفارض ط ١٣١٠ هـ المطبعة الخيرية
فهذه بخاصة كتبت ما كتبت عن القطب ، وإن كان لنا شيء فالأسلوب وحده . كل
هذا لنقطع على الصوفية سبيل ادعاء أن ما تقول مفترى عليهم ، فلا والله ما نأخذ
ما نكتبه عنهم إلا من كتب آلهتهم !!

(١) في الأصل : في

(٢) في الأصل : أية . والتصويب من الديوان

(٣) هذا البيت ساقط من الأصل ، وأثبتته عن الديوان

(٤) هذا رد على زعم شراح الثائية أن ابن الفارض يتكلم بلسان الحضرة الإلهية

(٥) في الأصل : سواي . وهي في الديوان كما أثبتتها

وهأنا أبدى في اتحادى مبدئى وأنهى انتهائى فى تواضع رفعتى
جَلَّتْ فى تجلّيتها الوجودَ لناظرى فى كل مرئى أراها برؤية
وأشهدتُ غيبي إذ بدت فوجدتني هنالك إياها بجَلْوَةٍ خلوتى
فوصفتنى - إذ لم تدعُ باثنين - وصفها وهيئتها - إذ واحد نحن - هيئتي^(١)

(١) زعم الزنديق قبل أنه قطب الأقطاب ، وأن له وحده القدرة المهيمنة ، والعلم المحيط بما فى عالمى الغيب والشهادة ، وفى هذه الآيات يوغل أيضا فى الزندق لإضالا فاجرا ، فيزعم أنه السيد لكل سيد ، وأنه مفيض الحياة والوجود ، وأنه للرحمن على إرادة كل مرید ، فلولا ما وجد موجود ، ولا خلق كائن ، ولا أخذ العهد على آدمية أن تعبد الله ، ولا دعا إلى الله — بالحق — نبى أو رسول . لأنه الآخذ لهذا العهد على عبيده ، المرسل للرسل ، المانح المعطى كل كائن وجوده وحياته ، ولما كان ابن الفارض يدين بأن الله سبحانه هو عين خلقه ، وأنه - أى ابن الفارض - هو الله ، فقد هوى هنا فى هذه الآيات مع الزندقة إلى غورها السحيق ، إذ يزعم أن ما تلفظه الشفاء هو فى الحقيقة ألقاظ الله ، وأن ما تسمعه الآذان ، وتراه العيون ، عين ما يسمع الله ويرى ، بل الآذان والعيون هى فى حقيقتها آذان الله وعيونه - وتعالى الله عما يشركون ، مشيرا فى لآمة ماكرة إلى الحديث القدسى « كنت سمعه.. الخ » ملحا بهذه الإشارة إلى أن السنة تؤيد بهتان مجوسيته . وقد سبق الرد على ما يدندن به الصوفية حول هذا الحديث . كل هذا يهرق به محبول الزندقة ، ليؤكد لك عشرات المرات أنه هو الله ، ورغم جلاء الكفر الآثم فى شعره ، فإننا ما زلنا نسمع من الأجبار أن ابن الفارض سلطان العاشقين ، فى حين أن كفر ابن الفارض أشد جحودا ، وأخبث وسيلة وغاية من كفر الشيطان ، فأبليس فى لحظة تحدى العبودية الآبقة للربوبية المهيمنة ، لم يذهله التحدى عن عزة الله ، وأنه سبحانه هو الأعظم الأكبر ، فلم يقسم بغير عزة الله (٣٨ : ٨٢ قال : فبعزتك ، لأغوينهم أجمعين) وإبليس فى لحظة الجحود والعناد لم يزعم لنفسه القدرة الشاملة ، ولا التصرف الكامل ، فقال : (إلا عبادك منهم المخلصين) وإبليس فى لحظة التخاذيل بالكبر المقيت ، لم يزعم لنفسه أنه غنى عن الله ، ولا أن حياته طوع إرادته هو ، فدعا الله سبحانه دعاء المفتقر إلى من يؤمن بأنه غنى =

فإن دُعيتُ كنتُ الجيبُ وإن أكن
مُنَادِي أجابتُ من دعائي ، ولبتُ
[٧٠] وإن نطقتُ كنتُ المناجي ، كذاك إن

قصصتُ حديثاً إنما هي قصّتُ
فقد رُفِعَت تاء الخطاب بيننا^(١) وفي رفعها عن فرقة الفرق^(٢) رفعتُ
فإن لم يُجَوِّز رؤية اثنين واحداً حجاجك ، ولم يُثَبِّتْ لبعث تثبُّتِ
سأجلو إشاراتٍ عليك خَفِيَّةٌ بها ، كمباراتٍ لديك جَلِيَّةٌ
وأثبتُ بالبرهان قولي . ضارباً مثلاً مُحَقِّقٍ ، والحقيقة عمدتي
بمتبوعةٍ ينبيك في الصَّرْع غيرُها على فيها في مَسَّها حين جُنَّتِ^(٣)
ومن لغةٍ تبدو بغير لسانها عليه براهينُ الأدلةِ صَحَّتْ
وفي العلم حقاً أن مُبْدِي غريباً ما سمعتُ سواها ، وهي في الحسِّ أبدتُ

أن ينظره الله إلى يوم البعث . (١٥ : ٣٦ قال : رب فأُنظِرني إلى يوم يبعثون)
فتأمل في كفر إبليس وكفر ابن الفارض ، وثمت تقول مع الحق : وأين من كفر
الزنديق كفر إبليس ١١٩

(١) الخطاب يستلزم الإثنية ، إذ يقتضي وجود مخاطب ، ومخاطب . لذا ينفي
ابن الفارض الخطاب ، ليثبت من وراء نفيه ، أنه ما ثم غيره حتى يخاطبه ، وإنما
هناك ذات واحدة ، هي الذات الإلهية المتعينة في صورة ابن الفارض ، أو لعله يريد
أن تاء الخطاب - وهي مفتوحة - تحولت إلى تاء المتكلم وهي مضمومة ، فبدل
أن يقول : أنت خلقت ، أصبح يقول : أنا خلقت

(٢) الفرق عند الصوفية : « شهود قيام الخلق بالحق ، ورؤية الوحدة في
الكثرة ، والكثرة في الوحدة من غير احتجاب صاحبه بأحدهما عن الآخر » جامع
الأصول في الأولياء . فالفرق لا يزال مشوباً بالغيرية ، لذا يزعم ابن الفارض أنه
تسامى عن هذه المرتبة التي يشعر فيها السالك أن ثمت بينه وبين الله سبحانه وجهاً ما
من وجوه الغيرية ، وأنه في أفق يوقن فيه وتحقيق منه أنه هو عين الذات الإلهية
(٣) سبق هذا البيت وتعليقه، عليه

قال الإمام شمس الدين البساطي في شرح هذه الآيات : « ومن ظنَّ هذا برهانا ، فجنونه أعظم من جنون المتبوعة » وقال قبل ذلك :

زعمه أن الله سبحانه يصلي له

ولا غرو أن صلى الأنام إلى أن ثوت بفؤادي ، وهي قبلةُ قبَلتي
لها صلواتي بالمقام أقيمها وأشهد فيها أنها لي صَلَّتْ
كلانا مُصَلِّي واحدٌ ساجدٌ إلى حقيقته بالجمع^(١) في كلِّ سجدة
وما كان لي صلى سواي^(٢) ولم تكن صلاتي لغيري في أدا كل ركعة

نم قال بعد ذلك :

وفارق ضلال الفرق فالجمع ، مُنتَجَجٌ هُدَى فرقةً بالاتحاد تحدث

(١) الجمع عند الصوفية : « شهود الحق بلا خلق ، أو الإشارة إلى حق بلا خلق ، وهو ما يسمى : وحدة الشهود » غير أن ابن الفارض يعني به هنا ما هو أشد كفرا ، إذ يزعم أنه حين يسجد ، فالساجد والمسجود له حقيقة واحدة هي الحق في صورة خلق ، يعني الإله باعتبار الإطلاق ، والإله باعتبار التعيين في صورة ابن الفارض

(٢) فيما قبله عبر بقوله : كلانا مصل وكلا . والضمير الذي بهما يشيران بأنه ثم اثنان يؤديان الصلاة ، - وإن كان قد عقبه بما ينفي الإثنيية المفهومة من « كلانا » وهو قوله « واحد ساجد » . غير أنه لم يكتف بهذا في نفي الإثنيية ، فنظم هذا البيت « وما كان لي صلى سواي . . الخ » توكيدا لنفي ما نفاه من قبل ، وتوكيدا لمعنى الوحدة بينه وبين الله سبحانه ، ومعنى قوله : احذر أن تفهم أن المصلي غير من صلى له ، فإنما هما حقيقة واحدة تتحد غير العارف بتجليها في مظهرين غيبي وشهودي ، أو مصلٍ له ومصل ، المصلي أنا ، والمصلي له أنا ! ! غير أنني أقول للزنديق وعبيده : ما زال ثم غير . هو مكان الصلاة ، فلا يثبت لك نفي الغيرية والإثنيية .

رب الصوفية في صور العاشقات

ومَرَّح بِإِطْلَاقِ الْجَمَالِ ، وَلَا تَقْلُ بِتَقْيِيدِهِ مَنِيلاً لِزُخْرَفِ زِينَةٍ
بِهَا قَيْسُ لَبْنَى ^(١) هَامٌ ، بَلْ كُلُّ عَاشِقٍ كَجَنُونٍ لَيْلَى ^(٢) ، أَوْ كَثِيرٍ ^(٣) عَزَّةَ
فَكُلٌّ صَبَا مِنْهُمْ إِلَى وَصْفِ لِبْسِهَا بِصُورَةِ حَسَنِ لَاحٍ فِي حَسَنِ صُورَةٍ
وَمَا ذَاكَ إِلَّا أَنْ بَدَتْ بِمَظَاهِرِ فَظَنُّوا سِوَاهَا ، وَهِيَ فِيهَا ^(٤) تَجَلَّتْ
فِي النَّشْأَةِ الْأُولَى تَرَاءَتْ لِآدَمَ بِمَظْهَرِ حَوَا ^(٥) قَبْلَ حَكَمِ الْأُمُومَةِ
فَهَامَ بِهَا كَيْمَا يَصِيرُ بِهَا أَبَا وَيُظْهِرُ بِالزَّوْجَيْنِ سِرَّ الْبَنُوتِ
انْظُرْ إِلَى هَذَا التَّجَاسُرِ مَعَ الْكُفْرِ عَلَى صَفَى اللَّهِ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي وَصْفِهِ

(١) فِي الْأَصْلِ لَيْسَى ، وَقَيْسُ الْمَذْكُورُ هُوَ ابْنُ ذَرِيحٍ أَحَدُ مَشَاهِيرِ الْعَشَاقِ .
مَا زَالَ يُشَبِّبُ بِلَبْنَى بِنْتِ الْحَبَابِ الْكَعْبِيَّةِ ، وَيَسْمَعُ سَعِيَهُ حَتَّى تَزُوجَ بِهَا ، ثُمَّ طَلَقَهَا
ثُمَّ تَزَوَّجَهَا وَكَانَا فِي أَيَّامِ مُعَاوِيَةَ « عَنْ تَزْيِينِ الْأَسْوَاقِ الْأَنْطَاكِي »

(٢) الْجَنُونُ هُوَ عَامِرُ بْنُ مَلُوحٍ بْنُ مَزَاحِمَ ، وَصَاحِبَتُهُ لَيْلَى بِنْتُ مَهْدِي بْنِ سَعْدٍ
سَلِبَهُ عَشَقَ لَيْلَى رَشْدَهُ . وَكَانَا فِي أَيَّامِ مُرْوَانَ وَمِنْ شَعْرِهِ فِيهَا :

أَرَانِي إِذَا صَلَّيْتُ يَمُمْتُ نَحْوَهَا بِوَجْهِهِ وَإِنْ كَانَ الْمَصْلَى وَرَائِيَا
وَمَا بِي إِشْرَاكَ وَلَكِنْ حُبَّهَا وَعَظَمَ الْجَوَى أَعْيَا الطَّبِيبِ الْمَدَاوِيَا

(٣) هُوَ كَثِيرُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي جَمْعَةَ الْأَسْوَدِ بْنِ عَامِرٍ كُنِيَّتُهُ أَبُو صَخْرٍ
الشَّاعِرُ الْمَشْهُورُ ، كَانَ رَافِضِيًا شَدِيدَ التَّعَصُّبِ لِآلِ أَبِي طَالِبٍ . تَوَفَّى سَنَةَ ١٥٠ هـ
وَصَاحِبَتُهُ عَزَّةُ بِنْتُ جَمِيلِ بْنِ خَفْصِ بْنِ إِيَّاسَ ، وَمِنْ شَعْرِهِ فِيهَا :

اللَّهُ يَعْلَمُ لَوْ أُرِدْتُ زِيَادَةَ فِي حُبِّ عَزَّةَ مَا وَجَدْتُ مَزِيدَا
رَهْبَانٍ مَدِينٍ وَالَّذِينَ عَهْدَتْهُمْ يَكُونُ مِنْ حَذَرِ الْعَذَابِ قَعُودَا
لَوْ يَسْمَعُونَ كَمَا سَمِعْتُ حَدِيثَهَا خَرُّوا لِعَزَّةَ رُكْعًا وَسُجُودَا
وَالَيْتَ يَنْشُرُ أَنْ تَمْسَ عِظَامُهُ مَسَا ، وَيُخَلِّدُ أَنْ يَرَاكَ خُلُودَا

(٤) فِي الْأَصْلِ : فِيهِمْ ، وَالتَّصْوِيبُ مِنَ الدِّيَوَانِ ، فَالضَّمِيرُ يَعُودُ عَلَى الْمَظَاهِرِ

(٥) يَفْتَرِي أَنْ الدَّاتِ الْإِلَهِيَّةَ تَعَيَّنَتْ لِآدَمَ فِي صُورَةِ حَوَا

بالميام بالذات الأقدمين^(١) كما لا يخفى ولما لا يخفى :

وما برحت تبدو وتختفى لعة	على حسب الأوقات في كل حبة
وتظهر للعشاق في كل مظهر	من اللبس في أشكال حسن بديعة
ففي مرة لبني ، وأخرى بثينة ^(٢)	وأونة تدعى بعزة . عزت
ولسن سواها ، ولا كن غيرها ^(٣)	وما إن لها في حُسْنِها من شريكة
كذلك بحكم الاتحاد ، لحُسْنِها	كما لي بدت في غيرها ، وزيت
بدوت لها في كل صبّ مُتَمِّم	بأي بديع حسنه ، وبأيّ
وليسوا بغيري في الهوى ليتقدم	على سبق في الليالي القديمة
وما القوم غيري في هواي ، وإنما	ظهرت بهم لللبس في كل هيئة

(١) في الكلام خلل فلهذا سقط منه شيء ، ويجب المؤلف من جسارة ابن الفارض على آدم ، وليس بجيب هذا من رجل قال قبل ذلك : إن الله هو جسد حواء !! وسبحان الله رب العالمين

(٢) يفترى الزنديق أن لبني وبثينة وعزة وليلى ما هن إلا الذات الإلهية تعينت في صور هؤلاء الغواني العاشقات ، وأن قيسا وجيلا وكثيرا وعامرا عشاق أولئك النسوة ، مأم إلا الذات الإلهية تعينت في صور هؤلاء العشاق ، فمن خصائص الإله الصوفي أنه يتجلى في صورة رجل عاشق ، وفي صورة امرأة هلولك عاشقة ، وأنه حين يعشق فإنما يعشق نفسه ، فهو العاشق والعشق والعشوق . وابن الفارض يختار لفظ العشق عن عمد تثيره الغزيرة الملتببة ، فالعشق كما يعرفه صاحب القاموس « إفراط الحب ، ويكون في عفاف وفي دعة ، أو عمی الحس عن إدراك عيوبه أو مرض وسواس يجلبه إلى نفسه بتسليط فكره على استحسان بعض الصور » والصوفية المعاصرة تعيب علينا الإيمان بصفات الله كما هي في الكتاب والسنة ، وترجف بنا باغية في كل ناد أننا نجسم الله !! ومعاذ الله أن ننسب إليه إلا ما نسب هو سبحانه إلى نفسه . ألا فلينظروا إلى ربهم الذي صنعه زندقة ابن الفارض ، إنه يصوره شهوة عارمة الزوات ، وبهذا لقبوه بسلطان العاشقين !!

ففى مَرَّةٍ قيساً ، وأخرى كَثِيراً وآونة أبدو جميل بثينة^(١)
 [٧١] تَجَلَّيْتُ فِيهِمْ ظَاهِراً ، واحتجبت با طنائهم ، فاعجب ليكشف بِسُتْرَةٍ^(٢)
 وَهْنٌ ، وَهْمٌ^(٣) - لا وَهْنٌ وَهْمٌ - مظاهر

لنسا^(٤) بتجلينا بِحُبِّ ، وَنَضْرَةٍ
 فكل فتى حُبِّ أَنَا هُوَ ، وَهَى حِ بٌ كُلُّ فتى ، والكلُ أسماء لبسة
 أسام بها كنتُ المسمى حقيقةً وكنتُ لى البادى بِنَفْسٍ تَخَفَّتْ
 وما زلتُ إياها ، وإيائى لم تَزَلْ ولا فَرَقَ ، بل ذاتى لِذاتى أَحَبَّتْ^(٥)
 وليس معى فى المُلْكِ شىء سوى وأل مَعِيَّةٌ لم تخطر على أَلَمِيَّتِي

(١) تكنى أم عبد الملك ، وصاحبها جميل بن عبد الله بن معمر بن صباح
 وكلاهما من بنى عذرة ، قبيلة اشتهرت بالجمال والحب والعفة فيه ، حتى قيل : هوى
 عذرى . وجميل مضرب المثل فى صدق الصباة وعفة الحب ، كان وصاحبته فى عهد
 عبد الملك بن مروان

(٢) دائماً يذكر ابن الفارض عن نفسه باعتباره أحد تعينات الذات الإلهية أنه
 يتجلى فى صور رجال عاشقين ، أما حين يتحدث عن الذات مطلقاً فيزعم أنها تتجلى
 فى صور نساء عاشقات وما من شك فى أنه يريد بهذا تفضيل نفسه على كل تعينات
 الإله الصوفى ، إذ الرجل قيم على المرأة

(٣) العشيقات والعشاق الذين ذكروا قبل ، والذين هم رمز عن الوجود المتعين

(٤) أى للذات الإلهية باعتبارها وجوداً خالياً من التعيين ، ولها باعتبارها خلقاً
 سمى ابن الفارض .

(٥) هذا وما قبله يؤكد أن ابن الفارض ممن يدينون بوحدة الوجود ،
 لا بالاتحاد . ألا تراء يؤكد أن مظاهر الوجود المختلفة هى عين الذات ، وأن الذات
 منذ أحبت أن تتعين وهى تتجلى فى صور الوجود ، وأن هذه الحقيقة — حقيقة
 تعين الحق فى صور الخلق — لا يطيف بها وهم من الأوهام ١٢

فهذا ظاهر في إرادة الاتحاد^(١) بحيث أن الذاتين تكونان ذاتا واحدة ،
لا شبهة فيه أصلا .

ثباته على اعتقاد الوحدة

ثم قال في إثباته^(٢) ، ونفى الحلول :
رجعت لأعمال العبادة عادة وأعددت أحوال الإرادة عُذَّتِي
وعُذْتُ بِنُسْكِ بَعْدَ هَتَكِي ، وعدت من

خلاعة بسطى ، لا تقباض بعفتي

رصمتُ نهاري رغبةً في مشوبة وأحييت ليلى رهبةً من عقوبة
وعمرتُ أوقاتي بِوَرْدٍ لِوَارِدٍ وصُمتُ لِسْمَتٍ ، واعتكافٍ لِجُرْمَةٍ
وبنتُ عن الأوطان هجران قاطع مواصلة الأحباب ، واخترت عُزْلَتِي
ودَققتُ فِكْرِي في الحلال تَوَرُّعًا وراغيتُ في إصلاح قُوَّتِي ، وقَوَّتِي
وأنفقتُ من يُسرٍ^(٣) القناعة راضيًا من العيش في الدنيا بِأَيْسَرٍ بُلْغَةً
وهذبتُ نَفْسِي بالرياضة ، ذاهبًا إلى كشف ما حُجِبَ العوائد غُطَّتِ
وجرّدتُ في التجريد عزمي تَزَهَّدًا وآثرتُ في نُسْكِ استجابة دعوتي

متى حِلْتُ عن قولي : أنا هي ، أو أقل

وحاشا لِمَنْ لِي أَنُهَا فِي حَلَّت

جميع هذه الأفعال التي هي محاسن الشريعة جعلها نقائص ، ودعا على نفسه
بها^(٤) ، إن ادعى الحلول ، أو حالَ عن دعوى الاتحاد .

(١) الصور اللفظية لابن الفارض تشعر بهذا ، أما معانيه وشرحه في القصيدة
لمعتقه فيؤكدان إيمانه بالوحدة

(٢) أى : في إثبات الاتحاد ، والحق أنها وغيرها في إثبات الوحدة

(٣) في الأصل : سر ، والتصويب من الديوان

(٤) يدعو ابن الفارض على نفسه بالعودة إلى مرتبة العبودية المصلية الصائمة =

استدلاله على زندقته

ثم قال بعد هذا بكثير في أواخر القصيدة ، دالا على مذهبه فيما زعم :
 وجاء حديث في اتحادى ثابت رَوَيْتُهُ فِي النُّقْلِ غَيْرُ ضَعِيفَةٍ
 يُشِيرُ بِحُبِّ الْحَقِّ بَعْدَ ^(١) تَقَرُّبٍ إِلَيْهِ بِنَقْلِ ، أَوْ أَدَاءِ فَرِيضَةٍ
 وَمَوْضِعُ تَنْبِيهِ الْإِشَارَةَ ظَاهِرٌ بَكُنْتُ لَهُ سَمَاعُ كُنُوزِ الظَّهِيرَةِ
 قال شارحه : « إن الحب ميل باطنى أثره رفع امتياز المحب والمحبوب ،
 ورفع ما بينهما ^(٢) ، والمحبة عين الحضرة الإلهية ، والمحبوب ظهور كماله الذاتى
 والأسمائى ، ولن يصح لقبول هذا الظهور المحبوب منصة إلا الحقيقة الإنسانية
 صورة ومعنى ؛ لكمال جمعيتها ، وتسميمها دائرة الأزلية والأبدية ، والحديث المشير
 بهذا الاتحاد : لا يزال العبد يتقرب إلى بالنوافل حتى أحبه ، فإذا أحببته كنت له
 سمعا وبصرا وبدأ ولسانا ورجلا ^(٣) » وعبارة التلمسانى فى مقدمة شرحه : نص
 = الذاكرة ، المنظوية على أحزانها فى كهف الزهد وغيابة الحرمان ، يدعو بهذا على
نفسه إن تحول يوما عما يدين به ، وهو أنه هو الله سبحانه ، أو كما يقول : متى
حلت عن قولى : أنا هى ! ! وجواب « متى » يدل عليه ما سبق من أول قوله :
رجعت لأعمال العبادة . . . الخ

(١) فى الأصل : عند . وهى كما أثبتنا فى الديوان .

(٢) أى : رفع كل ما بينهما من فروق ذاتية وصفاتية ، حتى تصير الذاتان ذاتا
 واحدة هى الحق متلبسا . بصورة خلقية قال الجنيد : ويسمونه سيد الطائفة — ويزعم
 من لا يستبطن خبيثة التصوف : أن تصوف الجنيد أقباس من السنة ، « سمعت
 السرى السقطى يقول : لا تصلح المحبة بين اثنين حتى يقول الواحد للآخر : يا أنا »
 بهذا يؤمن الجنيد وخاله السرى السقطى ، والقشبرى ناقل هذا فى رسالته فى باب
 الحب ، فتأمل متى بدأ التصوف ينشئ زندقته ! ! فالجنيد والسقطى من رجال
 القرن الثالث الهجرى . وكلاهما يؤمن أن غاية الحب صيرورة العبد ربا ، حتى يقول
 الرب للعبد ، والعبد للرب : يا أنا ! !

(٣) روى الحديث باختصار محل . وليس فى الحديث ذكر كلمة : لسان . وقد =

في المراد ، وهى : « فالسمع والبصر ، وغيرهما من الصفات فى أى موصوف كان هو الله حقيقة » وسيأتى كلام القشيري [٧٢] والسهروردى : أن هذا زندقة ، وساق ابن الفارض بعد الآيات الماضية ما زعم أنه يدل على دعواه الاتحاد وأنه إذا دل على ذلك اتفى الحلول ، فقال :

ولستُ على غيبٍ أحيلُك . لا ، ولا على مستحيلٍ موجبٍ سلبٍ حِلَّتِي
وكيف ، وباسم الحق ظلٌ تحقِّقُ تكون أراجيف الضلالِ مخفِّقُ ؟
وها دِخِيَّةٌ ^(١) وفى الأمين ^(٢) نبينا . بصورته فى بدءِ وُخْيِ النبوة

== سبق الحديث وبيان سنده والرد على ما استنبطه منه الزنادقة . وأنقل لك هنا طرفاً مما شرح به ابن قيم الحديث لثرى كيف يفهم المؤمنون ، ويهرف بالزندقة الصوفيون « وخص فى الحديث السمع والبصر واليد والرجل بالذكر ، فإن هذه آلات الإدراك وآلات الفعل ، والسمع والبصر يوردان على القلب الإرادة والكراهة ، ويجلبان إليه الحب والبغض ، فتستعمل اليد والرجل ، فإذا كلن سمع العبد بالله وبصره به كان محفوظاً فى آلات إدراكه ، فكان محفوظاً فى حبه وبغضه ، فحفظه فى بطشه ومشيه ، فحق كان العبد بالله هانت عليه المشاق ، وانقلبت المخاوف فى حقه أماناً ، فبالله يهون كل صعب ، ويسهل كل عسير ، ويقرب كل بعيد ، وبالله تزول الأحزان والهموم والغموم ، فلا هم مع الله ، ولا غم مع الله ، ولا حزن مع الله . ولما حصلت هذه الموافقة مع العبد لربه فى محابه ، حصلت موافقة الرب لعبده فى حوائجه ومطالبه ، فقال : « ولئن سألتى لأعطينه ، ولئن استعاذنى لأعيدنه » أى كما واقفى فى مرادى بامتثال أوامرى والتقرب إلى بحابى ، فأنا أواقفه فى رغبته ورهبته فيما يسألنى أن أفعل به ، ويستعيزنى أن يناله مكروه » اقرأ الشرح كاملاً فى الجواب الكافى لابن قيم ط السنة المحمدية ص ٢٠٢ وما بعدها

(١) هو دحية بن خليفة بن فروة بن فضالة ، صحابى مشهور . أول مشاهده الحندق ، وقيل : أحد . كان مضرب المثل فى حسن الصورة ، حتى كان جبريل ينزل بصورته . عاش رضى الله عنه إلى خلافة معاوية « أسد الغابة » ، الإصابة ، الاستيعاب .

(٢) جبريل عليه السلام

أجبريل قل لى : كان دحية إذ بدا لم يدي الهدى فى هيئة بشرية
وفى علمه عن حاضريه مزية^(١) بما هيّة^(١) المرئي من غير مزية
يرى ملكا يوحى إليه ، وغيره يرى رجلاً يرى لديه لصحة
ولى من أصحّ الرؤيتين إشارة تنزه عن رأى الحلول عقيدتى

يدين بتلبس الله بصورة خلقه

قالوا : « إن المراد - كما هو ظاهر جدا - أن جبريل عليه السلام ظهر فى صورة دحية من غير حلول فيه ، ولأجل ظهوره كذلك ادعى أن الله تعالى تجلى بصورة الناظم ، لم يدع حلوله^(٢) فيه »

- (١) ما هية الشيء : حقيقته التى تقال فى جواب : ما هو ؟
(٢) مع كفره البين بقياس شأن الله على شأن عبده جبريل ، وحكمه بوقوع تلبس الخالق بصور الخلق ، قياسا على ما وقع لجبريل ، إذ تلبس بصورة دحية .
أقول : مع كفره بهذا ، فالحديث ناطق بالحق يهدم ما بنى ابن الفارض ومخانيثه عليه من باطل ، فهو لا يثبت إلا ظهور جبريل بصورة دحية ، فلم يكن ثم - إذأ - ذاتان اتحدت إحداها بالأخرى ، أو صورتان لحقيقة واحدة ، وإنما كان ثم غيران منفصلان تمام الانفصال ، ليسا متحدين ، لا فى ذات ، ولا فى صفة ، ولا فى فعل بل ولا فى ماهية أو هوية ، ولكل منهما خصائصه ، ومقوماته وحياته التى لا تشبه الأخرى فى أدنى شيء ، أو تقاربها ، كان ثم الحقيقة الملكية ، وكان ثم الحقيقة الآدمية . وهذا نقيض ما يدين به ابن الفارض ، إذ يدين بالوحدة التامة بينه وبين الله فى الهوية والماهية والذات والصفة ، يؤمن بأن هذه الكائنات التى لا تتناهى هى عين الذات الإلهية . وأنت - ولا ريب - قد آمنت بأن الحديث حجة عليه لاله . ثانيا : فصل الرسول صلى الله عليه وسلم - وهو سيد العارفين ، كما يوقنون - بحكمه عن بينة بين جبريل ، وبين دحية ، وهذا الفصل يقتضى أن ذات جبريل غير ذات دحية ، أعنى يستلزم الغيرية الحقيقية . وابن الفارض يدين بعدم الغيرية ، وينكرها بتاتا . ثالثا : حينما ظهر جبريل بصورة دحية كان ثم أغيار كثيرون حقيقيون غيره . هم الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه ، وكان ثم المكان . =

قال البساطي : لكن دعوى تجلّي الله بصورة ما مُكفّر بها ^(١) شرعا
بإجماع المسلمين والكافرين من آمن به ، وإن لم يكن حلولا «
ثم قال ، دالا على أن ما قاله بزعمه في الكتاب والسنة :
وفي الذِّكْرِ ^(٢) ذِكْرُ اللَّبْسِ لَيْسَ بِمُنْكَرٍ
ولم أَعُدْ عن حُكْمِ كِتَابِ وَسْئِ

وشرحه الشراح كلهم بقوله تعالى في الكتاب العزيز (٣٠:٢٨) نُودِيَ مِنْ
شَاطِئِ الْوَادِي الْأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ : أن ياموسى، إني أنا الله ^(٣)

= والصوفية يدينون بأنه ما ثم غير من الأغيار ، وإنما الكل عندهم عين الذات .
رابعا : حينما ظهرت الملائكة لإبراهيم الخليل عليه السلام ظنهم رجلا - والعارف
الحق عندهم من لا تحدده الصورة عن الحقيقة - فقدم لهم طعاما ، فلم ينالوا منه
شيئا ، وهذا دليل على أن الملائكة - رغم ظهورهم في صور بشرية - ظلت على
خصائصها الملكية ، ولم تنزل على حكم البشرية ، فتأكل وتشرب ، في حين يدين
الصوفية بأن الله سبحانه عين الماهية والهوية من كل موجود ، وله خصائصه
الحيوانية ، أو الإنسانية ، أو الجمادية ، فيأكل ويشرب ويتزوج وغير ذلك
قال الحافظ ابن حجر في الفتح « والحق أن تمثل الملك رجلا ليس معناه أن ذاته
انقلبت رجلا ، بل معناه أنه ظهر بتلك الصورة تأنيسا لمن يخاطبه » لكن الصوفية
— يعبر عنها ابن الفارض وابن عربي وغيرهما — تدين بأن ذات الحق عين الخلق
فيجوز عليها كل ما يجوز عليهم ، فهي حقيقة القاتل من فاعل القتل ، وشارب الخمر
من شاربها ، فما من فاعل يأتي بشيء ، وما من مجرم يقترب إنما إلا وهو الله حقيقة
عند الصوفية ، وتعالى الله الملك الحق عما يصفون ! !

(١) سبق ذكر هذا النص وتعليق عليه

(٢) القرآن .

(٣) يفترى الزنديق أن من كلم موسى هي الشجرة ، وأنها كانت هي الله
سبحانه متجليا في صورة شجرة ، ثم يأخذ من هذا الإفك الأثيم دليلا على دعواه ،
وهو تعين الله في صور خلقية ، وتجليه في صورة ابن الفارض ، ورغم هذا البهتان =

وقوله تعالى: (٨ : ١٧ وما رميت — إذ رميت — ولكن الله رمى ^(١))

المجوسى ، فالآية تدمغهم . فإنها تثبت وجود أغيار كثيرة غير الرب الذى ظنوه شجرة . تثبت وجود موسى ، والشاطيء ، والبقعة المباركة ، وابن الفارض ومخائشه يدينون بأنه ما ثم غير أبدا ، فعندهم أن الله سبحانه عين كل شيء . وهم يزعمون هنا أن الشجرة وحدها كانت هى الله ، فما استدلوا به يناقض ما يدينون به .

(١) يتخذ الصوفية — كدأبهم فى التلبيس الزنديقى — من هذه الآية دليلا على أن فعل العبد عين فعل الله ، ليثبتوا من ورائه أن ذات العبد عين ذات الله سبحانه وإليك ما يرد به الإمام ابن تيمية بهتانهم « قوله تعالى : (وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى) لم يرد به أن فعل العبد هو فعل الله ، كما تظنه طائفة من الغالطين فإن ذلك لو كان صحيحا ، لكان ينبغى أن يقال لكل أحد حق يقال للناسى : ما مشيت ، ولكن الله مشى ، ويقال مثل ذلك للأكل والشارب والصائم والمصلى ونحو ذلك ، وطرد ذلك يستلزم أن يقال : وما كفررت إذ كفررت ، ولكن الله كفر ، ويقال للكاذب . . . ومن قال هذا فهو ملحد خارج عن العقل والدين . ولكن معنى الآية : أن النبي صلى الله عليه وسلم يوم بدر رماهم ، ولم يكن فى قدرته أن يوصل الرمى إلى جميعهم ، فإنه إذا رماهم بالتراب ، وقال : « شأهت الوجوه » ولم يكن فى قدرته أن يوصل ذلك إليهم كاهم ، فالله تعالى أوصل ذلك الرمى إليهم بقدرته يقول : وما أوصلت إذ حذف ولكن الله أوصل ، فالرمى الذى أثبتته ، ليس هو الرمى الذى نفاه عنه ، وهو الإيصال والتبليغ ، وأثبت له الحذف والإلقاء باختصار قليل جدا عن مجموعة الرسائل والمسائل ص ٩٦ ج ١ وأقول : تثبت الآية وجود رام ، وشيء رمى ، وقوم أصيبوا بما رمى ، فلى فرض صحة إفسكهم أن الرامى هو الله فى صورة محمد ، فمن هم أولئك الذين رماهم الله ؟ وما ذلك الشيء الذى رماهم به ؟ أم عين الله ، أم هم غيره ؟ إن قيل بالأول لزمهم كون ربهم من عتاة الجاهلية عباد الصنم ، وأنه غلب على أمره ، وأصيب بما لم يملك له دفعا . وهذا هو إله الصوفية الذى تصنعه الأوهام والشهوات . وإن قيل بالثانى لزم وجود غير ، بل أغيار كثيرة ، وهذا تقيض ما يدعونه ، وهو أن الله سبحانه عين كل شيء ، وتعالى الله عما يصفون

وقوله تعالى : (٤٨ : ١٠ يد الله فوق أيديهم ^(١)) وفي السنة حديث الإتيان
إلى الصورة التي تُنكر يوم القيامة ، ثم في الصورة التي تُعرف ^(٢) . ثم قال ^(٣) :
« فلم أنه تعالى يتلبس بأى لباس صورة شاء مما يُعرف ، ومما يُنكر من غير
حلول ، فكان ظهوره بصورتى جائزا من غير حلول ، فصح بهذا دعوى اتحادى
مع نقي الحلول » انتهى . وليس وراءه تصريح بالكفر . نسأل الله العافية .
وقالوا في شرح البيت الثانى ^(٤) : « إن الحق من أسماء الذات ، ومن انصف بأسماء

(١) يزعم الصوفية أن قوله تعالى : « إن الدين يبيعونك إنما يبيعون الله يد
الله فوق أيديهم » تؤيد بهتانهم فى الاتحاد والوحدة ، وإليك رد الإمام ابن تيمية
عليهم : « (إن الدين يبيعونك إنما يبيعون الله) لم يرد به أنك أنت الله ، وإنما أراد
به أنك أنت رسول الله ومبلغ أمره ونهيه ، فمن بايعك ، فقد بايع الله ، كما أن من
أطاعك فقد أطاع الله ، ومن ظن فى قوله : إن الدين يبيعونك - الآية : أن المراد
به أن فعلك هو فعل الله ، أو المراد أن الله حال فيك ونحو ذلك فهو مع جهله
وضلاله بل كفره وإلحاده قد سلب الرسول خاصيته ، وجعله مثل غيره ، وذلك أنه
لو كان المراد به أنى خالق لفعلك ، لكان هنا قدر مشترك بينه وبين سائر الخلق ،
وكان من بايع أبا جهم فقد بايع الله ، ومن بايع مسيلمة فقد بايع الله ، ومن بايع
قادة الأحزاب ، فقد بايع الله ، وعلى هذا التقدير ، فالبايع هو الله أيضا ، فيكون
الله قد بايع الله ، إذ الله خالق لهذا ولهذا ، وكذلك إذا قيل بذهب أهل الحلول
والوحدة والاتحاد ، فإنه عام عندهم فى هذا وهذا ، فيكون الله قد بايع الله ، وهذا
يقوله كثير من شيوخ هؤلاء الحلولية ، حتى إن أحدهم إذا أمر بقتال العدو ،
يقول : أأقاتل الله ؟ ! » باختصار قليل جدا عن مجموعة الرسائل والمسائل
ص ٩٧ ج ١ .

(٢) سبق ذكر الحديث والرد على استدلال الصوفية به على معتقدم

(٣) أى شارح التائيه

(٤) هذا البيت هو :

وكيف ، وباسم الحق ظل تحقق تكون أراجيف الضلال مخيف

الذات أعلى يَمُنْ اتصف بأسماء الصفات ، وقد أخبر عن اتصافه باسم الحق - وهو الثابت بذاته ، الثَّابِتُ لغيره ^(١) - فلا يمكن أن يتغير عما ذهب إليه .

رأى القشيري والسهروردى

وقال الأستاذ أبو القاسم القشيري في شرحه للأسماء الحسنى : « إن العبد لا يجوز أن يتصف بصفات ذات الحق كما زعم بعضهم : أن العبد يكون باقيا ببقاء الحق ، سميعا بسمعه ، بصيرا ببصره ^(٢) ، وهذا خروج عن الدين ، وانسلاخ عن الإسلام بالكلية ، وهذه البدعة أشنع من قول النصارى : إن الكلمة القديمة اتحدت بذات عيسى عليه السلام ، وهى توازى قول [٧٣] الحلوية »

وقال السهروردي في الباب الحادى والستين من عوارفه فى الكلام على المحبة ، ما حاصله : « إن المحبة : التَّخَلُّقُ بأخلاق الله ، ومن ظن من الوصول غير ما ذكرنا ، أو تخايل له غير هذا القدر ، فهو متعرضٌ لمذهب النصارى فى اللاهوت والناسوت ^(٣) » وقال : « علم البقاء والفناء يدور على إخلاص الوجدانية وصحة العبودية ، وما كان غير هذا فهو من المغاليط والزندقة ^(٤) »

وحدة الأديان عند ابن الفارض

وعلى هذا الأصل الخبث الخبيث - وهو الاتحاد بين جميع الكائنات ،

(١) من هذا الغير ؟ إن كان خلقا ، فقد أقروا بأن الحق غير الخلق ، وهذا تقيض دعواهم ، وإن كان هو الحق نفسه ، فقد أثبتوا أن ربهم يغير نفسه ، محتاج إلى من يمنحه الثبوت والوجود ، وهذا أيضا تقيض دعواهم ، فهم ينكرون الغيرية ، ويسمونه الوجود المطلق

(٢) يعنى : ما يدين به الصوفية ، وهو أن سمع الله وبصره عين سمع العبد وبصره ، إذ الحق عندهم عين الخلق

(٣) انظر ص ٣٥٣ عوارف المعارف ط العلامة ، وقد سبق لنا بيان فرق النصارى .

(٤) ص ٣٦٢ عوارف المعارف

وأنه لا غير ، ولا غيرية في شيء من الوجود - فرَّع صحة كل دين^(١) ؛ لأنَّ
الفاعل عنده إنما هو الله ، فأبطل دين الإسلام القائل بأن كل ما عدا^(٢) باطل ،
فصار المحامي له^(٣) خاذلاً لمن ينصره^(٤) ، فإن من كفر ابن الفارض ساع جهده
في نصر دين الإسلام ، وتأييد النبي عليه أفضل الصلاة والسلام ، وأغلب المحامين
له يعتقدون أن دين الإسلام - القائل بفضائل ما عدا - هو الحق ، ويسعون
في نصر من يَصَوِّب كل ملة .، ويَصَحِّح كل نَحْلَة ، وهم لا يشعرون أنه قال في
تصويب جميع الأباطيل . شعر

شعره في وحدة الأديان

وإن عبد النارَ المجوسُ - وما انطلقت
كما جاء في الأخبار - من ألف - حِجَّة
فما عبدوا غيري ، وإن كان قصدم
سواي ، وإن لم يعقدوا عقد نيتي
رأوا ضوءَ نوري مرة ، فتَوَقَّهوا
نارا ، فَضَلُّوا في الهدى بالأشعة
وإن خَرَّ الأحجار في البُددِ^(٥) عاكف
فلا وَجَّهَ^(٦) للإنكار بالعصبية
فقد عبد الدينارَ - معني - مُنَزَّة
عن العار بالإشراك^(٧) بالوثنية

(١) هذا قول حق ، فالصوفية آمنوا بوحدة الأديان - مماويها ووضعها -
لإيمانهم بوحدة الوجود ، فرب الصوفية عين السلم وعين المشرك وعين المجوسي ،
ولذا قالوا : الإسلام عين الشرك عين المجوسية عين البهائية ، ولذا أيضا قالوا بنفي
العذاب في الآخرة ، إذ الإله لا يمكن أن يعذب نفسه ١١ .

(٢) في الأصل : عدا

(٣) أي : لابن الفارض

(٤) أي : لمن ينصر الإسلام

(٥) بهامش الأصل « البدد » : بيت الأصنام وهو صحيح

(٦) في الأصل : فلا تعد بالإشكار ، وهي كما في الديوان

(٧) في الأصل : في الإشراك

وإن نار بالتنزيل محرابٌ مسجد فما بار بالإنجيل هيكُلُ بِنَعَةٍ
وأسفارُ توراَةِ الكليم لقومه يُنَاجِي بها الأحبارُ في كل ليلة
وما احتار من الشمس - عن غِرَّةٍ^(١) - صَبَا

وإشراقها من نور إسفارِ غُرِّي
وقد بَلَغَ الإِندَارُ عَنِي^(٢) مَنْ بَغَى وقامت بي^(٣) الأعذارُ في كل فِرْقَةٍ
فما زَاغَتِ الأبصارُ من كل مِلَّةٍ ولا رَاغَتِ الأفكارُ في كل مِحْلَةٍ
قال شراحه : « إنه مَهَّدَ في هذه الآيات أعذار كلِّ فرقة ، وأن كل
صاحب مِلَّةٍ ومِحْلَةٍ - وإن بطل سَعْيُهُ - على نصيب من الهدى ، فَعَبَّادُ النارِ غيرُ
مؤاخِذين من جميع الوجوه ، بل من وَجْهِ دون وجه ، ولا لوم على أحد ، بل
لكل واحدٍ وجهٌ ، ومَحْمَلٌ خيرٌ يُحْمَلُ عليه ، فَكُلٌّ يَعْمَلُ على شاكلته ،
وكذا عابد الأصنام . قالوا : لا تُنْكِرْ عليه ، فإن أنكرت ، لم يكن إنكارك
إلا تعصبا ؛ لأنك لا تنكر على المُقْبِلِ على الدنيا ، مع أنه أقوى شِرْكا من عابد
الصنم - وقالوا - : كما أن القرآن نور المساجد ، فكذلك الإنجيل نور المعابد
- وقالوا نحو هذا في التوراة ، وفي عابد الشمس : إنه بإثباته عينَ الألوهية لم يكن
ناقصا ، فقام له عذر من وجه من الوجوه . وذلك كافٍ للكريم » ولا يقول
بشيء من هذا مسلم^(٤)

معانده للتوحيد الحق

وقد عاند التوحيد الحق في قوله :

(١) في الأصل : غيره

(٢) ، (٣) في الأصل : منى - به

(٤) بل لا يقول به يهودى أو نصرانى ، والبهائية على خيث معتقدهم ، ورغم
أنهم امتداد للصوفية لا يقولون بهذا . وإنما القائل به في كل أمة هم الصوفية

ولو أننى وَحَّدْتُ أَخَذْتُ^(١) وَأَسْلَخْتُ مَنْ آيٍ جَعَى مُشْرِكًا بِي صَنَعْتِي
 قالوا فى شرحه : « لو أننى أثبت وحدة الذات الحق المطلوب المحبوب ،
 ونَقَيْتُ كَثْرَةَ نِسْبِهِ عَنْهُ ، كما أثبتت ونفت المُنَزَّهَةَ^(٢) ، وبعضُ الفلاسفة ،
 لَكُنْتُ مَائِلًا عَنْ سَنَنِ الاستقامة ؛ لأننى أثبت لِنَفْسِي وَغَيْرِي وجوداً يقابل
 وجودَ الحق » وهذا عين الإلحاد والشرك ، فليس وراء هذا كفر ، فإن كان هذا
 مما يفهمه المنازع^(٣) ، كما يفهم الذابُّ عن الشارع ، فقد علم منا بَذَنَهُ اللهُ ، ورسوله
 صلى الله عليه وسلم ، وإن كان لا يفهمه ، ويدعى أن له معنى حسناً ، فيسكفيه
 أنه يخوض بالجهل فيما هو أخطر الأشياء ، وهو أصول الدين الذى فى الزَّائِلَةِ فيه
 ذهابُ الروح والدين ، وهو معانِدٌ بمنازعته لقوله تعالى : (٦٦:٣) هَاتِمٌ هَؤُلَاءِ حَاجِبَتُمْ
 فِيهَا لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ ، فلم تحاجون فيما ليس لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ) ، (١٦٨:٢ ، ١٦٩) ولا تتبعوا
 خطوات الشيطان ، إنه لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ . إنما يأمركم بالسوء والفحشاء وأن
 تقولوا على الله ما لا تعلمون) ، (٣٣:٧ قل : إنما حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا

(١) يرى فى التوحيد الحق الذى جاء به الرسل جميعاً عن الله أنه إلحاد ، وهذا
 هو دين الصوفية سلفهم وخلفهم ، ألا تسمع عواء الصوفية تحت قباب الطواغيت ،
 وهم يقبضون صلوات ابن بشيش التى يقول فيها : « زج بى فى بحار الأحدية ،
 وانشلى من أوحال التوحيد ، وأغرقنى فى عين بحر الوحدة حتى لا أرى ، ولا
 أسمع ، ولا أجد ، ولا أحس إلا بها » يرون توحيد الرسل أوحالاً من الطين ،
 ويدعون الله أن ينشلهم منها ؟ ومتى يدعون ، والليل لما يهلك كاه السحر عن
 مهده !! هذا لأن التوحيد الحق يثبت لله وحده الربوبية والإلهية ، أما الصوفية
 فيدعون أن يكون حتى الدراويش منهم أرباباً وآلهة ، وهذا معنى قولهم :
 « وأغرقنى فى عين بحر الوحدة » بل يريدون أن يكونوا وجوداً مطلقاً « وزج بى
 فى بحار الأحدية »

(٢) الذين ينزهون الله سبحانه عن مشابهة خلقه ، ويثبتون له سبحانه ما أثبت
 لنفسه من صفات .

(٣) أى : المنازع فى كفر ابن الفارض

وما بطن ، والإثم والبغى بغير الحق ، وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون) ، (١٧ : ٣٦)
ولا تقف ما ليس لك به علم ، إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه
مسئولاً .

ويكون ^(١) تابعاً لمجرد العصية ، وحمية الجاهلية ، مع أنك لا تجد من
يحامى عنه إلا منهم كما في الفسوق والبغى والعقوق ، أو قريباً منه ، تبعاً له في قوله :

دعوته إلى المجون

وينيبك عن شأني الوليد وإن نشأ بليداً يلهي كوحى وفطنة
ويعرب عن حال السماع بحاله فيثبت للرقص انتفاء النقيصة
ولا تك باللامى عن اللهو جملة فهزل الملامى جذ نفس مجدة
وإياك والإعراض عن كل صورة بموهة ، أو حالة مستحيلة

قالوا في شرحه : « إن الطفل يبين بحاله من الإصغاء إلى المناغى عن حال
أهل السماع والرقص ، فيثبت بهذا انتفاء النقص خلافاً لما قاله المحجوبون ، ولما
كان سماع الطفل ورقصه برئاً عن الشهوة والرثاء ^(٢) كان مغرباً عن صحة حال
سماع الواجدين ، ورقصهم ^(٣) وهزل الملامى جذ نفس مجدة ، فلا تكن غافلاً

(١) أى : المنازع في كفر ابن الفارض ، وهو معطوف على قوله قبل : يخوض بالجهل

(٢) في الأصل : الرثاء

(٣) يدعو ابن الفارض — متوهج المجون — إلى إلهاب شهوات النفس ،
واستشارة غرائزها الجامحة بالرقص العرييد والغناء الطافح بالشهوة ، وبلغ في هذه
الدعوة الآثمة ، إذ الرقص في دينه معارج الروح إلى أفق رحوت ملكوت
الأحادية ! ! ، بل يوقن أن الرقص والغناء فيض إلهى يجب أن تلقاه أرواح
العارفين بالبهجة والنشوة ! ! وأمس كان يدعو عبد المرأة والشهوات إلى مثل هذا
فيستنكر منهم هذا الإثم بعض العلماء ، وتثور بها بعض الجماعات الدينية ، بل
— وأعجب معنى — بعض الصوفية ، غير أنهم — إذا قيل لهم : إن ابن الفارض =

عنه ، فإنه فائض من الأسماء الإلهية ، وما يفيض من الحق إلا ما هو حق لا باطل .

الباطل إله الصوفية

ولذلك قال ابن عربي « لا تنكر الباطل في طَوْرِهِ ، فإنه بعض ظهوراته »^(١)
فقد أفاد هذا أنهم يعتقدون : أن الباطل هو الله ، ولو لم يكن في هذا إلا أنه^(٢)
يدعو إلى البطالة والخلاعة والضلالة ، لكان كافياً في استهجان [٧٥] ومنابدته
للدين .

وقد نقل شيخنا حافظ العصر ابن حجر في لسان الميزان أنه كان لهذا الناظم
جوارٍ في البهنة موظفات للغناء والضرب بالآلات الملامى ، وكلما مانت واحدة
منهن اشترى بدلها أخرى ، وكان يذهب إليهن في بعض الأوقات ، فيسمعن ،
ويرقص على غنائهن ، ويرجع^(٣) .

المناضل عن ابن الفارض

فالمناضل عنه مسارع إلى شكله ، ومضارع لمن كان فعله كفعله ، كما قال على

= شيطان هؤلاء ، وداعيتهم إلى التلطف بهذه الردغة — أقلقوا مضاجع الليل
بالاستغفار أن ذكر سلطان العاشقين أمامهم بسوء !! في حين أن دعوته أدهى شراً
مما يدعو إليه المجان عبيد الغواني ، فهو يصور الرقص تنفث به المرأة سم الجريمة ،
والغناء تتجاوب معه أحط الفرائز ، والعشق يرويه دم الأعراض ، يصور كل هذه
الموبقات على أنها سبحات الإشراف الأسمى ، وفيض إلهي يصل العارف بالملأ الأعلى
يجعل اقرار ذلك الإثم مظاهر تبطل ، وعمراب تأله وتعبد ، على حين يصفها المجان
بأنها علام حاضرة ، ودلائل مدنية !! فأى الدعوتين أطغى شراً ، وأخبث كفراً !!

(١) أى : بعض تعينات الإله الصوفي

(٢) يعنى : ابن الفارض

(٣) ذكر الحافظ في اللسان : أنه نقل هذا عن كتاب التوحيد للشيخ عبد

القادر القوصي .

رضى الله عنه بعد قدومه السكوفة بثلاثة أيام : « قد عرفنا خياركم من شراركم ، قالوا : كيف ؟ ومالك عندنا إلا ثلاثة أيام ! قال : كان معنا خيار وشرار ، فانضم خيارنا إلى خياركم ، وشرارنا إلى شراركم » وحديث : « الأرواح جنود مجنّدة ^(١) » الذى رواه الشيخان عن أبى هريرة رضى الله عنه أعدل شاهد لذلك ويتمين على كل مسلم إنكار ما أنكره الشرع من مثل هذا .

قوله يوجب إراقة دمه

وقد اعترف هو أن ما قاله موجب لإراقة الدم ، وأنه قاله فى الصحو والإفاقة لا فى السكر والجذبة ، فقال :

وَتَمَّ أَمُورٌ تَمَّ لِي كَشْفُ سِتْرِهَا بِصَحْوٍ مُفِيقٍ عَنْ سَوَاى تَغَطَّتْ
بِهَا لَمْ يَبْخُجْ مِنْ لَمْ يَبْخُجْ دَمُهُ وَفِي الْإِ شَارَةَ مَعْنَى مَا الْعِبَارَةُ حَدَّثَ

قالوا فى شرحه : « أى انكشفت لى أمور وأسرار بواسطة الصحو الذى حصل لى بعد السكر والإفاقة ، وهى متفطية عن غيرى من المحجوبين . ، ولم يظهر تلك الأسرار إلا من أباح دمه للمحجوبين ^(٢) ، فإنهم يقتلون العارفين الذين باحوا بأسرار التوحيد ^(٣) » وصرح بأن ما يقوله حقيقة لا مجاز ، فقال : عليها مجازى سلامى ، فإنما ^(٤) حقيقته : مَنَى عَلَى تَحِيَّتِي

(١) نص الحديث : « الأرواح جنود مجنّدة ، فما تعارف منها ائتلف ، وما تناكر منها اختلف » ولم يروه الشيخان — كما ذكر — عن أبى هريرة ، وإنما رواه عنه مسلم وأبو داود ، أما البخارى ، فرواه عن عائشة رضى الله عنها
(٢) يعنى : المتصمين بكتاب الله ، والستمسكين بظواهر الشريعة المؤمنين بالله وحده ربا ، وبالحلق عبيدا لله رب العالمين

(٣) أسرار التوحيد عندهم : اعتقاد أن الله سبحانه عين خلقه ، وعن هذه المرتبة يقول الغزالى : إنها سر ، وإفشاء سر للربوبية كفر !
(٤) فى الأصل : لإنما ، وهى فى الديوان كما أثبتتها

قال الشراح : « أى على حضرة المحبوبة سلامى فى قولى : التحيات إلى آخره - مجاز لأنها عيى ، لا غيرى ، لحقيقة السلام منى ، وإلى » وقد مثّلوا كون التّشخّص مجازياً ، والإطلاق حقيقياً بأن الروح الكلى الذى هو الإله عديم كالبحر ، والأشخاص الناشئة منه مثل البخار الصاعد من صورته البخارية ثم فى صورة السحابية ، ثم يرجع إلى الماء ، ويختلط بالبحر ، فيصير إياه ، وهو بخار وسحاب حقيقة ، وتلك الصورة العارضة مجاز^(١) !!

فأين هذا الانهماك فى اللذة قولاً وفعلًا ، والالتقياد للهوى عقداً وحلاً ، من رتبة الولاية التى يدعيها المتعصبون له ، التى من شرطها الإعراض عن الانهماك فى اللذات الدنيوية ومن رتبة الولاية التى يدعيها هو ؟!

(١) مراده من هذا : إثبات أن المغايرة بين الحق والخلق مغايرة وهمية ، أو إسمية ، أو صورية ، ويشبهها بالمغايرة بين الماء المطلق ، وبينه فى حال تعينه بصورة بخارية ، أو سحابية . فالكل حقيقة واحدة ، هى الماء ، ولكنها تعينت مرة فى صورة بخار ، وأخرى فى صورة سحاب ، وكذلك الذات الإلهية عديم ، فإنها هى وذوات الخلق واخذ فى الحقيقة ، كثير بالاعتبار ، فهوية الحق قبل التعين تسمى وجوداً مطلقاً ، أو حقاً ، ثم سميت خلقاً بعد التعين . فهما واحد فى الحقيقة ، غيران بالنسب والإضافات . يقول التلسانى :

البحر لا شك عندى فى توحيده وإن تعدد بالأمواج والزبد
فلا يفرنك ما شاهدت من صور فالواحد الرب سارى العين فى العدد

وأقول : هذا المثل حجة على الصوفية ، فالماء لا يصير بخاراً من نفسه ، بل بتأثير شىء آخر خارج عنه يخالفه فى حقيقته : هو الحرارة ، وكذلك فى صيرورته سحاباً ، فالمؤثر فى هذه الصيرورة شىء غير الماء يخالفه فى الحقيقة ، فالمثل إذاً يثبت وجود غيرين هما غير الماء حقيقة وصورة . والصوفية ينكرون الصيرورة والكثرة ، والمثل كما رأيت يثبتهما ، ويثبت أيضاً أن الماء فى صيروراته يخضع لمؤثر خارجى ، وهذا يستلزم كون رب الصوفية يتأثر بغير حقيقى خارجى . فما ذلك المؤثر ، أو من هو ؟

ومن هنا تعلم أنهم^(١) لا أرضوه ، ولا أرضوا الله ورسوله صلى الله عليه وسلم ، ولا أحداً من المؤمنين ، فإنه هو لا يرضى إلا أن يكون خليعاً ، وهم يقولون : متقيد ، وهو يقول : إن ما قاله مبيح للدم ، وهم يقولون : لا يبيحه ، وهو يقول : إنه عاقل صاح ، وهم يقولون : مجنون [٧٦] سكران ، وهو يقول : إن ما قاله : حقيقة ، وهم يقولون : مجازاً^(٢) ، ولا يقدر على تخريجه على المجاز وهو لا يرضى إلا أن يكون هو الله ، وينهى عن ذكره بغير .

لماذا يزجر عن تكتيته بكنية ، أو تلقيبه بلقب

وَأَلْعَلَّ الْكُنَى عَنِ وَلَا تَلْعَلُ الْكُنَى^(٣) بها ، فهي من آثار صيغة صَنَعَتِ^(٤)

وعن اتقي بالعارف ارجع فإن ترى الله

— نَابِذٌ بِالْأَلْفَابِ فِي الذِّكْرِ تُمَقَّتِ

قال شراحها : « أى أسقط الـكُنَى عَنِ ، ولا تستعمل اللغو في إطلاقها على حال كونك عِيّاً^(٥) عن الكلام في تعريف مقامى ، فإنها من آثار مصنوعاتى ، إذ الإنسان صاغها ، وهو من جملة مصنوعاتى التى أوجدتها ، وارجع عن إطلاقك على اسم العارف ؛ لاتحادى بذات من لا يُطْلَقُ عليه هذا الاسم . »

فلم يدع جهداً في زجرهم عن تسميته بالعارف ، ولم يدع النهي صلى الله عليه وسلم لبساً في أمرهم بتكفيره ، وهم^(٦) يعصون كلاً من الأمرين ،

(١) يعنى : شارح التائية

(٢) الحق أن أكثر الشراح للتائية يدينون بأن قول ابن الفارض في الاتحاد والوحدة حقيقى ، لا مجازى . والقائلون بالمجاز قلة من مناقى الصوفية خشية على السحت الذى يأكلون به مال اليتامى والأيتامى

(٣) يقصد : الإنسان

(٤) لا تلغ : لا تكلم باللغو . والألكن : الثقيل اللسان فى التكلم

(٥) فى الأصل : عينا

(٦) أى : أتباع ابن الفارض

ولا يرجعون عن شيء من المنهين ، فيا خسارتهم بما ضرُّوا به أنفسهم فيما لا ينفعهم ، كما قال تعالى فيمن يعبد الله على حَرْفٍ : (٢٢ : ١٣ ، ١٣ يدعو من دون الله مالا يضره ، وما لا ينفعه ، ذلك هو الضلال البعيد . يدعو كَنَ ضرُّهُ أقرب من نفعه . لبئس المولى ، ولبئس العشير)

زعمه أنه عرج إلى السماء

وادعى العروج إلى الله ، والوصول إلى مقام : أو أدنى ^(١) ، فقال :
وَمِنْ أَنَا إِيَّاهَا ، إِلَى حَيْثُ لَا إِلَى عَرَجْتُ ، وَعَطَّرْتُ الوجود برجعتي
قالوا في شرحه : « عرجت من مقام : أنا إياها - وهو ابتداء الاتحاد -
ومن قولم : أنا الحق ^(٢) ، ولا إله إلا أنا فاعبدني ^(٣) ، إلى أن وصلتُ إلى مقام
لا نهاية فيه ، وعطر الوجود برجوعه ، لاتصافه بصفات الرحمن ^(٤) ، واتحاده .
بذات الملك الديان »

(١) يقرر المؤلف ما زعمه ابن الفارض من العروج إلى السماء ، ووصوله إلى مقام « أو أدنى » المشار إليه بقوله تعالى : « فكان قاب قوسين ، أو أدنى » ويعنى به ابن الفارض : الدنو من الله ، لا من جبريل كما هو الحق . والكمشخاني الصوفي يشرح هذا المقام في كتابه : جامع الأصول في الأولياء ، فيقول : « هو مقام القرب الأسمانى باعتبار التقابل بين الأسماء في الأمر الإلهي ، المسمى : بدائرة الوجود ، كالإبداء والإعادة والعروج والفاعلية والقابلية ، وهو الاتحاد بالحق مع بقاء التمييز والإثنية الاعتبارية . هناك الفناء المحض ، والطمس الكلى للرسوم كلها » ومن هنا تدرك لم ادعى ابن الفارض أنه وصل إلى هذا المقام ثم رجع منه ، إذ لم يرتض حتى الإثنية الاعتبارية ، أو بقاء التمييز بينه وبين الله سبحانه بوجه ما . وكيف يرتضيه وهو يفترى أنه هو الله ذاتا وصفة وخلقا ؟ !

(٢) كفر الحلاج

(٣) قول طيفور الشهير بالبسطامي عن نفسه

(٤) يزعم أنه عاد من مقام أو أدنى - وقد ذكرت مرادهم منه - رحمانا . =

والبيت الذى بعده أشد كفراً^(١) ، ثم قال :
ولى عن مُفِيضِ الْجَمْعِ عِنْدَ سَلَامِهِ عَلَى : بِأَوِّ أَدْنَى إِشَارَةِ نِسْبَةٍ
قَالُوا فِي شَرْحِهِ : « إِنَّهُ لَمَّا قَنِيَ فِي النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، ثُمَّ بَقِيَ بِهِ حِصَّةٌ
بِمُشَارَكَتِهِ فِي قَبُولِ عَيْنِ السَّلَامِ مِنْ حَيْثُ عَيْنُ ذَلِكَ الْمَقَامِ - وَهُوَ مَقَامُ : أَوْ أَدْنَى -

== وقد اختاروا تسميته بهذا الاسم بالذات ، لأن الرحمن عندهم : « اسم الحق باعتبار
الجمعية الأسمائية التى فى الحضرة الإلهية : الفائض منها الوجود وبقية الكمالات على
جميع الممكنات » فهو مرادف للوجود المطلق ، وقد سبق البيت الذى نقله المؤلف
عن ابن عربى من الفصوص ، والذي يقول فيه :

فَكُنْ حَقًّا ، وَكُنْ خَلْقًا تَكُنْ بِاللَّهِ رَحْمَانًا

وهكذا يتغالى الصوفية فى الزندقة حتى ليأبى الواحد منهم أن يقال عنه : إنه إله
تعين فى صورة خلقية ، ولا يجب إلا أن يقال عنه : إنه هو الوجود المطلق ، أو هوية
الحق قبل أن تتعين فى شيء ما ، حتى فى الحقيقة المحمدية ! !

(١) هذا البيت هو

وعن أنا ، إياى لباطن حكمة وظاهر أحكام أقيمت لدعوتى
ويريد الزنديق بهذا : أنه نال كل مراتب التوحيد ، حتى بلغ المرتبة الأخيرة منه
فالأولى : فناء عين التفرقة وبقاء أثرها . وصاحب هذه المرتبة يقول : أنا الحق ،
أو أنا الله . ولكن هذه قضية ذات محمول وموضوع ، والحمل يستلزم الإثنية
نعم هو حمل صورى لأن المحمول عين الموضوع . ولكن اختلاف لفظيهما يوم
الغيرية . لذا يرفض الزنديق هذه المرتبة . الثانية : فناء التفرقة عيناً وأثراً .
وصاحب هذه المرتبة يقول : أنا أنا . ولكن ما زال ثم قضية فيها محمول وموضوع
ولذا يرفض الزنديق هذه المرتبة أيضاً . الأخيرة : وهذه لا تسعف فيها العبارة ،
ولا تسمى إليها إشارة ، وغاية ما يستطيع العارف عندهم هو أن يقول عن نفسه :
أنا لحسب ، غير مدرك بإدراك ما ، ولا شاعر بشعور ما : أن هنالك ما يمكن أن
يحمل عليه ، أو يوضع له ، إذ ما ثم غير ولا سوى . هذا هو مراد الزنديق . غير
أنه يزعم أنه رضى وتنزل إلى مرتبة التعين فى الخلق ، ليرز مكنون قدرته ،
وإمكانات وجوده المطلق الأول

فإنه جلّ جناب هذا المقام من أن يَطْلُع عليه إلا واحدٌ بعد واحد ، قالواحد السابق هو صلى الله عليه وسلم ، والواحد الآخر الحق به : ^(١) أنا إن شاء الله تعالى من جهة غرقى في لجّيته « انتهى .

وقال عياض في أواخر الشفاء : وكذلك - أى يكفر - من ادعى مجالسة الله تعالى ، والعروج إليه ، ومكالمته ، أو حوله في أحد الأشخاص ، كقول بعض المتصوفة ^(٢) .

لا شيء على من يكفر ابن الفارض

وأما من أنكر عليه لأمثال ما رأيته من الألفاظ الصريحة بالنص في الكفر ، فلا شيء عليه بإجماع المسلمين بقاعدة من كفر مسلماً متأولاً ، فلا أضل ممن ترك طريقاً مضمون السلامة ، واتبع طريقاً أخف أحواله أنه مظنون العطب والملازمة [٧٧] . ودَرَّه المفسد أوتى من جلب المصالح ، على تقدير تسليم أن يكون لهم فيما هم فيه مصلحة ، وليس فيه - والله - مصلحة بوجه ، فقد اعترف كل من يحامى له أن ظاهر كلامه منابذ للكتاب والسنة ، وإلا لما احتاجوا إلى ادعاء تأويله ، مع أن الفاروق أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه الذى ما سلك فجاً إلا سلك الشيطان فجاً غير فجّه ^(٣) - قد أنكر التأويل لغير كلام المعصوم ^(٤) ، ومنع منه رضى الله عنه ، وأرضاه ، وأهلك كل

(١) يعنى : ابن الفارض لأنه يتكلم بلسانه

(٢) نص ٢٩٨ ج ٢ الشفاء ط تركيا

(٣) إشارة إلى الحديث المتفق عليه بين البخارى ومسلم ، وفيه : أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لعمر : «إياها يا ابن الخطاب !! والذى نفسى بيده ، ما لقيك الشيطان سالكا فجا قط إلا سلك فجاً غير فجك» والفجج : الطريق الواسع ، أو المكان المنخرق بين الجبلين

(٤) بل ما ثبت عن عمر ، ولا عن غيره من الصحابة والتابعين لهم بإحسان =

من خالفه ، وأرداه ، وبسيف الشرع قتله وأخزاه ، فقال فيما رواه عنه البخارى فى كتاب الشهادات من صحيحه : « إن أناسا كانوا يؤخذون بالوحى فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وإن الوحى قد انقطع ، وإنما نأخذكم الآن بما ظهر لنا من أعمالكم ، فمن أظهر خيرا أمنا ، وقر بناء ، وليس إلينا من سريره شيء ، والله يحاسبه فى سريره . ومن أظهر لنا سوءا لم نأمنه ، ولم نصدق ، وإن قال : إن سريره حسنة . وقد أخذ هذا الأثر الصوفية ، وأصلوا عليه طريقهم . منهم صاحب العوارف استشهد به فى عوارفه ، وجعله من أعظم معارفه ، فمن خالف الفاروق رضى الله عنه كان أخف أحواله أن يكون رافضيا خبيثا ، وأقلها أن يكون كفارا عنيدا ، وهذا الذى سماه الفاروق رضى الله عنه : ظاهرا هو الذى يُعرَف فى لسان المشرعة بالصریح ، وهو ما قابل النص والكناية والتعريض ، وقد تبع الفاروق رضى الله على ذلك — بعد الصوفية — سائر العلماء ، لم يخالف منهم أحد كما نقله إمام الحرمين ^(١) عن الأصوليين كافة ، وتبعه الغزالي ، وتبعها الناس . وقال الحافظ زين الدين العراقي أنه أجمع عليه الأمة من أتباع الأئمة الأربعة وغيرهم من أهل الاجتهاد الصحيح ، وكذا قال الإمام أبو عمرو ابن عبد البر ^(٢) فى التمهيد ، وأصله إمامنا الشافعى رضى الله فى كتاب

= تأويلهم لشيء ما من كلام المعصوم ، وإنما كان الجميع يفهمون ما جاءهم عن الله ورسوله بمعانيه التى هى له فى لغة العرب ، لا بما اصطلحت عليه الفلسفة أو التصوف أو الكلام . فما عرف شيء من هذه الضلالات ، ولا فى عهد أصحابه . وقريب من الذكر تلك الضربات الهادية الشافية التى أنزلها عمر على رأس من جاء يسأله عن معنى الذاريات ، إذ استشعر من وراء السؤال فكرا يهمس فيه الشك

(١) هو عبد الملك بن عبد الله بن يوسف أبو المعالى الجوينى من زعماء الأشاعرة . ولد سنة ٤١٩ هـ ولقب بإمام الحرمين . لأنه جاور بمكة والمدينة أربع سنين يدرس ويتفق . توفى سنة ٤٧٨ هـ

(٢) هو يوسف بن عبد البر بن محمد حافظ المغرب . قال عنه ابن حزم « لأعلم فى الكلام على فقه الحديث مثله . ولد سنة ٣٦٨ هـ وتوفى سنة ٤٦٣ هـ

الرسالة لقول النبي صلى الله عليه وسلم : « إنكم تختصمون إليّ ، ولعل أحكم أن يكون الحنـ^(١) بحجته ، فأقضى له » الحديث رواه الستة عن أم سلمة رضى الله عنها فى أمثال كثيرة ، وقال الأصوليون : « كافة التأويل - إن كان لغير دليل - كان لعبا ، وما يُنسب إلى بعض المذاهب من تأويل ما هو ظاهر فى الكفر ، فكذبٌ ، أو غلطٌ منشؤه سوء الفهم ، كما بينت ذلك بيانا شافيا فى غير هذه الرسالة ، وإنما أولنا كلام المعصوم^(٢) ، لأنه لا يجوز عليه الخطأ ، وأما غيره ، فيجوز عليه الخطأ سهوا وعمدا .

المتوقف فى تكفير الصوفية

ولا يسع أحدا أن يقول : أنا واقف ، أو ساكت لا أثبت ، ولا أنق ؛ لأن ذلك يقتضى الكفر ؛ لأن الكافر من أنكر ما عُلِمَ من الدين بالضرورة . ومن شك فى كفرٍ مثل هذا كفر [٧٨] ولهذا قال ابن القزوينى فى مختصر الروضة : « من شك فى اليهود والنصارى وطائفة [ابن^(٣)] عربى فهو كافر » .

وحكى القاضى عياض فى الباب الثانى من القسم الرابع من الشفاء : « الإجماع على كفر من لم يُكفر أحدا من النصارى واليهود ، وكل من فارق

(١) أى : أفطن لها ، ونص الحديث : « إنما أنا بشر ، وإنكم تختصمون إليّ ، ولعل بعضكم أن يكون ألحن بحجته من بعض ، فأقضى له على نحو ما أسمع ، فمن قضيت له من حق أخيه شئ ، فلا يأخذ منه شيئا ، فإنما أقطع له قطعة من النار » فأين من هذا الهدى والحق ضلال الصوفية وباطلهم . إذ يزعمون أن حقائق الأشياء تنكشف لهم على ما هى عليه ، وأنهم يتصرفون فى البواطن ، وأن شيوخهم يتكلمون عن سرائر دراويشهم وهم ساكتون ؟

(٢) هذا على دين من يأخذون بالتأويل ممن يجعلون العقل حاكما على النقل ، وقد سبق الرد على هذا

(٣) ليست بالأصل والسياق يوجبها

دين المسلمين ، أو وقف في تكفيرهم ، أو شك . قال القاضي أبو بكر : لأن التوقيف والإجماع [اتفاقاً ^(١)] على كفرهم ، فمن وقف في ذلك ، فقد كذب النص أو ^(٢) التوقيف ، أو شك [فيه ^(٣)] والتكذيب ، أو الشك فيه لا يقع إلا من كافر ^(٤) انتهى .

وقال الإمام حافظ الدين النسفي في كتابه العمدة في أصول الدين : « التوقف باطل ؛ لاقتضائه الشك ، والشك فيما يفترض اعتقاده كالإنكار » ومن العجب أنهم يعاندوننا ، لأننا لا نُؤوِّل لمن يجوز عليه الزلل ، وينصرون من يتعصبون له ، وهو ^(٥) لا يؤول التشابه من كلام المعصوم ، بل يجريه على ظاهره ^(٦) خلافاً لإجماع الأمة ^(٧) مع تأدية ذلك إلى إبطال الشرع ، ويدعون

(١) ، (٣) ساقطتان من الأصل ، وأثبتهما عن الشفاء

(٢) في الأصل : و . وهي في الشفاء كما أثبتها

(٤) ص ٢٦٧ ج ٢ الشفاء

(٥) يعني : ابن الفارض

(٦) كان واجبا أن يقول : بل يجريه على ما يشهد الحسن له من مظاهر بالنسبة إلى الخلق ، أو على ما يشاء الهوى الصوفي ، فابن الفارض — ككل صوفي — لا يقترب هذا ، فحسب ، بل يجرد اللفظ من دلالة ومعناه في العربية ، ويفترى له معنى يهدف به إلى مساندة زندقته ، وأحيانا يفصل بعض أجزاء الكلام عن بعض كمن يفصل « لا إله » عن « إلا الله » . وأحيانا يقيس شأن الخلاق الخبير على شأن خلقه ، ويحكم على الرب بما يحكم به على العبد ، ومثاله ما افتراه من أن الله سبحانه يتلبس بصور الخلق قياسا على شأن جبريل حين ظهر بصورة دحية والأعرابي . هذا بعض ما يمسخ به الصوفية وجه الحق !

(٧) قوله هذا يحافي الحق ، ويحجب الصواب ، فالإجماع الذي يقصد به — إن كان لا بد من النص — إجماع — هو إجماع الصحابة والتابعين . وقد أجمع هؤلاء جميعا — ومن بعدهم الأئمة المهتدون — على إجراء ما تلقوه عن الله سبحانه ورسوله صلى الله عليه وسلم على ظاهره ، أي على ماله من دلالة ومعنى في العربية ، إذ لا يراد بالظاهر غير هذا ، أما أن يراد بالظاهر كفياته الحسية ، فهذا ليس من

الإسلام ، فما أحقهم بقوله تعالى : (٤ : ٨٨ ، ٨٩) فما لكم فى المنافقين فئتين ، والله أركسهم بما كسبوا ، أتريدون أن تهدوا من أضل الله ؟ ومن يضلِّل له ، قلن نجد له سبيلا . ودُّوا لو تكفرون كما كفروا ، فكونون سواء) إلى هذا من مكتب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ، وكلام حملة ^(١) شريعته من الصحابة والتابعين لم بإحسان رضى الله عنهم دَعَوَاتُنا (٤١ : ٢٢) ومن أَحْسَنُ نَوَلًا يَمُنُّ دعا إلى الله ، وعمل صالحا ، وقال : إئتني من المسلمين ؟) .

الرأى فى شعر ابن الفارض

وأما المحامون له ، فإنهم داعون إلى شاعر لم يؤثر عنه قط شيء غير ديوان شعر لم يمدح النبي صلى الله عليه وسلم فيه بقصيدة واحدة ، بل هو كُفْرٌ وضلالة وخلاعة وبطالة ، وقد علم ذم الله ، وذم رسوله صلى الله عليه وسلم للشعر والشعراء إذا كان حالهم مثل هذا ، كما قال تعالى : (٢٦ : ٢٢٤ - ٢٢٧) والشعراء يتبعهم الغاؤون . ألم تر أنهم فى كل وادٍ يهيمون ، وأنهم يقولون مالا يفعلون . إلا الذين آمنوا ، وعملوا الصالحات ، وذكروا الله كثيرا ، وانتصروا من بعد ما ظَلَمُوا ، وسيعلم الذين ظلموا أى مُنْقَلَبٍ ينقلبون) وقال النبي صلى الله عليه وسلم - كما رواه الستة عن ابن عمر رضى الله عنهما : « لأن يمتلى جوف أحدكم قبيحا [حتى يَرِيَهُ ^(٢)] خير من أن يمتلى شعرا ^(٣) » وذلك إذا انفرد بالشعر

= دين أهل الحق ، ولا من الحق فى شيء . أقول هذا لأن البقاعى يعنى بالمتشابه آيات الصفات وأحاديثها ، وهذا رأى ساقط الاعتبار ، لم يدن به إلا عبيد الفلسفة ومخانيث الكلام

(١) فى الأصل : جملة ، والسياق يوجب ما أثبتته

(٢) يرى من الورى ، وهو داء يفسد الجوف . وهذه الزيادة لم ترد فى رواية أبى داود . وهى كذلك ساقطة من الأصل

(٣) لم يروه الستة عن ابن عمر ، وإنما رواه البخارى عنه ، ورواه الشيخان =

كهذا الرجل ، فإنه ليس له شيء ينفع الدين أصلاً ، وليس له من الشر إلا ما عادى به الإسلام ، وأهله ، وأذاهم غاية الأذى ، وأوقع به بينهم ^(١) العداوة والبغضاء ؛ لأنه ملأه كفراً وخلاعة ، وصداً عن الدين وشناعة ، فقد حادَّ به الله ورسوله صلى الله عليه وسلم ، وقد قال تعالى : (٥٨ : ٢٢) لا تجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر ، يوادون من حادَّ الله ورسوله [٧٩] ، ولو كانوا آبائهم ، أو أبناءهم ، أو إخوانهم ، أو عشيرتهم ، أولئك كتب في قلوبهم الإيمان ، وأيدهم بروحٍ منه) . فنحن في غاية السلامة ، إن شاء الله تعالى ، لما قدمت . وأما من يحامى عنه ، فهو دائر بين اعتقاد ما تضمنه كلامه ، وذلك هو الكفر الموجبُ للسيف في الدنيا ، والخلود في النار في الآخرة ، وبين الذنب ^(٢) عنه مع الجهل لما قال ، وذلك موجب لموادَّة من حادَّ الله ورسوله صلى الله عليه وسلم للموجبة لعداوتهما الجارَّة إلى كل شقاء .

== وأبو داود والترمذى وابن ماجه عن أبي هريرة . والمقصود والله أعلم : الشعر الذى يمجّد الرذيلة ، ويفسد الخلق والدين ، وينابذ القيم الروحية ، ويصرف النفس عن الحق من الكتاب والسنة . أما الشعر الذى يستلهم الإيمان والحكمة ، ويصور المثل العليا ، ويمجّد قيم الحق والخير والمحبة ، ويستحث النفوس على الجهاد في سبيل الحق . هذا الشعر من هوائف النفس المؤمنة ، وليس بذى مذمة ولا مبغضة ، ودليل قول الرسول صلى الله عليه وسلم : « إن من الشعر حكمة » رواه البخارى وأبو داود عن أبي بن كعب ، ورواه الترمذى عن ابن مسعود ، وأيضاً ما روته عائشة رضى الله عنها « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يضع لسان منبراً في المسجد يقوم عليه قائماً ، ينافع عن رسول الله ، ثم يقول : إن الله يؤيد حسناً يروح القدس مانافح - أو فاخر - عن رسول الله » أخرجه البخارى - واللفظ له - وأبو داود والترمذى ، كلهم عن عائشة رضى الله عنها

(١) يعنى : بين المسلمين

(٢) فى الأصل : الذنب . والسياق يوجب ما أثبت

تواتر الخبر بتكفير العلماء له

هذا مستندنا، وهو قطعي^(١) من جميع وجوهه، تواتر لنا تواتراً معنوياً نسبة العلماء له إلى الكفر، وتواتراً حقيقياً أن التائبة نظمه، ونحن على القطع بأنها صريحة في القول بالاتحاد بالذات والصفات، وما يتبع ذلك من تصويب جميع المِلَل والنَحَل إن لم يكن نصاً فيه، وعلى القطع بأن ذلك كُفْرٌ، والقائل به كافر، وقد انتقيت من التائبة ما يقارب أربعين بيتاً شهد شراحها البررة والكفرة أن مراده منها صريح الاتحاد، وما تفرع عليه من تصويب جميع الأباطيل في مجلد سميته الفارض^(٢).

(١) في الأصل: قطعي. وهو خطأ في النحو

(٢) ورد بهامش الأصل ما يأتي: « قال للمصنف رحمه الله في كتابه: الفارض في تكفير ابن الفارض: ثم إنه لا ينبغي الاعتذار بما قاله ابن بنته في دياجة الديوان فإنه رجل مجهول لا تقبل روايته، ولا سيما وهو يشهد بحجده، ولا سيما إذا كانت شهادته مخالفة بشهادة الأئمة بكفره، وعلى تقدير صحة ذلك لا يدل على صلاح إلا إن كان الجارى ذلك على يده متابعا للكتاب والسنة، فإن الخوارق ربما كانت لكفره امتحاناً من الله لعباده، وينبغي لكل مسلم أن يجعل قصة الدجال نصب عينيه، فإنه يظهر على يديه من الخوارق شيء كثير مع علمنا بأنه أ كفر الكفرة، فأى لبس بعد هذا؟ مع أنه قد كثر ضلال الضلالة بمن ظهر على يديه شبه خارقة، وقد علم أن ذلك قد يكون من الشياطين، وقد ضبط العلماء - والله الحمد - أمر الخوارق وبينوا حقه من باطله، فمن ظهر على يده شيء من الخوارق. وكان عارفاً بالله وصفاته مواظباً [على] الطاعات. محتجباً للمعاصي. معرضاً عن الانهماك في [ملذات] والشهوات. فذلك ولي. والخارق كرامة. وما كان على يد مخالف للأمر فهو إهانة له بالاستدراج له، و [لا] يفتخر به. هذا الدجال نشهد أنه أ كفر الكفرة مع أنه نظـ [هر على] يده الخوارق العظيمة. منها مسير جبال التريد معه و. . الأرض كذلك. ومنها تمثل الشياطين بصور أقارب من أرا [د الله] فتنته يدعونهم إلى متابعتهم. ومنها. أنه يقول للشمس: قفي [فتقف]. ويقول لها: سيري =

لا عبرة بقول حفيد ابن الفارض

ولا مستند لمن ينايذا إلا ما أثبتته ابن بنته في ديباجة الديوان من الزور والبهتان ، وهو نكرة لا يعرف ، ولو أنه شهد على أحدهم بدينار لم تقبل شهادته حتى يُعدَّله العدول الموثوق بهم ، ولا مُعدَّل له ، ولا لجدّه ، ممن هو خير بحالهما أصلاً ، فصار المحامون له لا مُستند لهم إلا سند فريش في مناظرة النبي صلى الله عليه وسلم في التوحيد حين قالوا : (٤٥ : ٣٢) إن نظن إلا ظناً ، وما نحن بمستيقنين) ، (٣٨ : ٧) ما سمعنا بهذا في الملة الآخرة ، إن هذا إلا اختلاق) ، (٤٣ : ٢٢) إنا وجدنا آباءنا على أمة ، وإنا على آثارهم مهتدون) ، (٥ : ١٠٤) وإذا قيل لهم : تعالوا إلى ما أنزل الله ، وإلى الرسول ، قالوا : حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا ، أَوَلَوْ كَانَ آبَاءُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْئًا ، وَلَا يَهْتَدُونَ ؟) ، (٧ : ٣٠) إنهم اتخذوا الشياطين أولياء من دون الله ، وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مهتدون) .

وكل من هكذا يوشك أن يقول عند سؤال الملوك في قبره ما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عن المنافق ، أو المرتاب : « هاه [هاه] ^(١) . لا أدري . سمعت

فتفسير . ويقول للسماء : أمطري . فتمطر . وللأرض : أنبتى : فتنبت . إلى غير ذلك ممن يضل الله به من [يشاء من] عباده ، وأعظمه إحياء ميت « انتهى من هامش الأصل : وما بين هذين [] ساقط من الأصل ، ورأيت السياق يوجهه فأثبتته . وأقول : حديثه عن الخوارق تظهر على يد الأولياء حديث القرون التي كانت تعيش تحت سطوة التهاويل . إنما السكراة هي أن يكون الله مع عبده المؤمن نصراً وتأيداً وحفظاً .

(١) وردت مرة واحدة في الأصل ، بيد أنها ذكرت مرتين في الحديث الذي رواه أبو داود عن البراء بن عازب « وهاه هاه » كلمة تقال في الضحك وفي الإيعاد ، وللتوجع . وهو أليق بمعنى الحديث كما قال المنذرى ، وحديث السؤال في القبر أخرجه — غير أبي داود — الشيخان وأحمد والترمذي والنسائي وابن ماجه وابن حبان وأبو حاتم

الناس يقولون شيئاً ، فقلته « على أنه لو ثبت ما في ديباجة الديوان لم يُفدَ ولاية ، فإن العلماء قسموا الخوارق إلى معجزة وكرامة ، ومعونة وإهانة . وأشار إلى ذلك الإمام أبو حنيفة رضى الله عنه في الفقه الأكبر ، انظر إلى ماورد للدجال من الخوارق ^(١) ، وهو كفر الكفرة .

بم يكون الإنسان ولياً ؟

إنما يفيد الولاية بذلُ الجهود في متابعة النبي صلى الله عليه وسلم ، فمن بذل جهده في [٨٠] اتباع السنة ، قلنا : إنه ولي ، فإن خيل بعض المحولين منهم أحداً ممن ظهر له الحق بقوله : التسليم أسلم !! فليقل له : هذا خلاف ما أمر به صاحب الشرع صلى الله عليه وسلم في الكتاب والسنة : من جهاد أعداء الله ، والبغض في الله ، من ذلك حديث سعد بن أبي وقاص رضى الله عنه المتفق عليه في تسليته عن التخلف عن أصحابه بمكة : « ولعلك أن تخلف حتى ينتفع بك أقوام ، ويضرَّ بك آخرون » على أن التسليم لأهل الشريعة وأهل الطريقة ^(٢) المجمع عليهم الذين رموا هذا الرجل بالكفر ، ورأسهم الفاروق رضى الله عنه بمنعه من التأويل أجدرُ بإيجاب السلامة . وقد قال الإمامان أبو حنيفة والشافعي رضى الله عنهما :

(١) ما سيظهر على يد الدجال أخبرنا به المعصوم ، وإنه لفئة سيتلى بها الله عباده ويميز بها بين المؤمنين والكافر ، أما ما يزعمه هؤلاء ، فلم يروه إلا كذاب ، أو منافق ، أو صوفي ، وإنها لشعبذة يقترفها أولئك ابتغاء سلب مال أيم ، أو أرملة ، أو يتيم ، ولا يتخذ بها إلا النوكى مخايل الأحلام

(٢) لا . بل الواجب هو الاعتصام بالكتاب والسنة ، والتسليم لهما ، وتأيد كل من يندود عنهما ، ثم من أهل الطريقة ؟ أليسوا هم أولئك الأدعياء الكذبة الذين ابتدعوا هذه البدع الصوفية كلها ، تأييدا للمتأمرين على الإسلام من مجوس ويهود ونصارى ؟

« إن لم تكن الفقهاء أولياء الله ، فليس لله ولي^(١) » نقله عنهما النووي في تبيانه عن الخطيب البغدادي ، ودليله : (٣٥ : ٢٨ إنما يخشى الله من عباده العلماء) (١٠ : ٦٢ ، ٦٣ ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ، ولا هم يحزنون . الذين آمنوا ، وكانوا يتقون) . فقد أرشد الله تعالى إلى أن الولي هو العالم ، وأن العالم هو العامل بعلمه .

دفاع وادعاء

وإن قالوا : أنت تبغض الصوفية ، قل : هذه مباحة . إنما أبغض من كفره من أجمعنا على أنهم صوفية ، مثل الجنيد ، وسري^(٢) ، وأبي يزيد^(٣) ،

(١) ما من شك في أن الإمامين الجليلين يقصدان بالفقيه : ذلك المؤمن العالم الذي يستمد قفاه من الكتاب والسنة ، وي بذل الجهد في سبيل دعوة المسلمين إلى اتباع الكتاب والسنة ، لا ذلك الذي تدفعه عصبية حمقاء إلى عبادة مذهب خاص ، ودعوة الناس إلى الاقتداء بغير رسول الله ، والتدين بكتاب غير كتاب الله سبحانه مثل هذا هو من يسميه الناس اليوم وقبل اليوم بالفقيه ، وإنه لفقيه ضلالة ، وداعية إلى اتخاذ عبيد الله أربابا من دون الله

(٢) هو سري بن المغلس السقطي ، خال الجنيد . ومن قوله : « كل ما أنا فيه فمن بركات معروف الكرخي » توفي سنة ٢٥٧ ، فهل قائل هذه الكلمة يعتبر مسلما ؟

(٣) هو طيفور بن عيسى البسطامي التوفي سنة ٢٦١ ومن قوله : « سبحاني ما أعظم شاني ، تالله ، إن لوأى أعظم من لواء محمد ، ولأن تراني مرة خير لك من أن ترى ربك ألف مرة » انظر ترجمة النواوي لأبي يزيد ولطائف المنن والأخلاق ج ١ ص ١٢٥ ، ١٢٦ . وعجيب من المؤلف أن يستشهد بمثله هذا الزنديق على تكفير صوفي ، وهو زعيمهم الذي ألهمهم جرأة وقحة على جلال الربوبية وكبرياء الإلهية ، وهو القائل أيضا : « رفعتي الله مرة بين يديه وقال : إن خلقي يحبون أن يروك ، فقلت : زيني بوحدا نيتك ، وألبسني أنا نيتك ، وارفعني إلى أحديتك حتى إذا رأي خلقي قالوا : رأيناك ، فتكون أنت ذاك ، ولا أكون أنا هناك » الجمع

وأبي سعيد الخراز ، والأستاذ أبي القاسم القشيري ، والشيخ عبد القادر الكيلاني والشيخ شهاب الدين عمر السهروردي صاحب العوارف ، فإن بعضهم قال : طريقنا مشبك بالكتاب والسنة ، فن خالفهما ، فليس منا ، وبعضهم جعل أثر عمر رضى الله عنه أصلاً ، وبنى عليه طريقهم ، وبعضهم قال : من قال : إن الشريعة خلاف الحقيقة فهو زنديق ، ومن قال : إن المراد بمحبة الله تعالى ، ووصوله إليه غير كمال المتابعة للكتاب والسنة ، أو بمحبة الله غير إكرامه بحسن الثواب - فهو زنديق ^(١) ، إلى غير ذلك مما حدوه ، فتعداه من عاديتهمونا بسببهم

(١) الحبر بحال الصوفية — سلفهم وخلفهم — والتأمل في كتبهم يوقن أن الصوفية منذ نشأت ، وهي حرب دنيئة - حفية أو مستعلنة - على الإسلام . هذا القشيري الصوفي القديم « ولد سنة ٣٧٦ هـ وتوفي سنة ٤٦٥ هـ » هذا هو يقول في رسالته عنهم « ارتحل عن القلوب حرمة الشريعة ، فعدوا قلة المبالاة بالدين أوثق ذريعة ، ورفضوا التمييز بين الحلال والحرام ، ودانوا بترك الاحترام وطرح الاحتشام واستخفوا بأداء العبادات ، واستهانوا بالصوم والصلاة . وركنوا إلى اتباع الشهوات ، وادعوا أنهم تحرروا عن رق الأغلال . وتحققوا بحقائق الوصال ، وأنهم كوشفوا بأسرار الأحذية ، واختطفوا عنهم بالكلية ، وزالت عنهم أحكام البشرية ، وبقوا بعد فنائهم عنهم بأنوار الصمدانية » ص ٢ ، ٣ الرسالة للقشيري . هذه شهادة عليهم في القرن الرابع الهجري من رجل يعدونه المثل الأعلى للصوفية العملية المعتدلة ، وإنها لتدل على أن الصوفية من قديم تواصوا بالكيد للإسلام ، وإنا لا نتخذنا هذه الشفوف من النفاق الصوفي ، إذ هم السم النافع يترأى شهداً مذاباً . فالقائلون بما هلك له البقاعى هم عين القائلين بما يخفق منه يعموم الزندقة ، فالقشيري نفسه يقول في مقدمة رسالته عن أهل الطريقة : « جعل الله هذه الطائفة صفوة أوليائه ، وفضلهم على الكافة من عباده بعد رسله وأنبيائه » يفضل الصوفية على السابقين من المهاجرين والأنصار ، ثم يقول : « وجعل قلوبهم معادن أسرارهم ، واختصهم من بين الأمة بطوالع أنوارهم ، فهم الغياث للخلق » وماذا بقى لله إذا كان هؤلاء غياثاً للخلق ؟! وماذا للصحابة من طوالع الأنوار ومعادن الأسرار إذا كان هؤلاء وحدهم كذلك ؟ ثم يقول : « ورقاهم إلى محال المشاهدات بما تجلى لهم من حقائق الأحذية =

بل أنتم بعد بفضلكم للصوفية نابذتم رسول الله صلى الله عليه وسلم بموالاةكم من نابذ شريعته ، ونحن نذب عنها وأنتم تناضلون عمن يهدمها من غير فائدة في ذلك ، وتقولون : إنهم أرادوا بكلامهم الذى ظاهره قبيح غير ظاهره ، ولو قال أحد من الناس لأحد منكم كلمة توهم نقصا « كالعلق » الذى قال أهل اللغة أن معناه : الشيء النفيس^(١) - عاداه ، وإن حلف له أنه ما قصد ذمًا ، وإن كرر ذلك كانت القاصمة ، فتحرر بذلك أن نابذتم أهل الدين من الفقهاء والصوفية^(٢) المجمع

== وأشهدهم مجارى أحكام الربوبية « إذا فهم عند القشيري أعظم مقاما من خليل الله إبراهيم ، ومن محمد عليه الصلاة والسلام ؟ فتأمل فى الأستاذ القشيري ، وفى قوله ، وفيما خلفه فى رسالته ، ثم اسمع إليه ينقل فى رسالته : « لا تصلح المحبة بين اثنين حتى يقول الواحد للآخر : يا أنا ، المحبة سكر لا يصحو صاحبه إلا بمشاهدة محبوبه » انظر مقدمة الرسالة و ص ١٤٦ منها . وهذه زمزمة قديمة بزندقة الاتحاد ووحدة الشهود .

(١) فى القاموس : « العلق : بالكسر » النفيس من الشيء

(٢) وضع الصوفية بجانب الفقهاء من المؤلف يوحى بأن هناك طريقان : طريق الفقهاء ، وطريق الصوفية ، ويوحى بأن الدين فقه وتصوف ، وأن الطريقين مختلفان ، وأن الفقه والتصوف متغايران . فما طريق الفقهاء ، وما طريق الصوفية ؟ وما الفقه ، وما التصوف ؟ إن كان أحدهما عين الآخر بطلت التسمية ، وإن كان غيره ، استلزم النقص فى أحدهما ، أعنى استلزم أن يكون أحدهما لا يمثل الشريعة الإسلامية فى كل أصولها وفروعها . والصوفية يزعمون أنهم يمثلون الجانب الروحى والحقائق الباطنة فى الإسلام ، ويدمغون الفقهاء بأنهم علماء الرسوم . فى حين يقول الفقهاء عن الصوفية : إنهم يتحللون من تكاليف الشريعة بهذه الدعوى ! ! فأى الفريقين على بينة من قوله ؟ لا بد من العودة إلى الكتاب والسنة لنحكم على قيم الأشياء بما حدد القرآن من مفاهيم لهذه القيم ، وثمت نجد أمين الله جبريل يسأل الرسول : ما الإسلام ؟ ثم : ما الإيمان ؟ ثم : ما الإحسان ؟ ونجد الرسول صلى الله عليه وسلم يجيب إجابة واضحة صريحة لا لبس فيها ولا غموض ، محمدا هذه الحقائق العليا تحديدا جليا مشرقا ، فلنجعل قلوبنا ونياتنا وأعمالنا مظهرًا لها ==

عليهم بالتأويل في جانب الله تعالى ، ومنعتم مثله في حقكم ، فأفٍ لهذا عقلاً ، فكيف بالنظر إلى [٨١] الدين ؟

وجوب الكشف عن زندقة الصوفية وبيانها

وإن قالوا : لا تجرب بالإنكار عليه في نفسك ، فليقل : وإن تركت الإنكار عليه ، كنت أيضاً مجرباً في نفسى بمنازمة رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله صلى الله عليه وسلم الذى رواه مسلم عنه عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه « من رأى منكم منكراً ، فليغيره بيده ، فإن لم يستطع ، فبلسانه ، فإن لم يستطع ، فبقلبه ، وذلك أضعف الإيمان » وفي حديث آخر لمسلم عن ابن مسعود رضى الله عنه « وليس وراء ذلك من الإيمان حبة خردل ^(١) » وقد صرح العلماء بأن من خاف

== في صدق وإخلاص ، ولندع تلك التفريعات ، والتقسيمات ، والتسميات ، لنستمد معارفنا عن الدين من الكتاب والسنة ، فلا تستبد بنا حيرة ، ولا يعصف بنا شك ولا يستعبدنا بعض خلق الله

(١) بات المنكر عند بعض الناس هو النهى عن المنكر ، ولبعدهم عن الكتاب والسنة حالت في أذهانهم قيم الأشياء ، فالدعوة إلى الحق عندهم رغاء بالباطل ، والاعتصام بالكتاب والسنة جمود يناهى قانون التطور ، والمحافظة على تراث الإسلام الروحى مادية صماء ، والحكم بما أنزل الله رجوع إلى وحشية القرون الوسطى ، وانتهاز لسلحة القانون الإنسانى . هذا في ناحية قيم الخير ، أما في ناحية الشر ، فالإلحاد حرية فكرية ، والعصية المذهبية تقديس للأئمة ، وعبادة القبور والجيف عجة لأولياء الله ، والمجوسية قداسة روحانية ، ومعارج ربانية ، وهى الصوفية ، والتبرج التلطف بدماء الأعراض مدنية حديثة ، وأمس قبل ثورة الجيش على الطغیان كانت مساندة الطاغوت والسجود له ولاء واجب مقدس !! هذا فهم المسلمين لقيم الأشياء ، يؤازرهم فى هذا — ويا أسفاه — بعض العلماء ، أو من يسميهم الناس بهذا . ثم تعال ، وانظر إلى ما كان يحدث من قبل . حاولت بعض الحكومات فى عهد الطاغية تعديل قانون الانتخاب !! فماذا حدث ؟ قامت قيامة من يسمون أنفسهم بفقهاء القانون ، وتنادوا بالويل والثبور !! فى حين كان كل رئيس حكومة ==

على أحد أنه يقع في هلكة يجب عليه إنذاره ، ولو كان في الصلاة : (٢٩ : ٤١)
مثل الذين اتخذوا من دون الله أولياء ، كمثل العنكبوت اتخذت بيتاً ، وإن
أوهن البيوت ، لَبِيتُ العنكبوت ، لو كانوا يعلمون .

الجاهلية في الصوفية

على أنهم تابعون في هذا التحريف سنة الجاهلية في قولهم لنوح عليه السلام
ما أجاهم عنه بما حكاه تعالى عنه في قوله : (١٠ : ٧١) فأجمعوا أمركم وشركائهم ،
ثم لا يكتفون بأمرهم عليكم غمة ، ثم اقضوا إلي ولا تنظرون) ثم قولهم لهود عليه
السلام ، وقوله لهم ما حكاه تعالى بقوله : (١١ : ٥٤ - ٥٦) إن نقول إلا اعتراك
بعض آلتنا بسوء ، قال : إني أشهد الله ، وأشهدوا أني بريء مما تشركون من
دونه ، فكيدوني جميعاً ، ثم لا تنظرون . إني توكلت على الله ربي وربكم ، مامن
دابة إلا هو آخذ بناصيتها . إن ربي على صراط مستقيم) ثم قولهم لإبراهيم
عليه السلام كذلك : (٦ : ٨٠ - ٨٣) وحاجه قومك . قال ^(١) : أنحاجوني في الله ،

= يعتدى في كل لحظة على كتاب الله ، وينتهك الحرمات في جرأة مستعلنة وقحة ،
ويستعبد عباد الله للطاغية الظالم الغشوم ، ويقدم للطاغوت قرايينه : فضيلة
مذبوحة ، أو رذيلة تغرى بإعماها ، أو عرضاً كان يرف حياء ، ويتألق قدسية . كان
كل هذا يحدث وغيره . فما كنت ترى من الشيوخ والصوفية إلا ابتهاجاً إلى الله أن
ينصر الطاغية ، كانوا كلما استنجد بهم الطاغوت لمساندته هبوا سراعا هبوب الوثنية
إلى هبل ، يحلون له ما حرم الله ، ويرتلون بين يديه طقوس العبادة ، وعلى فمه
تتلظ الفواحش ، وعلى أنيابه مزق من الأعراض . ويقولون له : حفظك الله ذخرا
يا أمير المؤمنين ! فإبطال الثورة على الطاغوت : إن أممي ما تحققون من خير
هو الجهاد في سبيل أن يفهم الناس قيم الأشياء على حقيقتها ، فيؤمنوا بالخير خيراً ،
وبالشر شراً . وثمت تجدون محكومين يتجاوبون مع الحاكمين في صدق وعجبة ،
وفي الكتاب والسنة الحق ، وهدى الدين والدنيا

وقد هذان ، ولا أخاف ما تشركون به إلا أن يشاء ربى شيئاً ، وسع ربى كل شئ . علما ، أفلا تتذكرون ، وكيف أخاف ما أشركتم ، ولا تخافون أنكم أشركتم^(١) بالله ما لم ينزل به عليكم سلطاناً ، فأى الفريقين أحق بالأمن إن كنتم تعلمون ؟ الذين آمنوا ، ولم يلبسوا إيمانهم بظلم ، أولئك لهم الأمن ، وهم مهتدون ، وتلك حجتنا آتيناها إبراهيم على قومه ، نرفع درجات من نشاء إن ربك حكيم عليم »

وقال كفار قریش لزينة الرومية رضى الله عنها لما أسلمت^(٢) ، فعصيت : « ما أعماها إلا اللات والعزى فرد الله عليها بصرها ، وقالت ثقيف : « والله لا يستطيع أحد أن يخرب اللات ، فلما أخبربوها ، قالوا : والله لينقضن الأساس » وقال اليهود لما مات أبو أمامة أسعد بن زرارة رضى الله عنه : « لو كان نبياً مامات صاحبه » إلى أمثال هذه الترهات .

دفع اعتراض

وإن قالوا ، استخفافاً لضمفاء العقول : إن هذا الرجل^(٣) له ما يزيد على مائتى سنة ميتاً ، فما للناس يقلقونه فى قبره ؟ تلك أمة قد خلت . فقل - بعد التأسى بفعل الله بفرعون وأضرابه^(٤) : هذا الكلام [٨٢] لنا عليكم ، فإنه

(١) ساقط من الأصل

(٢) أسلمت فى أول الإسلام ، وعذبها المشركون عذاباً شديداً ، فاشتراها الصديق ثم أعتقها وقد عصمت ، فقال المشركون : أعمنها اللات والعزى لكفرها بهما فقالت : وما يدري اللات والعزى من يعبدها ، إنما هذا من السماء ، وربى قادر على رد بصرى ، فأصبحت من الغد ، وقد رد الله بصرها ، فقالت قریش : هذا من سحر محمد . « عن الإصابة لابن حجر ، وأسد الغابة لابن الأثير »

(٣) يعنى : ابن الفارض

(٤) يريد : أنه لو كان ذم الموتى مذموماً مطلقاً ما ذم الله فى القرآن آزر أبا إبراهيم ، وابن نوح ، وامراته ، وامرأة لوط ، وفرعون ، وهامان ، وقارون ، =

لو كان حياً لظن أن الكلام فيه لعداوة ، أو حظ من الحظوظ الدنيوية ، وحيث انتفت التهم كلها ، كان الكلام بسبب ما خلفه من كلامه الذي أقر الدابون عنه أن ظاهره خبيث حتى احتاجوا إلى تأويله ، فلو تركوا كلامه ، تركنا الكلام فيه ، فن غض منه ، علمنا أنه ماغض - مع معاداة أكثر الناس - إلا ذباً عن حى الشريعة خوفاً على الضعفاء من الاغترار بهذه الظواهر ، ومن حامى عنه ، كان ذلك قرينة دالة على أنه يعتقد ماظهر من كلامه ، وإن قالوا : « لاتذكروا موتاكم إلا بخير » رواه النسائي عن عائشة رضى الله عنها مرفوعاً . قيل : حتى يكون من موتانا ^(١) ، وإن قالوا « لاتسبوا الأموات فإنهم أفضوا إلى ماقدموا » رواه البخارى عنها أيضاً مرفوعاً . قيل : هذا إذا كان فى أمرهم شك ؛ بدليل (تبت يدا أبى لهب ^(٢)) ، ونحن لم نسبه ، بل أخبرنا بما وصفه به العلماء الذين ثبتت ولايتهم تحذيراً من كلامه ^(٣) ، واتباعاً لحديث البخارى عن أنس

== ممن حادوا الله ورسوله . أما وقد جاء فى القرآن ذلك ، فنعلم قطعاً أنه يجب ذم الشرك ، وكل مشرك . وبيان حاله حتى تأمن من الفتنة به على غير الخير بحاله . وما مثل كفر ابن الفارض وابن عربى وأمثالهما من الصوفية كفر . وما مثل خطرهما على المسلمين خطر . فلا يمنع هلاكهما من بيان حالهما ، وذم معتقدهما ، والتحذير منهما ، ومن أمثالهما . وإن كانوا فى تواييت من فضة ، وتحت قباب من ذهب ، وكان لهم ملايين الدراويش !!

(١) أى : من المسلمين الذين لم نسمع منهم فى صراحة قول الكفر . ولم نرمهم فى جلاء فعل الكفر . ولم يخلفوا وراءهم كتباً تطفح بالوثنية والزندقة . كأمثال طواغيت الصوفية . فإن كان من هؤلاء وجب على كل مسلم بيان معتقده ، وتحذير المسلمين منهم ، ودمغهم بما دمع الله به كل فاجر كفار

(٢) يعنى : لو كان ذم الموتى مطلقاً غير جائز ما ذم الله فى كتابه الحكيم أبى لهب ونحن اليوم - وقد تقضت قرون كثيرة على هلاك أبى لهب - ما زلنا ، وسنظل حتى قيام الساعة نقرأ قول الله « تبت يدا أبى لهب »

(٣) أى : من كلام ابن الفارض ، والمؤمن الحق ليس فى حاجة إلى شهادة عالم ==

رضى الله عنه - رَفَعَهُ - « مَرُّوا بِجَنَازَةٍ فَأَثْنُوا عَلَيْهَا شَرًّا ، فَقَالَ : وَجِبَتْ »
 واتباعاً لإجماع الأمة في جرح من يستحق الجرح . هذا من فوائد قولنا ، فليذكر
 الخصم للدفع عنه فائدة واحدة لنفعه ، أو لنفع الدين ، أو أحد من المسلمين !!
 وإن قالوا : ما لأهل زمانه ما أنكروا عليه ؟ قيل : قد أنكروا عليه ، كما مضى
 بيانه ، وإن قالوا : ما لهم ما قتلوه ؟ قيل : منعهم اختلاف الأغراض ، كما منع
 ذلك في البَاجِرِيِّ ، وكما ترى الآن من هذا التجاذب ، على أن القتل أيضاً لا يفيد
 قطع التَّعَنُّتِ من المعتنئين ، فقد أجمع أهل زمان الحلاج الذي هو رأس هذه
 الطائفة الاتحادية^(١) بعد فرعون ، وهم أتباع طريقته على قتله على الزندقة ، كما
 نقله القاضي عياض في آخر كتابه الشفاء الذي هو من أشهر الكتب وأعظمها ،
 ونقل الأستاذ أبو القاسم القشيري رأس الصوفية في زمانه في الرسالة عن أحد
 مشايخنا عمرو^(٢) بن عثمان المكي تكفيره للحلاج وذلك في باب « حفظ قلوب
 المشايخ^(٣) » وقُتِلَ بسيف الشرع ، وأنت تجد الآن هذه الطائفة ، وأتباعهم من

= يشهد على مثل ابن الفارض بالكفر ، فشعر الصوفية وكتبهم تنزوا بقيس الوثنية
 المجرمة ، وتشهد عليهم أنهم فئة يبغيضون الله ورسوله ويعبون القبور ، ورسم
 القبور !! وبهذه الشهادة التي لا يمكن الطعن فيها ، نحكم عليهم بما حكم الله به
 على إبليس وفرعون ، وعباد العجل والأوثان ، والمجرمين من قوم لوط

(١) هو حلولى وليس اتحاديا

(٢) توفي سنة ٢٩١ هـ

(٣) نص ما ذكره القشيري « ومن المشهور أن عمرو بن عثمان المكي رأى
 الحسين بن منصور الحلاج يكتب شيئا ، فقال : ما هذا ؟ فقال : هو ذا أعارض
 القرآن ، فدعا عليه ، وهجره . قال الشيوخ : إن ما حل به بعد طول المدة كان
 لدعاء ذلك الشيخ عليه » والقشيري لم يذكر هذا انتقاصا من مقام الحلاج ، وإنما
 ذكره تأييدا لما يهدف إليه الصوفية ، وهو استعباد قلوب أتباعهم لأهوائهم ، ألا
 تراه يقرر أن الحلاج لم يحل به القتل إلا من دعاء شيخه عليه ، لا لأنه كان يعارض
 القرآن ، فغضب الله عليه !! وألا تراه يرويه في باب « حفظ قلوب المشايخ » ؟ =

العامّة ، يعتقدون فيه اعتقاداً عظيماً ، وينابذون أهل الشريعة ، وذلك يدل على أنهم إنما يقولون : تَوَوَّلْ تَقِيَّةً ، وخوفاً من السيوف المحمدية ، وأنهم يعتقدون الكلام على ظاهره ، فاستوى حينئذ القتل على الزنقة وعدمه (٤٠ : ٣٣ ومن يَضِلَّ الله ، فإله من هاد) .

نصيحة

ولا تهتموا أيها الإخوان بكثرة كلام أتباع الشيطان ، وهجائهم لنا بالإثم والعدوان ، فهم : إنما يقولون ذلك في الغيبة ، ولم عليه الإثم والخيبة ، فإن الله تعالى قد ضمن النصره ، وإن كان مع المُنْبِطِل الكثرة . روى [٨٣] الشيخان عن معاوية رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « لا تزال طائفة من أمتي قائمة بأمر الله ، لا يضرهم من خذلهم ، حتى يأتى أمر الله ، وهم ظاهرون ، وحتى يقاتل بقيتهم الدجال » وفي رواية : « وهم بالشام » ، وقال [تعالى] : (٦ : ٨٢ الذين آمنوا ، ولم يلبسوا إيمانهم بظلم ، أولئك لهم الأمن ، وهم مهتدون)

= ولذا يقول في رسالته : « من رضى عنه شيخه لا يكافأ في حال حياته ، لتلاي زول عن قلبه تعظيم ذلك الشيخ ، فإذا مات الشيخ أظهر الله عز وجل عليه ما هو جزاء رضاه ومن تغير عليه قلب شيخه لا يكافأ في حال حياة ذلك الشيخ ، لتلاي ريق له ، فإنهم مجبولون على الكرم ، فإذا مات ذلك الشيخ ، فحينئذ يجد المكافأة بعده » ويقول « من خالف شيخه لم يبق على طريقته ، ومن سحب شيخاً من الشيوخ ثم اعترض عليه بقلبه ، فقد نقض عهد الصعبة ، ووجبت عليه التوبة !! على أن الشيوخ قالوا : حقوق الأستاذين لا توبة عنها !! » انظر ص ١٥٠ ، ١٥١ من الرسالة للقشبرى في باب حفظ قلوب المشايخ . ولكن أرايت إلى الأستاذ القشبرى كيف يقرر وجوب التوبة حتى على من همس في قلبه اعتراض على شيخه ، بل يقرر أن التوبة من هذا لا تقبل !! ولذا يقول الشعراني « من أشرك بشيخه شيخاً آخر فكأنما أشرك بالله » يريد الصوفية سلفاً وخلفاً أن يكون الناس عبيد أهوائهم ونزواتهم ، ويخوفونهم بغضب العبيد ، لا غضب رب العالمين ، ويشرعون لهم ، أن الغاية من الإيمان إرضاء هوى الشيوخ ، لا إرضاء مالك الملك سبحانه !!

وقال تعالى : (٦١ : ١٠ ، ١١ يا أيها الذين آمنوا ، هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم ؟ تؤمنون بالله ورسوله ، وتجاهدون في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم) إلى أن قال : (٦١ : ١٢ - ١٤ وأخرى تحبونها نصر من الله وفتح قريب ، وبشر المؤمنين ، يا أيها الذين آمنوا كونوا أنصار الله ، كما قال عيسى ابن مريم للحواريين : من أنصاري إلى الله ؟ قال الحواريون : نحن أنصار الله ، فآمنت طائفة من بني إسرائيل ، وكفرت طائفة ، فأيدنا الذين آمنوا على عدوهم فأصبحوا ظاهرين) .

وقد قلت في حالنا وحالم .

نصرنا سنة المختار حقا فهاجينا لذلك^(١) الأكافر
وراموا نصر شاعرهم ، فخابوا وضلل سعيهم في نصر شاعر
(٣٨ : ٨٨ ولتعلمن نبأه بعد حين) ، (٨ : ٢٩ إن تتقوا الله يجعل لكم فرقانا) ، (٢٢ : ٤٠ ولينصرن الله من ينصره ، إن الله لقوى عزيز) ،
(٤٠ : ٥١ ، ٥٢ إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا ، ويوم يقوم الأشهاد . يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم ، ولم العنة ، ولم سوء الدار) ،
(٣٧ : ١٧١ - ١٨٢ ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين ، إنهم لم يذنبوا ، وإن جندنا لم يغالبن فتول عنهم حتى حين ، وأبصرهم ، فسوف يبصرون . أفبعذابنا يستعجلون ، فإذا نزل بساحتهم ، فساء صباح المنذرين ، وتول عنهم حتى حين ، وأبصرهم ، فسوف يبصرون . سبحان رب العزة عما يصفون . وسلام على المرسلين ، والحمد لله رب العالمين) .

قال منشؤها سيدنا الشيخ الإمام العالم العلامة أبو الحسن برهان الدين إبراهيم البقاعي الشافعي نفع الله المسلمين بعلمه : إني فرغت [من] هذه الرسالة
(١) لعلها : ذياك ، أو قدلكم . فهذا يستقيم وزن البيت

في مقدار يوم ، وكان فراغى منها ليلة الأحد ثامن عشرين شهر رجب الفرد الحرام سنة ثمان وسبعين وثمانمائة في مسجد « دررجه العبد^(١) » بالقاهرة والحمد لله رب العالمين . وصلى الله على سيدنا محمد ، وآله وصحبه أجمعين .

وفرغ من كتابتها الفقير إلى رحمة ربه ، سليمان بن عبد الرحيم في شهر ربيع الآخر من شهور سنة سبع وأربعين وتسعمائة الهجرة النبوية .

* * *

[زاد الناسخ ، أو غيره بعد هذا]

ومن يقول بكفر ابن عربى غير مصنف هذه الرسالة أيضاً من العلماء الشيخ إبراهيم بن داود الآمدى^(٢) والشيخ أبو بكر بن قاسم الكنانى^(٣) والشيخ الفاضل سليمان بن يوسف الياسـوفى^(٤) الدمشقى ، والإمام الجليل على بن عبد الله الأردبيلى^(٥) ، والعلامة محمد بن خليل عز الدين الحاضرى الحلبي الحنفى الفاضل محمد بن على الدكالى^(٦) ثم المصرى ، والشيخ الصالح موسى بن محمد الأنصارى^(٧) الشافعى قاضى حلب ، وكلهم ذكر الشيخ برهان الدين إبراهيم البقاعى عن شيخه شهاب الدين أحمد بن حجر فى تراجمهم ما فيه الكفاية من فضلمهم وحذقهم ، وعلمهم ، وزهدهم وورعهم ، وإنما أردت ذكر أسمائهم ، ليعلم أن من قال بكفر

(١) كذا بالأصل

(٢) أسلم على يد ابن تيمية ، وكان ديناً خيراً فاضلاً . توفى سنة ٧٩٧ هـ

(٣) ولد سنة ٦٦٦ هـ قال عنه الذهبي : دين حسن المحاضرة

(٤) ولد سنة ٧٣٩ تقريباً ، كان شافعيًا ، ثم حنبليًا إليه الحديث ، فأقبل عليه بكلية ، وسلك طريق الاجتهاد . توفى سنة ٧٨٩ هـ معتقلاً بقلعة دمشق

(٥) ولد سنة ٦٦٧ هـ قال عنه الذهبي : حصل جملة من كتب الحديث ، وشغل فى

فنون وهو عالم كبير حسن الصيانة . مات بالقاهرة سنة ٧٤٦ هـ

(٦) هو أبو أمامة ابن النقاش . وقد سبقت ترجمته

(٧) ولد سنة ٧٤٨ هـ ، ولى قضاء حلب عن الظاهر برقوق . وتوفى سنة ٨٠٣ هـ

هذا الضال جماعة من العلماء غير واحد ، ليحذر من مذهبه من لا يعرفه تحقيقاً ،
ويعلم أن جماعة من العلماء لا يتفقون على ضلالة ، وهؤلاء من المتأخرين دون من
لم يذكرهم من المتقدمين ، كالشيخ عز الدين بن عبد السلام ، وصاحب المواقف
وغيرها ، وكذلك الشيخ الجليل أفضل المتأخرين علامة زمانه الشيخ علاء الدين
البخارى ، وقد عمل في الرد على ابن عربى غي وبيان كفره رسالة شافعية مُسمّاة :
« بفاضة الملحدّين ، وناصحة الموحدين » . ومن أراد البحث والرد على هذه
الطائفة ، فليطالعها . وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين .

* * *

فرغت من نسخها وتحقيقها والتعليق عليها يوم الخميس ٤ من صفر سنة ١٣٧٢ هـ
الموافق ٢٣ من أكتوبر سنة ١٩٥٢ م بمدينة القاهرة والحمد لله أولاً وآخراً .
وصلى الله وسلم وبارك على عبد الله ورسوله محمد خاتم النبيين ، وسيد ولد
آدم أجمعين .

عبد الرحمن الوكيل

عضو جماعة أنصار السنة المحمدية

* * *

وكان الفراغ من الطبع والتصحيح بمطبعة السنة المحمدية يوم الخميس ١٨ من
رجب سنة ١٣٧٢ هـ الموافق ٢ من إبريل سنة ١٩٥٣ م
وصلى الله وسلم وبارك على عبد الله المصطفى ، ورسوله المجتبي : محمد ، وصلى
آله وصحبه أجمعين .

فهرست

- ٥٢ تكفير العراقي لابن عربي
٥٣ كل شيء عند الصوفية رب وإله
٥٤ الرأي في ابن الفارض وتائيته
٥٨ تمجيد الصوفية لعبادة الأصنام
٦٢ الحق عين الخلق عند الصوفية
٦٦ الوحدة المطلقة دين ابن عربي
٦٦ لا يُعْتَذَر عن الصوفية بالتأويل
٦٧ خطر صرف الكلام عن ظاهره
٦٨ صلة الخلق بالحق عند الصوفية
٧٠ الطبيعة هي الله عند
٧١ دين ابن الفارض
٧٤ العبد عين الرب عند الصوفية
٧٥ النار عين الجنة عندهم
٧٦ مثل من تفسير ابن عربي للقرآن
٧٨ ردّ علاء الدين البخاري
٧٩ رأى العصد والجرجاني
٨١ رأى السعد التفتازاني
٨٣ زعم أن الحق يتلبس بصورة الخلق
٨٦ أسرار ابن الفارض باتباع شريعته
٨٨ تكذيب صريح للقرآن
٨٩ إفاك على الله
٩٢ تمجيد الصوفية للمجرمين

مصرع التصوف

- ٣ مقدمة الكتاب
١٧ البقاعى في سطور
١٨ خطبة الكتاب
١٩ عقيدة ابن عربي وكيدته للإسلام
١٩ منهاج الصوفية في الكيد بدعوتهم
٢٠ مثالم في زندقتهم
٢١ احتجاج الصوفية بقصة الخضر
٢٢ القول في صرف الكلام عن ظاهره
٢٣ حكم من ينطق بكلمة ردة
٢٤ بيان ماهو من المقالات كفر
٣٣ الباطنية
٣٥ من هو الزيدى ؟
٣٧ إفاك وبهتان ابن عربي على الرسول
٣٧ دفع هذا الافتراء
٣٨ إيمان ابن عربي بأن الله إنسان كبير
٣٩ آدم عند الصوفية
٤٠ زعمه أن الحق مفتقر إلى الخلق
٤١ التنزيه والتشبيه
٤٢ بم يعرف الله عند الصوفية
٤٦ تكفير الصوفية لنوح
٤٩ الدعوة إلى الله مكر عند الصوفية

٩٣	زعمهم أن هوية الحق عين أعضاء العبد وقواه	١٢٠	تمجيد الصوفية لعبادة العجل
٩٤	تفسيرهم لما عذب الله به قوم هود	١٢١	بعض ما كفر به للعراقي ابن عربي
٩٥	زعم ابن عربي أنه اجتمع بالأنبياء	١٢٢	آيات تشهد بكفر ابن عربي
٩٦	ظن الصوفية بالله سبحانه	١٢٣	شرك الصوفية أخبث الشرك
٩٨	الكون هو رب عند الصوفية	١٢٤	تعليلهم لإنكار موسى على السامري
٩٩	لم يقول الصوفية بوحدة الأديان ؟	١٢٥	الموى رب عند الصوفية
١٠٠	الوحدة عند ابن الفارض	١٢٦	وحدة الأديان عند ابن الفارض
١٠٣	الكثرة عين الوحدة	١٢٧	الإله الصوفي مجلى صور العالم
١٠٤	فعل الرب عين فعل العبد عند الصوفية	١٢٧	حكم ابن عربي بإيمان فرعون وبجانه
١٠٥	ما الخلق ؟	١٢٩	رد هذه الفرية
١٠٦	زعم ابن عربي : أن التفاضل لا يستلزم التغاير	١٣٠	سؤال فرعون وجواب موسى
١٠٨	الضال مهتد ، والكافر مؤمن عنده	١٣٢	فرعون عند الصوفية رب موسى وسيده
١٠٩	لن يعذب كافر عنده أيضاً	١٣٤	حكم من ينسب ربوبيته إلى فرعون
١١١	الحق عنده سارٍ في عناصر الطبيعة	١٣٤	نحریم التأويل
١١١	رد العراقي على وحدة الأديان	١٣٥	رأى ولد العراقي في الفصوص
١١٢	الشرائع أوهام عند الصوفية		والثانية
١١٢	ليس لله وجود عندهم	١٣٧	رأى السكوني
١١٣	الداعي عين المحيب عندهم	١٤٠	أوهام الصوفية في الحكم بإيمان فرعون
١١٦	الحق عين كل معلوم عندهم	١٤١	افتراء على الرسول ﷺ
		١٤٢	التثليث عند الصوفية
		١٤٣	رب الصوفية امرأة

- | | | | |
|-----|-----------------------------------|-----|-----------------------------------|
| ١٨٦ | بعض مصطلحات الصوفية | ١٤٦ | الأنوثة صفة الإله الصوفي |
| ١٩٠ | أسطورة الكشف | ١٤٧ | الإله الصوفي بين التقييد والإطلاق |
| ١٩٥ | رأى الحافظ تقي الدين القاسى | ١٤٩ | دعاء ومباهلة |
| ١٩٧ | مكر الصوفية | ١٥٠ | المكفرون لابن عربى |
| ١٩٨ | آيات ثبات الإيمان فى القلب | ١٥٥ | فتوى الجزرى |
| ٢٠٠ | هوان الدين عند الأكرية | ١٥٦ | رأى أبى حيان |
| ٢٠١ | من هم الأولياء ؟ | ١٥٧ | رأى التقى السبكى والفراسى |
| ٢٠٣ | رأى ابن أيوب فى الحلاج وابن عربى | | والزواوى |
| | <u>تحذير العباد من أهل الضلال</u> | ١٥٨ | رأى البكرى |
| | | ١٥٩ | مسألة الوعيد |
| ٢٠٧ | المقدمة | ١٦١ | فتوى البالى وابن النقاش |
| ٢٠٨ | آيات نسل الله بها نبى | ١٦٥ | رأى ابن هشام وابن خلدون |
| ٢٠٩ | الرأى فى سلف الصوفية | ١٦٨ | رأى الشمس العيزرى |
| ٢١٢ | مناظرة الصوفية للنقل والشرع | ١٦٩ | رأى ابن الخطيب والموصلى |
| ٢١٣ | موقف العلماء من ابن عربى | ١٧٠ | رأى البساطى |
| | وابن الفارض | ١٧٤ | البساطى وشرحه للتائية . |
| ٢١٤ | المكفرون لابن الفارض | ١٧٦ | رأى ابن حجر والبلقى وغيرهما |
| ٢١٦ | موقف شيوخ المذاهب من | ١٧٧ | مقتل الحلاج |
| | ابن الفارض | ١٧٨ | رأى الذهبى |
| ٢١٧ | تواتر نسبة ابن الفارض إلى | ١٧٩ | رأى ابن تيمية وغيره من العلماء |
| | الكفر | ١٨٢ | رأى علاء الدين البخارى |
| ٢١٨ | الضلال عند الصوفية خير من | ١٨٣ | تحقيق معنى الكافر والملحد |
| | الهدى | | والزندق والسكافر |

- ٢١٨ رب ابن الفارض أنثى
٢١٩ تفضيل الزنديق نفسه على الرسل
٢١٩ الخلاعة سنة ابن الفارض
٢٢١ ذمه للرسل وللشرائع
٢٢٣ تفضيله أتباعه على الرسل ،
وزندقته على شرعة الله
٢٢٤ الصلة بين التصوف والنصرانية
٢٢٦ زعمه أن صفات الله عين صفاته
٢٢٩ زعمه أن الله سبحانه يصلى له
٢٣٠ رب الصوفية في صور العاشقات
٢٣٣ ثباته على اعتقاد الوحدة
٢٣٤ استدلاله على زندقته
٢٣٦ يدين ابن الفارض بتلبس الله
بصورة خلقه
٢٤٠ رأي القشيري والسهروردى
٢٤٠ وحدة الأديان عند ابن الفارض
٢٤١ شعره في وحدة الأديان
٢٤٢ معاندته للتوحيد الحق
٢٤٤ دعوته إلى المجون
- ٢٤٥ الباطل إله الصوفية ،
٢٤٥ حكم المناضل عن ابن الفارض
٢٤٦ قول ابن الفارض يوجب
إراقة دمه
٢٤٨ زجره لمن يكنيه أو يلقبه
٢٤٩ زعمه أنه عرج إلى السماء
٢٥١ حكم من كفر ابن الفارض
٢٥٣ حكم المتوقف في تكفير الصوفية
٢٥٥ الرأي في شعر ابن الفارض
٢٥٧ تواتر الخبر بتكفير الطمء له
٢٥٨ نفي كلام حفيده فيما أثبتته
٢٥٩ أصل الولاية الحق
٢٦٠ دفاع وادعاء
٢٦٣ وجوب الكشف عن زندقته
الصوفية وبيانها
٢٦٤ الجاهلية في الصوفية
٢٦٥ دفع اعتراض وإه
٢٦٨ نصيحة البقاعي ختم بها كتابه